بُورْمَا

الخبر ... والعيان

بقلم
محمّد بن نَاصر العُبُودي

فسح وزارة الإعلام برقم ٢/٣٤٢٠ وتاريخ ١٤١٠/٥/٢٢ هـ

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

بســـم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـــة

نحمد الله رب العالمين، ونصلي ونسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن بورما كانت أحد أقطار الهند الصينية وقد لفها ولا يزال يلفها الغموض في السنين الأخيرة حتى غدت الأخبار عنها شحيحة، وهي مع ذلك في جملتها ربما تكون غير صحيحة والذي أهمنا بل شغلنا وأقلق مضاجعنا ما سمعنا عن تعصب حكومتها ضد المسلمين فيها، وإلحاق الأذى بهم، ومن أهم ذلك عدم السماح لهم بالسفر خارج البلاد، لغرض الاتصال بأخوتهم المسلمين في الخارج، ما عدا عدداً قليلاً ولغرض أداء فريضة الحج حتى الاشتراك في الاجتماعات ذات الطابع الإسلامي كالمؤتمرات الإسلامية الدولية ومجالس الهيئات الإسلامية مثـل المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

ولقد شددت في الوقت نفسه القيود على دخـول المسلمين غـير البورماويين الذين يريدون تقوية العلاقات بإخوتهم المسلمين في بورما وبخاصة إذا كانوا أعضاء في وفد إسلامي، أو مبعوثين من منظمة إسلامية مهمة.

ولقد وصلت إلينا أخبار من اضطهاد المسلمين قد يظن سامعها أنها تصل إلى درجة المبالغة والتهويل مثل قانون قبل: إن حكومة بورما سنته يصنف بعض المسلمين في الدرجة في سلم تصنيف رعـايا بـورما

بحيث لا يكون لهم من حقوق المواطنة في البلاد ما لغيرهم من البورماويين البوذيين الذين هم الأكثرية العددية في البلاد.

ومثل عدم وجود أي وزير مسلم في حكومة بورما مع أن المسلمين يمثلون فيها ما بين ٨٪ إلى ١٠٪ من السكان. ومثل كون المسلمين من غير البورماويين الأصلاء لا يوجد منهم ضباط في رتب عالية في الجيش.

ومثل منع بناء المساجد الجديدة، وعدم السماح للمسلمين البورماويين بالاشتراك في المؤتمرات الإسلامية في الخارج، ومنع الطلاب من الدراسة في البلدان الإسلامية، ومنع طباعة الكتب الإسلامية، إلا في نطاق محدود، تتولاه الحكومة نفسها.

وهذه أمور تقلق بال كل مسلم غيور على دينه، حريص على إخوانه المسلمين، بل إنها مما يقض المضاجع، ويبعث على السعي للتأكد من صحتها.

وقد رأينا في رابطة العالم الإسلامي أن الأمر يستدعي أن يقف أحد المسئولين في الرابطة على وضع المسلمين في بورما بنفسه، وكنت على وشك السفر إلى سلطنة بروناي عضواً في الوفد السعودي في احتفالها بنيل استقلالها، وكان اشتراكنا في هذا الاحتفال هو في حد ذاته أمراً ليس بذي بال، وإنما هو مشاركة بالشعور ولا يحتاج إلى وقت طويل فرأيت أن أتوجه بعد (بروناي) إلى (بورما) التي لا تعد بعيدة من بروناي، بل هي في المنطقة نفسها وإن تكن غير مجاورة لها.

واخترت أن يكون معي الشيخ على عيسى ممثل رابطة العالم الإسلامي في تايلند، وهو مصري الأصل حصل على الجنسية التايلندية ويجيد اللغة التايلندية، وهو خبير بأمور المنطقة، وكنت قد سافرت معه إلى بعض مناطق تايلند فحمدت صحبته، وأنست بعشرته.

وقد كتبت كتاباً عن «بروناي» طبع بعنوان (زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية). . أما (بورما) فإن عملي فيها ينحصر بمشاهدة الأمور فيها عن كثب ووضع خطة تقوم بها رابطة العالم الإسلامي في المستقبل لمساعدة المسلمين البورماويين في أمور دينهم على ضوء المعلومات الميدانية ومن واقع الحال.

وجرياً على العادة التي أخذت بها نفسي في كل سفرة أسافرها في أي مكان من العالم وبخاصة من العالم البعيد عن بلادنا العربية وهي أن أكتب مذكرات يومية بما أشاهده أو ألاحظه من أحوال تلك البلاد. فقد سجلت يوميات عن رحلتي هذه آمل أن تحصل على قبول من قراء العربية الكرام كما حصلت اليوميات الأخرى التي ظهرت في كتب عديدة تناولت بلداناً مختلفة في القارات الست، واستقبلها القراء قبولاً حسناً شجعني بل حملني على أن أواصل الكتابة في هذه الموضوعات التي هي الرحلات مع اهتمام خاص ببيان أحوال المسلمين.

ولما كان هذا الكتاب في الأصل هو حصيلة هذه اليوميات في بورما، وليس كتاب دراسة وبحث واستقصاء أسميته باسم يدل على ذلك وهو «بورما كما رأيتها». لأنه يتضمن المشاهدات والملاحظات المبنية عليها، إلا أنني رأيت ـ بعد ذلك ـ أن أقدم له بدراسات، وتقارير، توضح أحوال المسلمين في تلك البلاد، وتشرح قضاياهم وأوضاعهم.

وقد طالت هذه الدراسات والبحوث حتى صارت تستحق أن تفرد بعنوان خاص هو (الخبر عن بورما) أخذاً من طبيعتها في كونها منقولة عن تقارير كتبها باحثون غيري، وإن لم تكن منقولة، عن كتب مطبوعة منشورة.

وقد ألفت القسم الأول من هذا الكتاب.

أما القسم الثاني منه فإنه قسم المشاهدات وهو العيان الذي رأيته بنفسي عندما زرت نواحي في بورما.

لذلك أسميت الكتاب «بورما: الخبر والعيان».

على أنني أبرأ إلى القارىء الكريم عما قد يكون في الخبر والمعلومات التي نقلتها عن غيري من عدم الدقة أو حتى من خطأ لم أقصد نقله أو تسجيله، وأؤكد له أن العيان الذي شاهدته وسجلته هو الحقيقة التي لم أزد فيها ولم أنقص منها.

والقصد من ذلك كله هو إعطاء القارىء العربي صورة واضحة عن أحوال المسلمين في هذه البلاد البورماوية إلى جانب ما يتطلع إليه من معلومات أخرى عن أحوال تلك البلاد والعباد الذين يعيشون فيها. وعلى الله قصد السبيل.

مكة المكرمة: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

القسم الأول: الخبر

عرفت «بورما» في المصادر التاريخية والجغرافية القديمة باسم «برمانيا» وتكتب بالحروف اللاتينية «BIRMANIE».

وهي إحدى دول جنوب شرق آسيا ويعدها الجغرافيون إحدى دول الهند الصينية التي تتألف من أربع دول وهي: بورما وفيتنام ولاوس وكمبوديا.

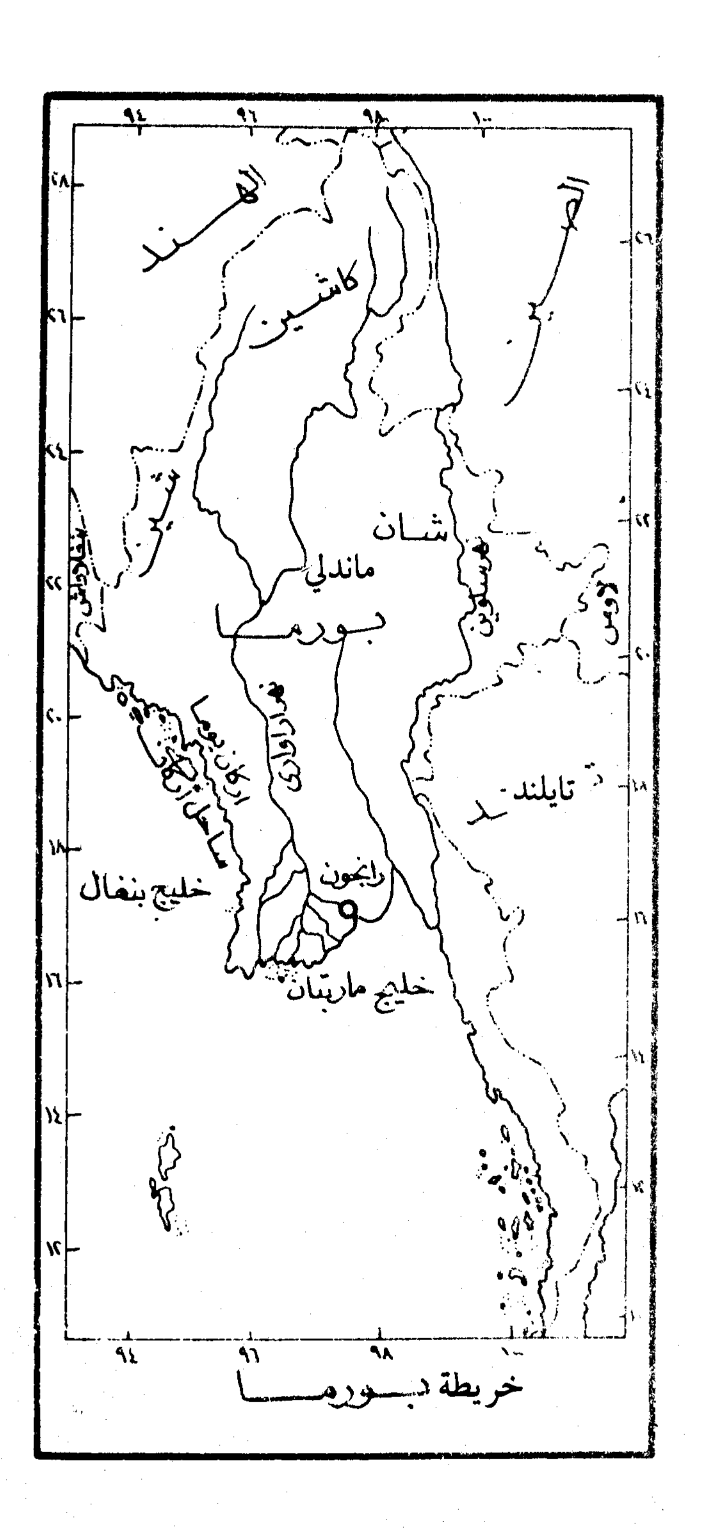
والدول الثلاث الأخيرة خضعت للاستعمار الفرنسي أما بورما فقد احتلتها بريطانيا تدريجياً بعد حروب ثلاث بين عامي ١٨٢٤ و١٨٨٥ م وفي عام ١٩٤٧ م نالت بورما استقلالها.. وقد احتل اليابانيون بورما ثم استعادها الحلفاء منهم في أثناء الحرب العالمية الثانية.

واسم بورما الكامل كما تعرف به في المحافل الدولية هو:

«الجمهورية الاشتراكية البورمية المتحدة».

ويكتب بالحروف اللاتينية كما يلي:

The SOCIALIST REPUBLIC OF UNION OF BURMA.


الهند
الصين
كاشين
شان
ماندلي
بورما
تايلند
لاوس
هرسلوين
نهر اراوادي
اركان يوما
ساحل اراكان
رانجون
خليج بنغال
خليج مارتبان
خريطة بورما

الموقع: يحد بورما من الشرق لاوس وتايلند ومن الغرب الهند وبنغلاديش ومن الجنوب بحر أنداماان ومن الشمال التبت ومن الشمال الشرقي الصين الشيوعية.. وتبلغ مساحتها ٥٧٧,٠٠٠ كيلو متر مربع وهي أكبر بقليل من مساحة تايلند.

وتتوسط بورما حوض نهر «الإيراوادي» وتضم المرتفعات والجبال المحيطة به.

وهناك منطقتان مزدحمتان بالسكان الأولى المنطقة الممتدة حول مدينة «ماندلي MANDALAY» وإلى الجنوب منها.

والثانية منطقة الحوض التي تحيط بعاصمة البلاد.

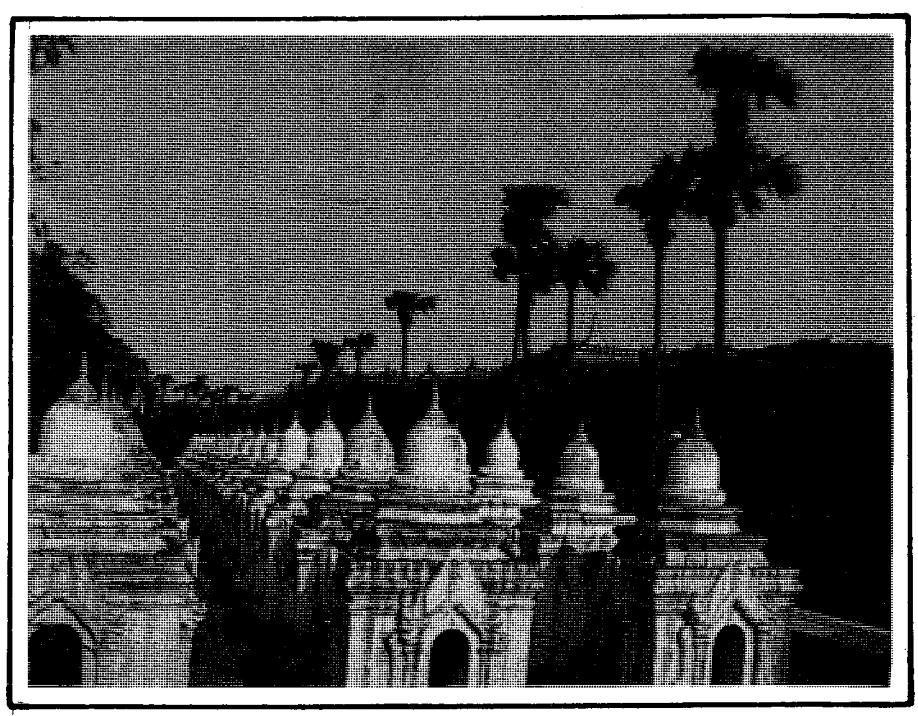
ومنطقة الحوض أو الدلتا هي اليوم مركز إنتاج القسم الأكبر من الأرز ونهر الإيراوادي هو الشريان الأساسي الذي يصل بين وسط هاتين المنطقتين.

السكان: تتميز بورما من بين مجموعة دول الهند الصينية بكثرة الأجناس وتعددها وإن كان يغلب على ملامحهم الانتماء إلى العنصر المغولي والصيني وهذا التعدد كان ولا يزال مصدراً لمتاعب كثيرة للحكام فمن حين لآخر تقوم إحدى الحركات الانفصالية لإحدى هذه الجماعات بمحاولة للاستقلال عن بورما وتكوين دولة مستقلة.

عمل السكان: الزراعة هي المهنة السائدة إذ يعمل ٧٠٪ من سكان بورما في الزراعة بجانب المهن الأخرى كالتجارة واستخراج المعادن وقطع الأخشاب من الغابات وتعد بورما من أغنى دول العالم في إنتاج الأحجار الكريمة وتقوم الصناعات المحلية على المواد الأولية وتشكل الصناعات الزراعية ٨٠٪ من مجموع الصناعات القائمة ببورما.

ورغم الثروة الطبيعية التي تملكها بورما ووفرة المواد الأولية بها إلا أن النظام الاشتراكي الحاكم قد طبع عليها مسحة من التخلف والفقر والشقاء يظهر ذلك واضحاً في وجوه أهلها وفي مظاهر الحياة اليومية.

عدد السكان وديانتهم: يبلغ عدد سكان بورما حالياً حوالي خمسة وثلاثين مليون نسمة والديانة البوذية هي دين الأغلبية إذ يعتنقها حوالي ٨٥٪ من مجموع السكان ويحتل الدين الإسلامي المرتبة الثانية إذ تبلغ نسبة المسلمين ١٢٪ وهناك ديانات أخرى متعددة معظمها وثنية وتقوم على عبادة الأرواح والظواهر الطبيعية.



معابد بوذية متراصة في بورما.

أما النصرانية فقد دخلت بورما مع المد الصليبي الذي يرجع إلى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي ورواده هم البرتغاليون

وفي العاصمة رانجون وغيرها من المدن الكبرى وبخاصة الساحلية منها عشرات الكنائس والمستشفيات النصرانية وكذلك المراكز الثقافية والاجتماعية ولكن نسبتهم لا تتجاوز ١٪. (واحد في المائة).

وكانت بورما جزءاً من الامبراطورية البريطانية واستقلت في عام ١٩٤٨ م والسواد الأعظم من السكان هم من البوذيين الذين يحافظون ـ بسبب الحواجز الجغرافية والسياسة الحكومية على كيانهم الثقافي المتميز. تسلم الجنرال ني وين السلطة في عام ١٩٦٢ م وبقي فيها حتى ١٩٧٤ م عندما تم إنشاء المجلس القومي والآن يشغل منصب رئيس الحزب الاشتراكي البورمي.

وبعدما تولى العسكريون السلطة في عام ١٩٦٢ م بقيادته قامت الحكومة الاشتراكية بالاستيلاء على ١٥,٠٠٠ مؤسسة تجارية، وقد تضرر المسلمون أكثر من غيرهم من هذه العملية لأنهم كانوا يملكون قبل التأميم المؤسسات والأعمال التجارية المزدهرة.

وبالإضافة إلى الفقر وتفشي الأمية ونقص التسهيلات التعليمية أصبح المسلمون أيضاً ضحايا للتمييز السياسي. فمن بين ٤٦٨ عضواً للبرلمان يوجد هناك فقط عضو مسلم واحد يمثل خمسة ملايين مسلم في بورما. وتعتبر عملية الانتخابات أشبه بالمهزلة لأن تعيين الأعضاء يتم من قبل الحزب الاشتراكي الحاكم ويحصلون في الغالب على أصوات «نعم» من خلال استفتاء عام. ويتكون مجلس الدولة الذي هو أعلى هيئة لوضع سياسة الحكومة من ٢٠ عضواً يعينهم الجنرال ني وين. ويختار المجلس الوزراء الذين يبلغ عددهم حالياً ١٧ وزيراً، وليس من بينهم أي مسلم وكذلك ليس هناك أي نائب وزير مسلم أو رئيس مسلم لمصلحة أو إدارة حكومية.

وهناك عدد قليل من المسلمين في القوات المسلحة في المراتب الدنيا وهم معرضون للإقصاء حتى من هذه الرتبة الدنية.

وقد قامت الحكومة بإنشاء إدارة للشئون الدينية ومجالس دينية، وذلك من أجل السيطرة على النشاط الإسلامي ، ويوجد في أكياب التي هي المدينة الثالثة وعاصمة لاقليم تينا سيرام عدد كبير من المعاهد الدينية والمعاهد الإسلامية (دار العلوم) بما فيها جامعة تكميل العلوم التي يديرها مولانا مفتي محمد حسين وقاري سلطان أحمد. وقد قام بإنشاء معظم هذه المدارس والمعاهد الإسلامية العلماء الذين درسوا وتخرجوا من الجامعات الإسلامية في (الهند) ويوجد في مدينة رانجون حوالي ثماني مدارس إسلامية يصرف عليها بصفة عامة من أموال الزكاة والتبرعات. وبالإضافة إلى المشكلات المالية تشكو هذه المدارس الدينية من عدم توفر الكتب الإسلامية بالأردية والعربية بما فيها نسخ المصحف الكريم مع الترجمة الأردية والانكليزية. وفي وقت سابق ذهبت جماعة التبليغ من باكستان إلى بورما ولكن السلطات لم يسمحوا لهم بالكلام حتى في المساجد.

قانون الجنسية:

إن حكومة بروما تطبق منذ الاستقلال نوعين للجنسية الأولى: قانون جنسية «الاتحاد البورمي» والثاني: قانون جنسية «الاتحاد البورمي» (للانتخابات) لعام ١٩٤٨ م، وبعد مضي سنوات عديدة أشاعت الحكومة بين أفراد شعبها بأن تلك القوانين تحتوي على كثير من الثغرات والقصور أدخلت عمداً من جراء ضغط خارجي عند الاستقلال وبناء على هذا السبب قدمت الحكومة البورمية إلى الشعب يوم ٤ يوليو ١٩٨٠ م (٢١ شعبان ١٤٠٠ هـ) مسودة لقانون الجنسية فيه تعريفات وقيود أكثر تتعلق ببعض الطوائف و«الجماعات» كجماعة روهانجيا في أراكان والصينيين والماليزيين المسلمين في جنوب بورما وغيرهم.

واقترحت الحكومة البورماوية أربعة أنواع من الجنسية هي :

أ . الرعوي .
ب ـ المواطن .
ج ـ المتجنس
د ـ عديم الجنسية .

ويكون من حق النوع الأول (الرعوي) والثاني (المواطن) التمتع بحقوق متساوية في الشؤون السياسية والاقتصادية وإدارة الدولة كما سيكون لهما الحق في الاشتراك في هيئات السلطة التي تضع مبادىء هامة وتتخذ قرارات في الدوائر التي تنفذ برنامج العمل بموجب المبادىء التي وضعت في القوات المسلحة للدولة وفي الاشتغال في الانتاج والتوزيع .

أما المتجنس فإن حالة التجنس يحصل عليها بطلب رسمي ولصاحبها حقوق محدودة ولن تكون من هذه الحقوق بأي حال من الأحوال العمل في تمثيل الشعب وفي أمن الدولة وفي رئاسة هيئات الخدمة . وأما عديم الجنسية فيحتجز في السجن لمدة محدودة ثم تحدد إقامته في مناطق معينة «معسكرات اعتقال» ويفرض عليه العمل في الإنتاج ، فإذا أحسن العمل في معسكرات الاعتقال أثناء الفترة المحددة فقد يسمح له بحمل شهادة تسجيل الأجانب على أن يعيش في منطقة محددة في البلاد .

تعليق :

نتيجة للتجارب الماضية المتعلقة بإصدار قانون جديد في بورما يفترض أن صياغة مشروع قانون الجنسية الحالي سيواجه تعديلات طفيفة فقط عند سنه ، أي أن البنود الرئيسية قد لا تتعرض لأي تغيير ، وعليه سيكون تأثير القانون شديداً على مسلمي أراكان ومن المحتمل أن يصادق على المشروع من يعتبرون عملاء للحكومة من المسلمين .

وعندما يسري تنفيذ القانون الجديد فإن من المشكوك فيه أن يحصل على الجنسية عشرون بالمائة من مجموع مسلمي أركـان، هذا عدا معاملتهم كأنهم غير مواطنين في الاتحاد البورماوي رغم الاعتراف بهم كمسلمين روهانجيين ورغم دعوتهم لحضور الاحتفال باليوم الوطني ووجود برنامج خاص لهم في الإذاعة قبل مجيء الحكومة الحاضرة إلى السلطة.

وتفيـد بعض المعلومات أن كثيـراً من مسلمي أركان يفكـرون الآن في التقـدم بطلب التجنس الـذي قد يكـون أكثر سهـولة في الحصـول عليـه من الرعوية. وفي مثل هذه الحالة سوف تتضاءل دعوى جماعة الروهنجيـا بكونهم سلالة عرقية في أركان وسوف يكون في ذلك من ناحية أخرى انتصار عـظيم لحكومة بورما أمام المحافل الدولية، وعليه فإن قبول منـح هذه الجـماعة حق التجنس يقع تماماً تحت رحمة الحكومة.

وقد أعدت الحكومة إلى جانب ذلك بعض الإجراءات التي يراد بها إلغاء حق الرعوية والمواطنة عن بعضهم بحيث يتحول من تصيبهم تلك الإجراءات في النهاية إلى حالة أدنى مستوى من الجميع طيلة حياتهم وبدون أن يكون لهم أي ملجأ يفرون إليه، كذلك يفترض أن يسقط جبل الشباب والمتعلمين من المسلمين بسهولة فريسة لمعسكرات الاعتقال لعذر أو لآخر وهكذا ينجح المشروع الذي طالما حلمت به الحكومة البورماوية بحيث ينعدم أي أثر للمسلمين في مكان كانوا يشكلون فيه الأكثرية حتى عام ١٩٤٢م على الأقل.

إن بورما تشهد الآن إعداد القبور المهيئة للمسلمين وخاصة أولئك الذين يعيشون في أركان لكونهم لا يقبلون المساومة على دينهم رغم تخلفهم الاقتصادي والثقافي ورغم تعرضهم للتعذيب سياسياً واجتماعياً.

نسأل الله العون للمسلمين في بورما كما نسأله أن يرشدنا إلى طريق مساعدتهم.

الأوضاع الاقتصادية للمسلمين قبل ١٩٦٢ م

كانت الأوضاع الاقتصادية للمسلمين في بورما جيدة جداً قبل تولي اليساريين العسكريين السلطة في البلاد. فلقد بنوا ما يربو على ٣٠٠٠ مسجد ومدرسة في بورما وساعدوا مساجد ومدارس المسلمين في شبه القارة الهندية لما كانوا فيه من يسر وبحبوحة في العيش.

وقد أغلقت الحكومة تماماً باب التعيينات الجديدة في وجه المسلمين.

ولم يترك هذا الوضع أمام المسلمين إلا النشاطات الاقتصادية المحدودة التي يعتمدون فيها على أموالهم القليلة بعد أن أضر بهم إلغاء العملة البورماوية وعدم السماح لهم باستبدالها.

هذا ويحصل العسكريون على احتياجاتهم التموينية بقيمة أدنى من القيمة التي يدفعها المدنيون.

وقد أدركت الجماهير البوذية أن المسلمين مسالمون وأنهم لم يلحقوا بهم أي ضرر وأن الجيش الذي أثارهم على المسلمين هو المستفيد من الاضطرابات الطائفية. لهذا كانت الغضبة الشعبية على الحكومة العسكرية الشيوعية عامة ضمت مسلمين وغير مسلمين.

الاضطرابات والحروب في اتحاد بورما

دخول المسلمين البورماويين في الانقسامات العرقية في بورما

أعلنت إحدى الاذاعات السرية البورماوية ـ وتسمى نفسها «اذاعة كاوتوْلي» ـ عن تكوين جبهة التحرير الإسلامية في كاوتولي وتكوين وحدة تحرير عسكرية في كاوتولي وجاء في البيان الذي أعلنته هذه الاذاعة أن احتفالاً قد أُقيم في مكانٍ ما من منطقة «كاوتولي كارن» الثورية لرفع الراية ولافتة المنظمتين. وقد حضر هذا الاحتفال ممثلون عن الاتحاد القومي في «كارن» وعن مقر قيادة الجيش الوطني لتحرير «كارن» وكبار أعضاء الجبهة الوطنية الديموقراطية ـ حزب الولاية ـ وحزب تحرير أركـان ومنظمة فا الوطنية وقد أُطْلِقَ على الزعماء المسلمين الذين حضروا هذه المناسبة أسماء (الأُخْوَة) زيد، عبد القادر، مولوي ياسين.

وذكرت اذاعة كاوتولي انه تحت حكم نظام «ني ون» العسكري المتعصب وحزب البرنامج الاشتراكي في بورما تتعرض كل العقائد الدينية ـ باستثناء البوذية ـ لمحاولات لتقويضها والتدخل في شؤونها والاعتراض عليها. ويقع على المسلمين الجزء الأكبر من الاضطهاد.

ومع قرب نهاية شهر مايو **١٩٨٣** م هُدِّمت بعض مساجد ومدارس المسلمين في حملة قادها أعضاء حرب البرنامج الاشتراكي في بورما. وقام حوالي ثلاثمائة وخمسين من الحرس الأسود المجهزين بالسلاح الأبيض والعصي بتدمير ستة من منازل المسلمين. وفي اليوم التالي هدموا مسجداً.

وكثيراً ما توجَّه إلى المسلمين اتهامات باطلة وتوجَّه إليهم تهديدات وتقوم عناصر من الحرس الأسود بدخول مساجدهم وهم يرتدون الأحذية.

وقد اتُفِقَ على أن جبهة تحرير كاوتولي الوطنية هي منظمة تناضل من أجل كسب حقوق المسلمين وليس من أجل حقوق إقليمية أو قومية منفصلة وأنها في ذلك ستتعاون مع الاتحاد القومي لـ «كارنْ».

وقد صرح الاتحاد القومي لـ «كارِنْ» من جانبه بأن «ثورة كارن» تضمن الحرية الدينية والمساواة.

وقد أخذ وضع المسلمين في بورما يسوء يوماً بعد يوم. وتكوين ما يسمى بالجبهة الإسلامية لتحرير كاوتولي هو دليل على القنوط والاحباط المتزايد؛ ذلك أن المسلمين حاولوا أن يتجنبوا حتى الآن التورط في الانقسامات العرقية والسياسية المعقدة في بورما. إلا أن ذلك لم ينفع في تجنيبهم الويلات التي تصبها عليهم الحكومة.

فما هي جبهة تحرير مسلمي كاوتولي؟

وكاوتلي هو اسم منطقة تسكنها أغلبية غير مسلمة من قبائل (الكارين) تدين بالمسيحية ولهم جبهة هدفها الانفصال عن حكومة بورما وتكوين دولة خاصة بهم، وقوام هذه الجبهة ما يزيد عن عشرة آلاف رجل بينهم حوالي خمسمائة مقاتل مسلم فقط والمسلمون ليست لهم جبهة مستقلة بل هم منضوون تحت لواء قيادة جبهة تحرير كارين التي تنقسم قيادتها العسكرية إلى شخصين: الأول الجنرال (ميا) وهو مسيحي ومسئول عن القيادة العامة للجبهة الكارينية، والثاني الميجر روبرت سون وهو مسيحي أيضاً ويتولى قيادة المجموعة المسلمة، وقد علمنا أن هاتين القيادتين تحصلان على الأسلحة من داخل الأراضي التايلندية وأنه يجيري القصف من قبل القوات البروماوية على امتداد نهى (موي) الذي يمثل الحد الفاصل

للحدود بين بورما وتايلند من جهة الشمال الغربي لتايلند. . وان البرماويين الموجودين على الجانب التايلندي لا يتجاوز عددهم الألف شخص ويتنقلون يومياً بين حدود الدولتين حيث أن الحكومة التايلندية لا تسمح لهم بمجاوزة منطقة الحدود ولكنهم يمارسون البيع والشراء بحرية.

ويفيد بعض الباعة المسلمين عن أفراد جبهة تحرير مسلمي كاوتولي أن المسلمين لهم جبهة خاصة بهم داخل جبهة تحرير (كارن). وأنهم يحصلون على السلاح من جماعة تحرير كارين المسيحية وأنواعها كالتالي:

ـ بنادق طراز م ١٦ وم ١٧ من تايلند.
ب ـ بنادق امريكية طراز م ٧٩.
جـ ـ بنادق صينية طراز ٤٧.
د ـ قاذفات مورتر طراز ٦٠ ملم، ٨١ ملم.
هـ ـ قذائف آر بي جي سوفيتية الصنع.

ويقال: إن المعارك التي خاضتها الجبهتان مئة معركة استشهد فيها أربعة مسلمين واثنان فقدا أرجلهما واثنان فقدا أعينهما ويدعون أنهم قتلوا خلال هذه المعارك ما يربو على سبعمائة جندي برماوي!!

وقد أنشئت الجبهة المسلمة في شهر اكتوبر عام ١٩٨٣ م.

أسماء القرى المحررة: ميددو/ مييوكي/ ميلا/ الجانب الشرقي لقرية وانكا/ بلو/ والي/ ثلاثة معابد بورمية. إلا أن وفد رابطة العالم الإسلامي الذي زار مدينة ماسوت على نهر (موى) شمال غربي تايلند لم يشاهد أثراً لهذه المناطق رغم وقوفه على الحدود على الجانب التايلندي من نهر (موي) الذي يمثل الحد الفاصل بين الدولتين. . كما لم يشاهد أي أثر لنشاط عسكري لحرب العصابات التي تدعي الجبهة أنها تقوم بها في هذه المنطقة، بل كانت الحياة تجري على الضفتين بشكل معتاد.

ويتواجد جنود الجبهتين كما يقولون على الطرف الشرقي لنهر (موي) ويطلق عليه اسم (سارانج) باللغة البرماوية بينما يتواجد الجنود البورماويون على بعد خمسة عشر كيلومتراً من النهر من الطرف البورماوي.

وتشكو الجبهتان من قلة الإمدادات عامة ومن قلة الأسلحة خاصة ويريدون مساعدتهم بمواد غذائية، وأدوية، وسيارات لنقل الجنود، ومطبعة وكتب دينية إسلامية.

وبناء على ما توفر لدى الرابطة من المعلومات تبين أن أعضاء جبهة تحرير مسلمي كاوتلي من المسلمين جاهلون بأهداف الرابطة ومجالات عملها الذي يرفض التدخل في الشئون الداخلية والمساعدة بالسلاح، كما تبين أن الهيمنة النصرانية الممثلة في الكثرة العددية والقيادة العسكرية للجبهة تشكل خطراً جسيماً على الجماعة المسلمة وأنه يخشى أن يقع المسلمون ضحية لخطة يراد بها استغلال وجودهم للحصول على الدعم المالي من قبل المنظمات والهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي.

لكن هذا لا يمنع من دعم جميع مسلمي بورما في مختلف مناطقهم في شتى المجالات الثقافية والصحية والغذائية والاجتماعية.

وينبغي إرسال بعض الأدوية والملابس والمواد الغذائية المعلبة للمسلمين المحتاجين بصورة علنية. كما تفعل الرابطة مع الإخوة المسلمين في سائر أنحاء العالم إذا لم تكن السلطات الحكومية في تلك البلاد تمنع وصول المساعدات الانسانية أو الثقافية إلى رعاياها.

قضية أركان



عرف كثير من القراء وبخاصة المسلمين (بورما) وما يعانيه المسلمون فيها من خلال ما تناولته وكالات الأخبار العالمية، وما نشرته الصحائف الإسلامية عن أحوال المسلمين في (أركان).

ولذلك حكموا على أن قضية أركان هي قضية بورما كلها، وأن حالة المسلمين في (أركان) إنما هي حالة كل المسلمين في بورما.

وذلك بسبب الجهل بحالة البلاد البورماوية على وجه العموم. والجهل بأحوال المسلمين فيها على وجه الخصوص.

فبورما أغلقت على نفسها الأبواب منذ قيام الانقلاب العسكري فيها الذي تزعمه (ني ون) في عام ١٩٦٢ م.

وهو الوقت الذي بدأ فيه، وفيما بعده بقليل اهتمام العالم الإسلامي على نطاق واسع بأحوال المسلمين في الخارج.

وهو الوقت الذي بدأ فيه الضغط على المسلمين في بورما ولم يكن بالامكان - آنذاك - الإطلاع على حقيقة الأمر في داخل البلاد البورماوية، بسبب إغلاق الأبواب في بورما لمنع الداخلين من الأجانب إليها، ومنع الخارجين أو الذين يريدون الخروج والدخول من أهلها.

وليست (أركان) في الحقيقة إلا ركناً من بورما أو هي (أركان) عدة - كما جاء في اسمها العربي الذي يعني الأركان بمعنى الجوانب، ولكنها ليست

كل أركان بورما، فهي لا تمثل القسم الأعظم من مساحة البلاد، والمسلمون فيها لا يمثلون اكثرية المسلمين في مجموع البلاد البورماوية، وإن كانوايمثلون اكبر تجمع اسلامي في منطقة من مناطق بورما.

ولهذا السبب وأسباب أخرى وقع أعظم ضغط جماعي عليهم من حكومة بورما العسكرية المنغلقة على نفسها.

وكان ضغطاً رهيباً حمل ما يربو قليلاً على مائتي ألف إنسان منهم على ترك ديارهم، واللجوء إلى (بنغلادش) المجاورة، ولم يكونوا يحملون معهم أي شيء من ممتلكاتهم أو أمتعتهم عندما تركوا البلاد، بل كانوا رجالاً ونساءً وشباناً وكهولاً وأطفالاً يغادرون بلادهم التي عاشوا فيها مئات السنين هرباً من القتل أو التحريض بالقتل بعد أن رأوا ما حل بإخوان ومواطنين لهم من تعذيب وتنكيل.

وقد انبرت الجمعيات والهيئات الإسلامية لإغاثتهم، وبذل ما يمكنهم من البقاء على قيد الحياة، بل إن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة قد بادرت إلى إنشاء مستوصف كبير وعدة مدارس إضافة إلى بعض المساكن المؤقتة لهؤلاء اللاجئين البورماويين في بنغلادش.

وقد سبق أن زرتهم في بنغلادش بناء على رغبة من رابطة العالم الإسلامي في عام ١٣٩٩ هـ قبل أن يكون عملي في الرابطة وكانت وظيفتي آنذاك (الأمين العام للدعوة الإسلامية).

ثم نهضت حكومة المملكة العربية السعودية فقدمت مبلغاً معيناً من المال بالعملة الصعبة إلى حكومة بنغلادش من أجل أن تتفاهم مع حكومة بورما على الإنفاق منه على إعادتهم إلى بلادهم. وبخاصة بعد أن اشتهرت قضيتهم، وصار وجودها سبة عالمية في جبين تلك الحكومة البروماوية. فعادوا أو عاد أكثرهم إلى بلادهم (أركان) واعتبرت قضيتهم منتهية ولكنها تركت في

ضمير العالم الإسلامي، وفي ذاكرته بعض ما فعلته بورما اليسارية المتعصبة من أفعال شنيعة ضد المسلمين في البلاد.

لذلك لا بد من شرح قضية (أركان) هذه بالتفصيل، وشرح قضية المسلمين فيها وما عاناه المسلمون هناك في مختلف العصور.

وقد لخصت التقارير المتعلقة بهذا الموضوع ثم أعقبته ببيان صدر بهذا الشأن عن مسلمي (روهنجيا) الذين هم مسلمو أركان أنفسهم، وإن كان في بعض العبارات تشابه أو تداخل، لأن ذلك مما يساعد على إيضاح الموضوع للذين ليس في أذهانهم شيء من المعرفة به من قرائنا الكرام.

كما أنني أرجو ملاحظة ما قد يكون في هذين البيانين من اختلاف في نقاط معينة مع ما ذكرناه عن وضع المسلمين في بورما.

ومرد ذلك إلى أن ما كتبناه هو نتيجة لما رأيناه بأنفسنا في المناطق البورماوية المحدودة التي زرناها.

أما ما في البيانين فإنه نتيجة لتقارير كتبت بأيدي الإخوة المسلمين البورماويين الذين يعيشون خارج بورما.

موقع أركان:

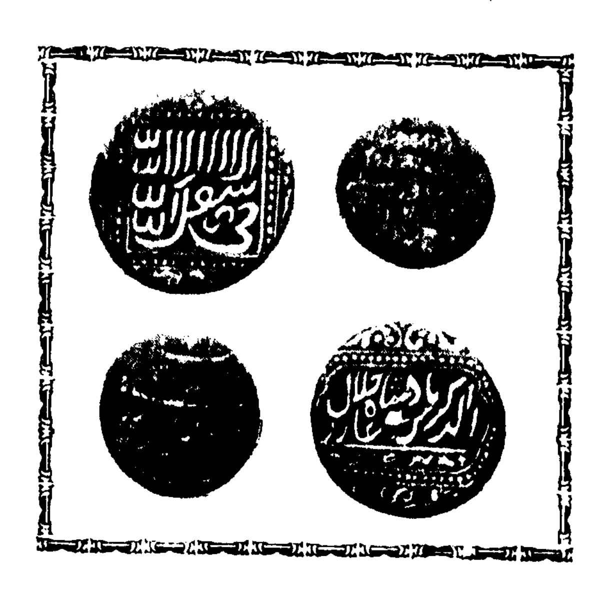
تقع «أركان» أرض الوديان والجبال ذات الغابات المدارية الشاسعة على الحافة الغربية من بورما حيث تمتد على منطقة مساحتها ١٤٩١٤ كيلو مربع، ويبلغ طول حدودها مع بنجلاديش ٢٩٠ كيلاً كما تمتد على خليج البنغال الساحلي حوالي ٣٠٠ ميل نحو الغرب.

تشتمل أرضها على الموارد الطبيعية الغنية التي لم يتم استغلالها ومنها مواد بترولية - والعنصران الأساسيان من سكانها الموجودان حالياً في أركان

هما الروهنجيا الذين يدينون بالإسلام «والماغو» الذين يؤمنون بالعقيدة البوذية بالإضافة إلى أقليات صينية، وخميس وموريج وتشاكمان ساك وبروا يدينون بالمسيحية أو الهندوكية.

ويبلغ عـدد سكانها الحـاليـين زهـاء مليـوني نسمـة أغلبهم من الرهونجيين الذين يزيدون عددهم قليلاً على مليون نسمة (باستثناء أولئك الذين غادروا البلاد حتى الآن منذ عام ١٩٤٢ م ويقدر عددهم بخمسمائة ألف.

خلفية تاريخية: يرجع تاريخ استيطان المسلمين في أركان إلى القرن السابع الميلادي حيث اعتاد التجار العرب واليمنيـون زيارة «أكياب» عاصمة أركان عن طريق البحر. ويعتبر بعض الباحثين الـروهنجيين أحفاداً لعرب الجزيرة العربية وعرب الأنـدلس المغاربـة والأفغانيـين والفرس والأتراك والمغول والبنغاليين. ولقد كانت أركان دولة اسلامية حكمها الملوك المسلمون فيها بين عام ١٤٣٠ إلى ١٧٨٤ ميلادية.



بعض النقود التي كانت مملكة روهنجيا قد أصدرتها

وتتضمن شعارات الدولة وعملاتها ونياشينها نقوشاً عليها عبارات الايمان بالإسلام. وقد ظلت الفارسية لغتها الرسمية حتى عام ١٨٤٥ م. وكان الشرط الأساسي لتولي مناصب الملوك والوزراء هو الحصول على شهادة جامعية في الدراسات الإسلامية قبل التربع على عرش البلاد. ولا تزال توجد حتى يومنا هذا الأماكن والآثار التاريخية التي تحمل أسماء عربية وفارسية، كما قامت المحاكم على أسس إسلامية. وكانت النساء حتى غير المسلمات فيها يلبسن النقاب.

وقد احتل الملك البورمي بوردبابا أركان عام ١٧٨٤ ميلادية حيث تعرض المسلمون للمذابح وطمس المعالم الإسلامية بالمنطقة واحلال الطابع البوذي مكانها. وقد حصلت بورما على الحكم الداخلي من بريطانيا عام ١٩٣٧ م فعادت السيطرة والهيمنة البورمية في أركان على ما كانت عليه عام ١٧٨٤ ميلادية.

وعقب حصول أركان على الحكم الداخلي تعرض المسلمون فيها للمذابح على يد البورميين عام ١٩٣٧ م تحت رعاية الحزب الحاكم وتم هدم الكثير من المساجد والمدارس وأراضي الوقف والمراكز الدينية. ويقال إنه قد بلغ عدد ضحايا المذابح التي قام بها الماغ البوذيون خمسين ألفاً من الروهنجيين الذين سقطوا على مرأى وتأييد الزعماء البورماويين والماغ عام ١٩٤٢ م.

وبلغ عدد اللاجئين في البنغال ٦٠ ألف مواطن لم يَعُد أغلبهم إلى وطنهم الأم. ومع أن الروهانجيين قد ضحوا بأرواحهم في حركة الاستقلال إلا أنهم لم يتمكنوا من أن يسهموا على نحو فعال في شئون بورما بل لقد سجلهم الزعماء الوطنيون البورماويون في قائمة المواطنين غير الموثوق بهم بسبب صلابة شخصيتهم الإسلامية.

وقد أدرك زعماء الروهانجيين أن وجودهم في بورما أمر غير مقبول وفهموا أن سياسة إضفاء الطابع البورمي على جميع المواطنين تهدف إلى بسط سيادة وهيمنة البورميين فقط.

وفيما يلي استعراض لسياسة وممارسات القمع التي قام بها الزعماء البوذيون والماغ البورميون ضد مسلمي أركان.

عملية قوات بورما البرية:

كونت حكومة بورما في أعقاب الاستقلال كتيبة عسكرية في ٤ يناير ١٩٤٨ م مقرها المنطقة التي تسكنها أغلبية مسلمة شمالي أركان. وقد شاركت هذه الكتيبة القوات البورمية النظامية في غارات سلب ونهب وقتل واغتصاب ضد المسلمين تعرض فيها مئآت من مسلمي الروهنجيا للقتل والدفن ـ أحياء.

العمليات المسلحة المنظمة ضد المسلمين:

نظمت حكومة بورما تحت زعم استطلاع شئون الهجرة عمليات منظمة مختلفة تضم مسئولين من إدارة الهجرة ومن الشرطة والجيش لإرغام المسلمين على الهجرة تحت وطأة التعذيب والمضايقات والاعتقالات التعسفية على فترات متتالية اعتباراً من عام ١٩٥٥ م.

قصف السوق التجارية: قام الماجوركيومونج بقصف مقر السوق التجارية جودسورابازار بطلقات مدفعية. أحد الزوارق مما نسبت في مصرع ٢٧ شخصاً وجرح العديد من الذين كانوا فيه.

التدفق الجماعي للاجئين عام ١٩٧٨ م:

لجأ إلى بنجلاديش أكثر من ٢٥٠ ألف من المواطنين الروهنجيين بعد أن أرغمتهم أعمال القمع والاضطهاد والتعذيب على الهروب من وطنهم. وقد تم بناء على اتفاق ثنائي بين بورما وبنجلاديش توطين ١٨٠ ألف من هؤلاء اللاجئين في بنجلاديش، ورغم ذلك لا زال مسلمو الروهنجيين يتعرضون للمضايقات ومصادرة ممتلكاتهم في أركان بل ولا تزال خرائب منازلهم التي دمرتها الغارات وقراهم أطلالا دون اصلاح.

قانون المواطنة البورمي عام ١٩٨٢:

يعتبر قانون المواطنة البورمي الذي أصدرته الحكومة عام ١٩٨٢ م أحد الأدوات التي تسعى بها الحكومة البورماوية إلى إرغام مسلمي الروهنجيين على الفرار من موطنهم الأصلي وذلك بممارسة التفرقة العنصرية ضدهم بحرمانهم من الوظائف الحكومية أو الاسهام في المجالات السياسية والاقتصادية وممارسة القمع والاضطهاد ضدهم بالطرق القانونية.

حركات المجاهدين:

لما كان زعماء جالية الروهانجيا واثقين من عدم وجود ضمان

لعقيدتهم وحياتهم وممتلكاتهم في وطنهم بدأوا صراعاً مسلحاً ضد أنظمة الحكم البورمية بعد الاستقلال وكان (شاهد أول غفور) أول زعيم لحركة المجاهدين حيث قام بتنظيم الشباب وسلحهم بالأسلحة حيث عملوا فترة أربع سنوات ـ ثم قام (عباس سب يلومين) رحمه الله بتأليف حزب أسماه مجلس الجهاد ظل يحارب السلطات البورمية عشر سنوات وإن لم يكن ذلك كله حرباً متصلة.

ثم انقسم الحزب مع مضي الوقت إلى فئات كثيرة فظهر حزب قاسم رضا وغيره من الأحزاب ولكنها لم تستمر طويلاً. ثم نظّم (ثاني غفور) الشباب ثانية في عهد (ني ون) حيث قاتلوا لفترة من الوقت ولكنهم لم يستمروا طويلاً لعدم قيام تضامن بين قادة المقاومة.

وازاء ذلك اضطر النظام الحاكم في بورما إلى بحث حالة الروهنجيا وفيما يلي نتائج حركات المجاهدين.

١ ـ تمت الموافقة على إذاعة برنامج للروهونجيا في محطة إذاعة بورما.

٢ ـ صدر شبيه اعتراف من الحكومة البرلمانية بجالية الروهنجيين..

٣ ـ الموافقة على شبه تمثيل للروهنجيا في الاحتفال بيوم الوحدة.

٤ ـ تقديم بعض التسهيلات التعليمية والاقتصادية للروهانجيين.

٥ ـ منح إدارة حدود مستقلة للروهانجيين بعد أن كانت هذه الإدارات قاصرة على الروهنجيا والماغ الذين كان يقومون بتنفيذ سياسة النظام العنصري الحاكم بهدف تصفية المسلمين وقد كانت هذه الامتيازات والحقوق بمثابة وسيلة لحمل المجاهدين على تسليم أسلحتهم والتزام الهدوء إذ سرعان ما سحبت حكومة (ني ون) هذه الامتيازات ثم عادت الحكومة على الروهانجيين بهدف قتلهم على أيدي البورميين والماغ. وكانت حركة

المجاهدين قد بدأت في أعقاب الاستقلال على أساس قومي وتتمثل في الرابطة الإسلامية التي تضم معظم المسلمين أو رابطة بورما، التي تضم الهندوس وبقية المسلمين ولكن الفشل كان مصير الحركة التي اعتمدت على الأسلحة والتكتيكات العسكرية وأهملت المباديء الإسلامية وركزت اهتماماتها على النواحي المادية دون غيرها.

جبهة روهانجيا الوطنية:

عام ١٩٧٥ م تألفت الجبهة بعد انضمام ٣١ من خريجي الجامعات من أطباء وأساتذة ومحامين إلى النضال المسلح بالاضافة إلى ٧٥ اخرين من الحاصلين على الثانوية، وقد كانت «قوة استقلال روهنجيا» إحدى جماعات النضال على حافة النهاية وقد ظلت جبهة روهنجيا الوطنية بدون لائحة لمدة ثلاثة أعوام مما أدى إلى تخلخل إدارتها. وقد اضطر السيد غفار خلال اجتماع اللجنة المركزية إلى إعداد لائحة للجماعة وتعددت الآراء حول المبدأ الذي ينبغي أن تقوم عليه هذه اللائحة التي كانت تنص على قيام رئيس ومجلس ولجنة تنفيذية مركزية.

وقد اختلف السيد غفار (عبد الغفار) مع عدد من الشخصيات الرئيسية وأنه اختار أعضاء المجلس من مناصريه حتى يضمن انتخابهم له - فيما قيل - ومن ثم تم انتخابه رئيساً لجبهة روهانجيا الوطنية.

كما أصبح الشيخ شفيق أحمد رئيس المجلس.

وبعد كشف التخطيط المنسوب للسيد غفار انسحبت معظم الشخصيات القيادية من الجهة.

وفي عام ١٩٧٨ م بدأ تدفق لاجئي الروهنجيا على بنغلادش. ورغم محاولة إضفاء الطابع الإسلامي على الجبهة فقد توالى الانقسام، وساد

الشقاق بين أعضائها وانحاز بعضهم الى جهات عربية معينة، وانحاز بعض الى جهات أخرى منافسة.

الاضطهاد الحالي:

لقد أصبح مسلمو بورما وخاصة الروهانجيين ضحايا للتفرقة العنصرية والتعصب الذي يسود الدولة. والهدف من وجود قوات ملتفة مناهضة للمسلمين في أركان هو جعل حياة الروهنجيين غير محتملة بل وسيئة إلى الحد الذي لا يجدون معه مناصاً من مغادرة البلاد بعد أن هبط مستواهم الاجتماعي والاقتصادي وتعرضوا للاضطهاد الديني والتعسف السياسي كما تعرض الكثيرون من المواطنين الروهنجيين الأبرياء في أركان لضغوط يصعب تحملها. ومن ذلك:

من الناحية الاجتماعية:

أ ـ محظور على مسلمي الروهنجيا السعي الموحد لتحقيق أهدافهم الاجتماعية بل لقد حظرت الحكومة جميع أنشطة منظمات الروهنجيا الاجتماعية.

ب ـ تواصل القوات المناهضة للمسلمين بذل جهودها المستمرة لاشاعة الخلاف بين صفوف المسلمين.

جـ ـ تشوه وسائل الاعلام الخاضعة لاشراف الحكومة صورة المسلمين بطريقة قبيحة تجعل الآخرين ينظرون إليها في ازدراء وكراهية.

د ـ يتعرضون لسلسلة لا تنتهي من أعمال الشغب المناهضة والتي تكاد تتكرر بصفة دورية وتذهب ضحيتها الأرواح والممتلكات. ولم تتخذ السلطات أية إجراءات أمنية لحماية المسلمين.

هـ ـ يطوف الجنود البورماويون وهيئات التنفيذ القضائي وسفاحو (الماغ)

البوذيين بأنحاء القرى المسلمة حيث يقومون باذلال كبار السن وضرب الشباب المسلم ودخول المنازل وسلب الممتلكات.

و ـ يتم إرغام المسلمين على تقديم الأرز والدواجن والماعز وحطب النار ومواد البناء بالمجان طوال العام إلى الجنود وهيئات التنفيذ القانونية.

ز ـ يضطر الروهنجيون مرغمين إلى القيام ببعض الأعمال الشاقة كحمّالين وعمال في بناء الطرق والسدود والعمائر بل يتم جذب جماهير النساء عنوة من منازلهن إلى مواقع العمل كما اذاع ذلك المسلمون أنفسهم.

حـ ـ غير مسموح للمسلمين بالانتقال من مكان إلى آخر أو من مركز شرطة إلى آخر دون تصريح وهذا أمر ليس الحصول عليه سهلاً.

ط ـ يُحدث المستوطنون الجدد غير المسلمين فوضى بين المسلمين وذلك بازعاجهم بشتى الطرق.

ي ـ يتعرض الطلبة المسلمون للهجوم البدني من زملائهم طلبة المدرسة ورفاقهم دون أن تتخذ إدارة المدرسة أي إجراء ضدهم.

من الناحية الاقتصادية:

أ ـ تصادر أراضي المسلمين استناداً إلى أسس واهية حيث تقام مكانها مستوطنات غير إسلامية.

ب ـ مصادرة قوارب صيد السمك المملوكة للمسلمين دون سبب مقبول.

جـ ـ فرض ضرائب عالية على الأراضي الزراعية للروهنجيا لا تكاد أثمان محصولاتهم تستطيع توفيرها.

هـ ـ يتعرض الباعة المتجولون للضرب والسلب من المرتزقة.

من الناحية الدينية:

أ - غير مسموح للمسلمين الروهانجيين بالانتقال من مكان إلى آخر لممارسة أنشطة الدعوة.

ب - تصادر الحكومة ممتلكات الأوقاف والمقابر المخصصة لـدفن المسلمين لتوزعها على غير المسلمين من أبناء الشعب.

حـ - يتعرض كبار رجال الدين للامتهان والضرب وإرغامهم على العمل في معسكرات الاعتقال.

د - يدخل الجنود المساجد والمدارس وهم يلبسون أحذيتهم وقد يحملون زجاجات الخمر.

هـ - غير مسموح الأذان للصلاة باستخدام مكبرات الصوت.

د - تتدخل الحكومة بطريقة غير مشروعة في إدارة المساجد والمدارس بهدف فرض إرادتها عليها.

هـ - غير مسموح للأشخاص بأداء فريضة الحج باستثناء قلة من الأفراد الذي تعرفهم الحكومة وترضى عن سلوكهم.

من الناحية السياسية:

أ - غير مسموح للمسلمين الروهانجيين بتكوين أي حزب سياسي خاص بهم للاهتمام بمصالحهم.

ب - لا يتمتع الروهانجيون بالانتخاب أو التعيين في البرلمان الذي لا يوجد بين أعضائه الذين يناهزون خمسمائة أي واحد منهم.

جـ - لا يتم تجنيد الرهونجيين في خدمات الدفاع كما أنهم يعانون التفرقة العنصرية في مجال الخدمة المدنية إذ لا يتمتع الروهنجيون بأية مناصب سياسية.

د ـ لا يتمتع الروهنجيون بالمساواة مع البورميين أمام القانون حيث تتلقى المحاكم وهيئات التنفيذ الفضائي توجيهات السلطات المسئولة قبل التصرف في شئونهم.

هـ ـ يعتبر الروهانجيون مهاجرين غير شرعيين يتعرضون لعمليات مسلحة دورية باسم التحقيق ويعانون القمع مما يضطرهم إلى الهجرة جماعات من البلاد.

حالة ركود:

والآن ما هي حالة الجهاد أو حتى المقاومة من المسلمين الروهانجيين ضد الحكومة البورماوية؟

الجواب: أنها في حالة ركود، وإن شئت الدقة قلت: إنها في حالة خمود، فليس هنالك في الوقت الحاضر جهاد بالسلاح، وقد يقال: إن لذلك سبباً من وجود بعض المجاهدين في بنغلادش التي تعاني من الضعف، ومن وجود مشكلات عديدة تعتبر أن حلها هو فوق طاقتها، ولذلك ربما لا تريد أن تزيد تلك الأعباء بالعبء الذي قد يفرضه انطلاق المجاهدين الروهنجيين من أراضيها. فهي في هذا الأمر مثلها مثل جبهة تحرير فطاني في جنوب تايلند وموقف دولة ماليزيا المسلمة منها

غير أن هذا على وضوحه ليس هو كل ما في الموضوع، لأن بلاد (أركان) بلاد جبلية واسعة وفيها أماكن وعرة يمكن للمسلمين المجاهدين المخلصين أن يلجأوا إليها.

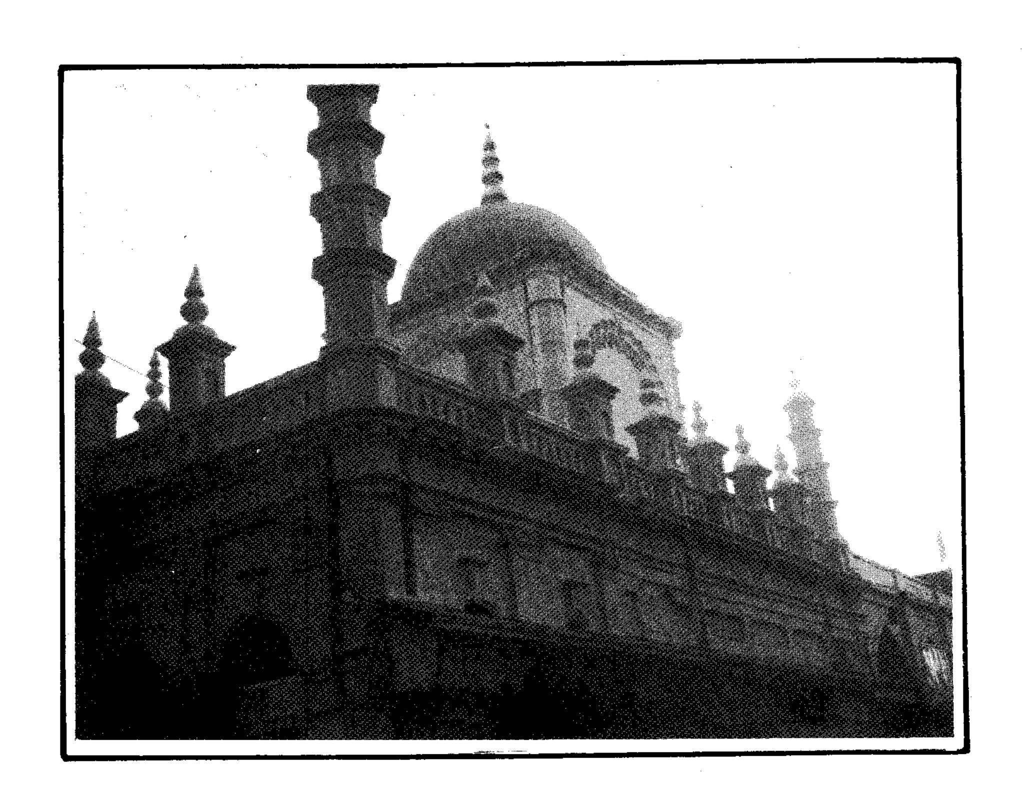
غير أن الجمعيات التي تدعي أنها تنطق باسمهم في خارج بورما، يقيم بعضها في بنغلادش وبعضها خارجها قد انقسمت على نفسها، وعم التخاصم والتفرق زعماءها حتى إنهم لم يستطيعوا الاجتماع في منظمة واحدة

إلا لمدة قصيرة لا يلبثون أن ينشقوا داخلها. واقتصر نشاطها الملموس في أكثر الأحيان على اصدار المنشورات والبيانات. وكان من الحكمة في مثل هذا الأمر أنه إذا تعذر الجهاد بالسيف في مثل هذه الحالة فإنه يمكن الجهاد بالقلم. عن طريق توجيه نشاط الجمعيات الإسلامية المكافحة إلى الثقافة والعلم بفتح المدارس واستقبال الطلاب وتعليمهم، وإن كان الأمر يحتاج في حالة بورما إلى شيء من الاجراءآت غير المعتادة لأن الحكومة البورماوية تمنع الطلاب من السفر خارج البلاد لتلقي العلم، ولكن ذلك لا يحول دون استطاعة بعضهم الخروج ولو عن طريق التسلل من الحدود أو الخروج بحجة أو بأخرى.

إلا أن الجمعيات الروهانيجية القائمة في الوقت الحاضر لم تستطع حتى القيام بهذا الأمر.

ونسأل الله تعالى أن يلهمهم الصواب، ويوفقهم للجهاد بشتى طرقه من الجهاد باليد واللسان، إنه على كل شيء قدير.

على أن هذا لا يمنع من القول بأن بعض الإخوة المسلمين داخل بورما قد استمروا في المحافظة على بعض مدارسهم وأصروا على استمرارها في تعليم الدين الإسلامي واللغة العربية رغم ضعف الامكانات والتضييق الثقافي لأن الحكومة البورماوية لا تتدخل في مناهج المدارس الإسلامية إذا لم تكن تدرس ما يمس سياستها أو يذكر حكامها بما لا يريدون أن يذكروا به.



كما يقول أهل أركان:

وهذا هو البيان الذي وعدنا بعرضه على القاريء الكريم وقد صدر على هيئة منشور أصدره الأخوة الروهانجيون وهم أهل اركان في بورما يشرحون فيه قضيتهم ويبينون فيه ملخصاً لتاريخ بلادهم.

ولسنا في موضع مناقشته، أو تدقيق ما جاء فيه، وإنما نحن بصدد عرض قضية المسلمين في أركان حسبما رووها بأنفسهم فأرجو النظر إلى ما جاء فيه على هذا الأساس.



(١) المقدمة.

(٢) الوحدات السياسية الحالية ببورما.

(٣) جدول تفصيلي تاريخي عن المسلمين في بورما

(٤) سكان روهنجيا.

(٥) معلومات عامة.

هذا المنشور من إصدار إدارة الاعلام والنشر بجبهة روهنجيا الوطنية ببورما.



المقدمة

إنه لمن المؤسف حقاً أن يرى العالم الإسلامي أن أكبر جماعة اسلامية أصيلة ببورما ما تزال تعيش في ظروف لا تقبلها الإنسانية. ويبدو أنه من الصعب جداً أن نحرر أنفسنا فوراً من عبودية الطغمة الحاكمة دون المساعدة الكبيرة من الخارج. لقد تحولت أرض بلادنا الأم إلى سجن جهنمي لنا والشيء الذي لا ينكره أحد هو أننا مسلمون حقيقيون ولنا ماضٍ عريق عمل أعداء الإسلام على محو آثاره.

إن استمرار تدهور الظروف والأوضاع في البلاد أرغم الروهانجيين على مقاومة ما تسمى بالحكومة الاشتراكية التي تنتهج سياسات مناهضة للإسلام. وسنبذل كل غالٍ ونفيس من أجل قضيتنا العادلة وقد أصبحت المقاومة ثورة ويعود تاريخ حركتنا التحريرية إلى أربعين عاماً حيث قادها اسلافنا من الادغال الكثيفة بمنطقة أركان إن ثورتنا التي تقودها جبهة روهنجيا الوطنية ليست إلا الوريث الشرعي للمنظمة الأصلية التي تسمى «مجاهدي أركان» التي أسسها الشهيد محمد جعفر حسين والذي ينبغي علينا أن نكمل رسالته التي بدأها باعتبارنا محاربين من أجل نشر الإسلام.

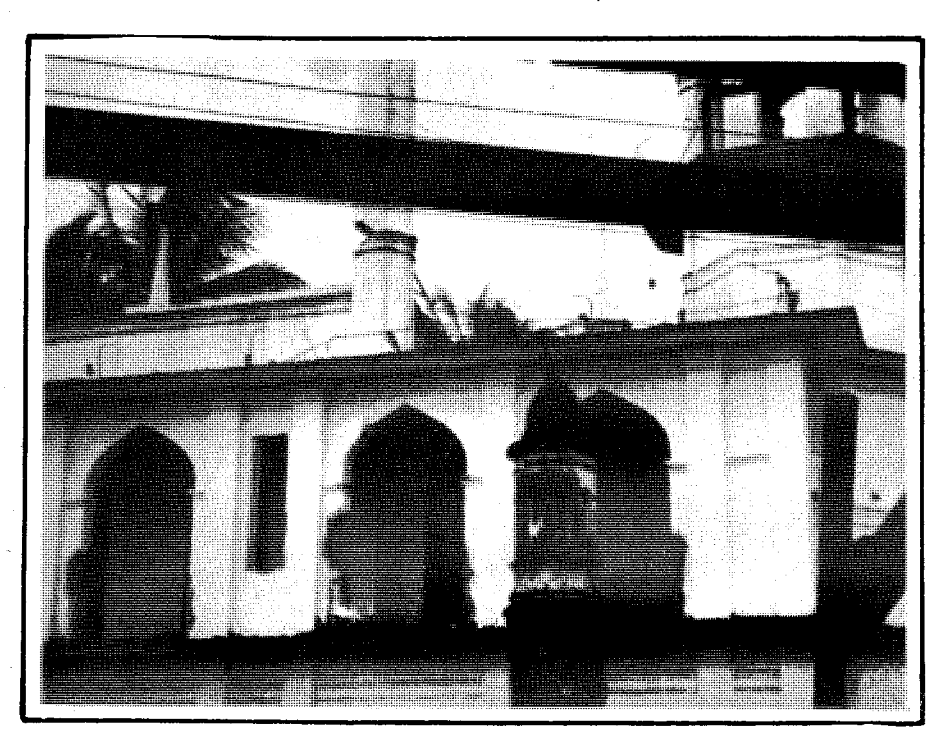
ولا نحتاج إلى أن نؤكّد على أن منطقة أركان منطقة منفصلة تمام الانفصال عن بقية بورما، من الناحية الجغرافية واللغوية والثقافية والمناخيَّة وذلك منذ فترة قديمة جداً ومن الناحية التاريخية نجد أن أقليم روهنجيا (أركان القديمة) كان بلداً مستقلاً في خارطة العالم القديم - وقد شمل استقلاله كل الجوانب وقد استمر الحال هكذا ألى أن غزا (بوداويا) ملك بورما البلاد سنة ١٧٨٤ م وذلك بتحريض وتعاون اثنين من المواطنين الروهانجيين الذين لا وطنية لهما. وقد قام جنود الملك بسلب ونهب عاصمة

روهنجيا. وقد أخذوا معهم آلاف الأسرى من الروهانجيين، وحملوهم معهم إلى مدينة آماربوره عاصمة البورماويين آنذاك وعندما كانت الجماعة الإسلامية قوية ولها سلطان تكاثرت ذرية هؤلاء وبلغت عشرات الآلاف.

ولقد حكم كل من بودابيا وخليفته بافيدو (١٨١٩ - ١٨٣٧ م) حكماً البلاد حكماً استبدادياً.

إن اقليم أركـان غُزِيَ أكثر من سبع عشرة مرة ولقد استمر الحال هكذا حتى مذبحة عام ١٩٤٢ م البشعة.

وتعتبر منطقة أركـان هي المنطقة الوحيدة التي يسكنها عدد كبير من المسلمين أما بقية المسلمين في بورما فهم موزعون في جميع أنحاء البلاد مما يجعلهم يعيشون في حياة عدمْ اطمئنان دائم وعليه يكون من الصعب عليهم أن يعدّوا مقاومة موحدة ضد القوات غير الإسلامية. ولكن المقاومة الموحدة ممكنة فقط في اقليم أركان.



مسجد جون دو بالقرب من مولين.

ولذا فنحن مقتنعون تماماً بـأن ما يتحدث عنه الروهانجيون اليوم سيتحدث عنه بقية أفراد الشعب ببورما غداً.

وبمشيئة الله عندما يتحرر الروهانيجون فإن بقية إخواننا المضطهدين في بورما سوف يتحررون من قبضة الطغمة العسكرية الحاكمة .

ولقد أصبح الموضوع مسألة زمن فقط. ومن المعلوم أن طريق الثورة ليس ممهداً بالورود. ولكي تنقذ شعباً فإنك تحتاج إلى سنين طويلة ومليئة بالمشاق ونحن نعلم أنه مضى حتى الآن عقدان كاملان على هذه الثورة ولن نبالي بما يأتي ونحن مصرون على الاستمرار في معركة الحياة أو الموت هذه حتى ولو اضطررنا الى الاستمرار فيها لقرن كامل.

والهدف من وراء هذا البيان التعريفي هو تنبيه الهيئآت الدولية ذات الضمير الحسيّ بصفة عامة والشعوب الإسلامية بصفة خاصة إلى التكتيك أو الأسلوب الخادع الذي ظلت تسير عليه حكومة بـورما قبـل وبعد الاستقلال من أجل الإضعاف المنظم والتدريجي لقوة المسلمـين وذلك بتقليل عددهم عن طريق تقارير الاحصاءات المغيّرَة والمعدَّلة والهدف الخفي من وراء كل ذلك هو تصفية الإسلام والمسلمين من دولة بورما الاشتراكية وما تقوم به حكومة بورما من تعاملات خادعة مع المسلمين هو مجرد دعاية كاذبة.

بيان بأصول المسلمين

الرقم واسم السلالة	الأصل	اللغة	الثقافة والحضارة	الزي	المكان	التاريخ
١ -زريادي	عرب	بورماية	الاسلام	بورماوي	معظمهم في الأقسام ماندالي رانقوم ديفيو ايراوادي وميقوي والولايات شان ومون	لقد استقر دعاة الاسلام والتجار العرب الذين جاءوا الى بورما قبل اكثر من الف سنة
٢ - باتي	عرب	بورماوية	الاسلام	بورماوي	نفس المناطق التي سيكنها زريادي	لهم نفس تاريخ زريادي
٣ -كاوثالي	اسام وماثيور	بورماوية	الاسلام	بورماوي		هاجمت بورما روهنيقا سنة ١٣٢٧ م واستولوا على روهنيفا من راميري وذهبوا إلى مانيور وأسام بعد أن القوا القبض على عدد من المسلمّين هناك أحضرهم الملك إلى بورما ويعرف المسلمون من هذا الأصل بالكاوتولي
٤ -سيلوني	سيلون	بورماوية	الاسلام	بورماوي	نفس المكان سلالة	أتوا إلى بورما قبل آلاف السنين

٥ ـ الهنود الأوائل	بياتاوي بياتا	بورماوية	الاسلام	بورماوي	نفس مكان زربادي	جاءت هذه السلالة في مطلع افرادها في المملكة
٦ ـ ننتونج كونتا	روهينقا	بورماوية	الاسلام	بورماوية	نفس المكان سلالة	في سنة ١٧٨٤ فتح بوداوبيه ملك بورما كما أسرى إلى العاصمة البورماوية حيث تكاثر عدد أفراد ذرياتهم .
٧ ـ بانثي	حيثى	بورماوية حيثيه	الاسلام	بورماوي صيني	يسكن معظمهم في بورما العليا	لقد جاء أفراد هذه السلالة من أوثان ستكيتانج قبل ألف سنة .
٨ ـ شان	شان	بورماوية شاتية	الاسلام	شالتي وبورماوي	يسكن معظمهم من ولاية شان	
٩ ـ كاشين	كاشين	كاشينية وبورماوية	الاسلام	كاشيني وبورماوي	يسكن معظمهم في ولاية شان	
١٠ ـ كارين	كارين	كارينية بورماوية	الاسلام	كاريني وبورماوي	يسكن معظمهم في ولاية كارن وقسم بقو وايرزاوادي وولاية مون ونناسيرن	
١١ ـ كاياه	كاياه	كاياه بورماوية	الاسلام	كاياه بورماوي	يسكن معظمهم في ولاية كاياه	

١٢ - جين	جين	جينية بورماوية روهانفية	الاسلام	جيني بورماوي روهانقي	يسكن معظمهم في ولاية جين	
١٣ - فورقة	نيبالي	نبيالية بورماوية	الاسلام	نيبالي البورماوي	يسكن معظمهم في ولاية كاشين وولاية شان	
١٤ - موت تالتج	مون	بورماوية	الاسلام	بورماوي	يسكن معظمهم في ولاية مون وقسم تناسرين	
١٥ - مولمين	روهنجيا	بورماوية روهنجية	الاسلام	بورماوي	يسكن معظمهم في ولاية مون وولاية بغيو وقسم تناسير ن	
١٦ - باشو	ملاوي	باشو وروماوية	الاسلام	باشو بورماوي	يسكن معظمهم في قسم تناسرين وولاية مون	هنالك أوجه شبه تاريخية بين المسلمين في أركان وأخوانهم في تناسرين ومون ولقد كانوا تابعين إلى ملك روهينيقا في القرن السادس عشر وحكمهم بعد ذلك ونظراً لأن الجزء الجنوبي من بورما يعتبر امتداداً بشبه جزيرة ملاوي فلقد عرفت ناريخياً بأنها حكمت من قبل من جانب ملك ملاوي . إن روهينيقا

تابع سلامة الباشو						(أركان) وجنوبي بورما وجزيرة ملاوي كانت بينهم علاقة طيبة في الفترة الأولى وهناك ثقافة وتقاليد مشتركة ما تزال موجودة بين الجماعات في هذا الإقليم ولقد فقدت هذه الجماعات فرصة تكوين نفسها مرة أخرى (أو كينونتها) تحت ظل الحكم الاستعماري البريطاني والهولندي والبرتقالي ولم يتمكن أفراد هذه الجماعات من الاتصال بأخوانهم أما الجماعات غير الإسلامية فوجدت فرصاً كثيرة لتكوين شخصياتها مرة أخرى.
١٧ ـ سالون	ملاوي	سالونية وبورماوية	الاسلام	بورماوي وهندي	يسكن معظمهم في تناسرين وولاية مون	
١٨ ـ الهنود	هندي	بورماوية وهندية	والاسلام	بورماوي وهندي	موزعون في جميع أنحاء بورما وبخاصة في وسط والجزء الأسفل	أتوا إلى بورما قبل فترة الحكم البريطاني

سكان روهنجيا

ينحدر الروهانجيون أساساً من ذرية العرب والموروالماليـزيين . وأخيراً أصبحوا أحفاد العرب والمور والماليزيين والمنغوليين والبورماويين والفرس والهنود والبنغاليين. ويتحدثون لغة روهنجيا ويستخـدمون في الكتابة لغة بورما واللغة الأردية وبدأت لغة الأردو تزول تدريجياً. الكبار والشباب يستخدمون لغة البورما في تخاطبهم وكتاباتهم هذا فضلاً عن لغتهم المحلية أو الخاصة بهم.

وقبل أن نذكر الإحصاءات للسكان علينا أن نتعرف على الحقائق التاريخية التي أثرت على وضعهم لقد تعرض الروهانجيون في أركان إلى غزوات كثيرة من بايو وشان وملوك بورما ولقد حدثت نتيجة لـذلك تغييرات كثيرة وإليكم الأحداث التاريخية باقليم أركـان (روهانيجا).

١ ـ في نهاية القرن العاشر غزا الملك بايو روهنجيا.

٢ ـ في ٩٧٦ م استولى الأمير تسال على إقليم روهنجيا.

٣ ـ في ٩٧٦ م غزا ملك باماك البورماوي روهنجيا لأول مرة.

٤ ـ ١٠١٨ م غزا الملك باقان الثاني روهنجيا وحكم ٢٤ سنة .

٥ ـ في ١١٠٢ م غزا ملك الوتج سي روهنجيا.

٦ ـ في ١١١٨ م حارب البنغاليون بالتعاون مع الملكة جاكمة ـ حاربوا ملك روهنجيا وحكموا المنطقة.

٧ ـ في ١١٦٧ م غزا الملك شان روهنجيا لكن لم يوفق وقبض على الأسرى روهنجيا.

٨ ـ في سنة ١٢٩٤ م غزا الملك في شان روهنجيا مرة أخرى ولم يوفق في فتحها.

٩ ـ هاجم ملك بورما روهنجيا وأخذ معه السكان ١٣٢٧ م.

١٠ ـ ١٤٠٤ م غزا الملك من شو روهنجيا ولجأ ملك روهنجيا إلى ملك البنغال المسلم حيث اعتنق الملك «من صومن» الدين الإسلامي وأطلق عليه اسم سليمان شاه ودرس تعاليم الإسلام مدة وبعدها أصبح ابناً بالتبني للسلطان أحمد شاه ملك البنغال.

١١ ـ ١٤٣٩ م ساعد السلطان ناظر شاه، ملك البنغال وابن السلطان أحمد شاه ـ لقد ساعد شاه سليمان واعاد إليه العرش.

١٢ ـ ١٤٣٤ م حارب علي خان ملك روهنجيا البنغاليين واحتل أرضهم حتى وصل شيتاتونغ.

١٣ ـ ١٥٧٠ م حكم ملوك روهنجيا حتى وصلوا شيتاتونج.

١٤ ـ ١٦٦١ م لجأ شاه شوجا إلى أركان تحت حماية الملك موغ.

١٤ ـ ٢٦٦١ م لجأ شاه شوجا إلى أراكان تحت حماية ملك موغ.

١٥ ـ ١٦٦٦ م قام وكيل الملك في البنغال بمحاربة الروهانجيين واحتل جزءاً من أراضيهم.

١٦ ـ ١٧٨٤ م دوبايا هزم حكام روهنجيا ـ ومنذ تلك الفترة وحتى الاحتلال البريطاني حكم ملك روهنجيا، بوداوبايه لمدة أربعين سنة ولقد وقع ملك آفا اسيراً وأخذ إلى آفا والتي بها أكثر من ٣٧٠٠ من جنود ملك روهنجيا، وفي هذه الفترة تطبع «الموغ» بطباع البورماويين. وحلّت لغة البورما مكان لغة روهنجيا الأصلية.

١٧ ـ ١٨٢٤ م احتلت بريطانيا روهنجيا وشنت الحرب على ملوك بورما.

١٨ - ١٩٤٢ م - قتل مائة ألف من الروهانجيين على يد الوطنيين البوذيين المتعصبين الموجودين في بورما وماغ.

١٩ - ١٩٤٨ م - حصلت بورما على الاستقلال من بريطانيا بما في ذلك أركان وولايات الأقليات الأخرى.

ونظراً للحوادث المذكورة أعلاه فإن الروهانجيين و«الماغ» تمّ تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات - المجموعة الأولى سقطوا أسرى وأخذهم الغزاة والمجموعة الثانية شردوا إلى البنغال تحت وطأة الظلم والجبروت من قبل الغزاة أما المجموعة الثالثة فظلت باقية في وطنها.

وعندما غزا بوداريايا (أركان) لجأ آلاف من الروهانجيين والماغيين (ماغس) إلى البنغال وهؤلاء الروهانجيون يعرفون حالياً براوين في منطقة شيتاتونج ببنغلادش وما زالت لهم ثقافتهم الخاصة بهم ولهم منازل مختلفة. وبعد فترة عاد معظم الماغيين (ماغس) إلى بلادهم، بينما الروهانجيون ظلوا في البنغال.

ولقد أخذ بداوابايه معه ٣٧٠٠ من القوات الملكية الروهانجية كأسرى. ولقد تم اسكان هؤلاء في أماكن منفصلة في بورما ولقد قدم هؤلاء الجنود الروهانجيون خدمات جليلة مخلصة إلى ملك بورما إلى أن احتل الإنجليز بورما حينئذ قاتلهم الروهانجيون قتالاً شرساً. ويشكل ذرية هؤلاء الآن نسبة كبيرة من السكان المسلمين في بورما.

وعندما بدأت حركة بورما المستقلة اتفق قادة بورما مع اليابانيين على أن يتلقى البورماويون تدريباً عسكرياً في اليابان وبعد هذا التدريب عمت نشاطات الحركة المستقلة في جميع أنحاء بورما بمساعدة اليابانيين وبدلاً من تنظيم الروهانجيين في الحركة بالتعاون مع جماعة الماغس (ماغيين) عملوا على طردهم من بلادهم.

وكانت هناك أسباب تمكنهم من اتخاذ خطوات في هذا المجال وكان البورماويون ولعين بغزو الأقاليم الأخرى ومهاجمتها حيث غزوا اقليم أركان مرات عديدة وآخرها سنة ١٨٧٤ م عندما احتل ملك بورما أركان (روهنجيا) وحكمها لمدة ٤٠ سنة.

وفي هذه الفترة كسب البورماويون معظم الماغيين الذين اندمجوا بدورهم مع البورمايين ونتيجة لذلك ازدادت الكراهية الموجهة نحو الروهانجيين يوماً بعد يوم.

وفي أثناء الحركة المستقلة حدثت بعض المذابح في اقليم روهنجيا «أركان» حيث ذبح فيها عشرات الآلاف من بين الروهانجيين بلا رحمة وذلك سنة ١٩٤٢ م واضطر عدد مماثل من الروهانجيين إلى ترك ديارهم ولجأوا إلى البنغال ولم يعودوا قط إلى بلادهم.

وهذه الغارات والمذابح حدثت في أجزاء كثيرة من بورما وقد مات عدد كبير من المسلمين وبخاصة في بورما السفلى وفقد الكثيرون وأحرقت قرى كثيرة. وحتى بعد الاستقلال بدأ نظام بورما العنصري بالتعاون مع الماغيين. بدأ في شن العمليات العسكرية على الروهانجيين وذلك بهدف طردهم من بلادهم وهكذا اضطر الروهانجيون إلى ترك وطنهم وفروا ألى أي مكان تمكنوا من الوصول إليه.

وإليكم هذه العمليات العسكرية:

١ ـ عملية قوات بورما الاقليمية ١٩٤٩ م.

٢ ـ العملية المشتركة لادارة الهجرة والجيش ١٩٥٥ م.

٣ ـ عملية شوي كي ١٩٦٦ م.

٤ ـ عملية بوتن قو ١٩٥٩ م.

٥ ـ عملية كياجان ٦٦ ـ ١٩٦٧ م.

٦ ـ عملية تقازن جا ٦٧ ـ ١٩٦٨ م.

٧ ـ عملية بيات مون ١٩٦٢ ـ ١٩٧٠ م.

٨ ـ عملية يوموا أونج تان ١٩٧٣ م.

٩ ـ عملية سالي ٧٤ ـ ١٩٧٧ م.

١٠ ـ عملية الملك درافون ١٩٧٨ م.

١١ ـ عملية هينثا ١٩٧٩ م.

١٢ ـ عملية قانون ١٩٧٩ م .

١٣ ـ عملية قانون المواطنة أو الجنسية التي بدأت في أكتوبر ٨٢ ومستمرة حتى الآن.

وإليكم أيضاً قائمة بأعداد الروهانجيين والبلدان التي لجأوا إليها بعد الاستقلال وحتى الآن.

١ ـ بنغلادش	٣٤٨٨٣٦
٢ ـ الهند	٠٧٥٠٠٠
٣ ـ باكستان	١٧٥٠٠٠
٤ ـ المملكة العربية السعودية	١٥٠٠٠٠
٥ ـ دول الامارات	٠٢٥٠٠٠
٦ ـ بقية أقطار الشرق الأوسط	٠٥٠٠٠٠
٧ ـ تايلند	٠١٢٠٠٠
٨ ـ البلدان الآسيوية الأخرى	٠٠١٠٠٠
٩ ـ بقية بلدان العالم	٠٠٧٥٠٠
الجملة	٨٤٤٣٣٦

والاحصائيات التي أجرتها الحكومة لم تورد تعداد الروهانجيين رغم أنهم موجودون ببورما وذلك بهدف طردهم من بلادهم وبالاستمرار في العمليات. وفي إحصاء سنة ١٩١١ م كان تعداد الروهانجيين مساوياً تقريباً لتعداد الماغيين ولكن في سنة ١٩٧٣ م ذكر تقرير تعداد السكان أن الروهنجيين أصبحوا ثلث الماغيين.

وكان البريطانيون يحقدون على الروهانجيين في كل مجالات الإدارة لأنهم مسلمون. ويذكر التاريخ أن الروهانجيين كانوا يمثلون ٦٥٪ من جملة سكان روهانجيا (أركان) التي كانت مملكة اسلامية وذلك أثناء القرنين الرابع عشر والخامس عشر. ولكن رغم وجود الفرص السانحة لزيادة عدد الروهانجيين على عدد الماغيين فكيف أصبح الروهانجيون أقل من عدد الماغيين؟.

أثناء فترة الحكم البريطاني كان عدد الماغيين قليلاً والآن عدلت حكومة بورما قانون المواطنة والذي أصبح بموجبه أكثر الروهانجيين أجانب في أرضهم.

وإليكم قائمة بتعداد الروهانجيين في منطقة روهنجيا وذلك باستثناء الذين لجأوا إلى مختلف البلدان المجاورة والذين يسكنون داخل بورما.

عدد الروهانجيين لمنطقة روهانجيا (أركان)

المدينة	عدد السكان
١ ـ اكياب	٠٨٦٧٤٠
٢ ـ موتقدو	٣٨٣١٦٤
٣ ـ بونيدونج	٢٧٤٠٥٣
٤ ـ راثيدونج	٠٥٠٣٦١
٥ ـ كيوكاو	١١٨٨٩٤
٦ ـ يوناقيونت	٠٠٥٦٠٢
٧ ـ مويوهوتق	١١٩٣٥٣
٨ ـ منبيا	٠١٩٠٥٦
٩ ـ بوكتا	٠٦٠٣٨٩
١٠ ـ ميبيون	٠٠٦٩٠٢
١١ ـ كيوكيو	٠٠١٢٧٦٦
١٢ ـ راميري	٠٠١٢٨٨٩
١٣ ـ جدويه	٠٠١٠٥٢
١٤ ـ آت	١١٨
١٥ ـ ساندوي	١٧٦٩٦
١٦ ـ تونجوب	١٢٧
١٧ ـ قوا	١٢١٠
الجملة	١٠٧٠٢٧٢

وإليكم دراسة مقارنة بين الروهانجيين والماغيين من حيث النمو السكاني.

الروهانجيون	الماغيون
(١) الرجل يتزوج اكثر من زوجة	(١) الرجل يتزوج امرأة واحدة
(٢) متوسط الأطفال بالأسرة سبعة	(٢) متوسط الأطفال بالأسرة ثلاثة فقط
(٣) لم يحدث أن تحوّل المسلمون إلى بوذيين	(٣) وفي وقت السلم ترك كثير منهم البوذية واعتنقوا الاسلام باعداد كبيرة ولكن لقد قل هذا المعدل لدرجة ضئيلة جداً
(٤) الرجال والنساء لهم حق الزواج	(٤) لا يسمح للراهب والراهبة بالزواج وهؤلاء يمثلون ٢٠٪ من جملة السكان ، الماغيين.
(٥) يعملون بشدة	
(٦) حولوا ٨٠٪ من الغابات إلى أراضٍ زراعية	(٦) لا يعملون بشدة
(٧) طوّروا بأنفسهم ٨٠٪ من كل قطاع من قطاعات الاقتصاد المختلفة	
(٨) لم يحدث لهم أن تمَّ تحويلهم إلى سلالة أخرى	(٨) لقد حدُث أن تمَّ تحويل عدد كبير من الماغيين إلى بورماويين.

روهنجيا أقل الجماعات حظاً:

مما لا شك فيه أن كلمة روهنجيا اسم قديم لأركان وقد اشتقت كلمة أركان من روهنجيا ولقد قال بومونق تان لوين وهو مؤرخ مشهور لتاريخ أركـان. قال: إن كلمة أركان مشتقة من الكلمة العربية «ركن» وهو تشويه لكلمة «روهنجيا» ولكن رغم أن اسم أركـان والذي يعزى إلى العرب الذين سكنوا في هذه المنطقة يعتبر حقيقة تاريخية لا يمكن انتقادها.

ومن ناحية أخرى نجد أن أكياب وهو اسم الرئاسة الادارية لولاية أركـان نجد أنها من أصل فارسي (إيك آب) وتعني الأرض في مصب النهر وأيضاً فإن أصل كلمة «البنجاب» يعود إلى الفارسية «بينج آب» وتعني الأرض في مصب خمسة أنهار.

إن السكان الأصليين لأركان مسلمون وقد كونوا جماعة سميت روهنجيا والحقيقة التاريخية الناصعة هي أن الروهانجيين استقروا في منطقة أركان قبل (الماغ) البوذيين لفترة طويلة. ويمكننا أن نثبت آلاف المراجع التاريخية لدعم هذه الحقيقة التاريخية ولكن الشيء المدهش والمؤسف حقاً هو أن نظام رانجون العسكري الذي يترأسه الجنرال ني ون لا يبدي أي اهتمام للتاريخ وينكر كل القيم العالمية والحقوق الإنسانية وقد أعلن أن شعب روهنجيا الأصليين مهاجرون غير شرعيين أتوا من بنغلادش.

وإننا تعجب أليـست مشاكل جماعة روهنجيا اكثر خطورة من مشاكل أهل جنوب أفريقيا؟ اليس وضع جماعة روهنجيا أشد خطورة من وضع الفلسطينيين؟ وهل يعترف العالم لو قام الروس ـ بعد احتلالهم لأفغانستان ـ أعلنوا أن أهل أفغانستان الأصليين أجانب؟ وإن كانت الإجابة بـلا فبأي شيء يمكننا أن نصف الجنرال ون. في ادعائه بأن الروهانجيين ليسوا مواطنين شرعيين؟

ونود أن نثير سؤالاً آخر للأشخاص الانسانيين في هذا العالم؟ وكيف يكون رد فعل أي عاقل محب للسلام إذا قام أي بلد بتعديل قانون المواطنة أو الجنسية بعد ثلاثين عاماً من الاستقلال ونتيجة لذلك أعلن أن عدداً كبيراً من الناس الذين يعيشون هنالك لأكثر من ألف سنة ـ أعلنهم أجانب أو مواطنين غير شرعيين؟

وهذا هو الحال في موضوع قانون المواطنة الجديد الذي أصدره الجنرال ني ون وحكومته في التاسع من اكتوبر ١٩٨٢ م.

لقد صدر قانون المواطنة لاتحاد بورما لعام ١٩٤٨ م في ٤ يناير ١٩٤٨ م. تحت الرقم ٦٦ . أما المادة الثانية فكانت قانون المواطنة للاتحاد (الاختيار) لعام ١٩٤٨ م وقد صدر في ١٣ مايو ١٩٤٨ م باعتبارها المادة رقم ٢٦ ولقد كان الهدف الأول من المادة هو تعريف المواطنين وحقوقهم ومن ناحية أخرى أن هدف مادة المواطنة للاتحاد (الاختيار) كان حل مشاكل المهاجرين الذين كانوا في الاتحاد في فترة الاستقلال وعليهم أن يختاروا جنسية بورما إن كانوا يرغبون في ذلك.

أما الفقرة الثالثة من قانون المواطنة في الاتحاد فتنص على الآتي: «تحقيقاً لأهداف القسم الحادي عشر من الدستور ـ كل السلالات الأصلية ببورما والتي بحكم استقرارها قبل سنة ١٨٢٣ م ـ هذه السلالات لا تشعر بضرورة ترشيح أنفسهم كمواطنين ببورما ولا يحتاجون أيضاً أن يقدموا طلبات للحصول على الجنسية. ولكن أهل روهنجيا كانت لهم أسباب كثيرة تجعلهم يكذّبون حزب الحكومة الحاكم في تلك الفترة والذي كان يعرف باسم «حزب تاكن» وهو الحزب الذي تسلم الحكم من البريطانيين، وبمبادرة من جيش بورما.

تعرض أهل روهنجيا للمذابح في سنة ١٨٤٢ م ونجم عن هذه

المذبحة تدمير أكثر من أربعمائة قرية للمسلمين وقتل ساكنيها ولقد بلغ عدد اللاجئين الذين سجلوا أسماءهم في معسكر صاحب نجار بمنطقة دينا جبور ببنغلادسش ـ بلغ عددهم ثمانين الفاً (٨٠,٠٠٠). وفي مؤتمر بانلوتج طالب الروهانجيون بمثلين خاصين بهم الأمر الذي لم يرحب به الجنرال أونج سان، الرئيس المؤسس لحركة بورما المستقلة.

ولكن رغم كل ذلك ناشد الروهانجيون حكومة بورما بوضعهم في قائمة السلالات الأصلية لأنهم يعلمون أنهم مستوفون لكل الشروط التي تجعلهم سلالات أصلية. وعندما أصيب الروهانجيون بالاحباط بدأوا ثورة مسلحة تحت قيادة الشهيد جعفر حسين، ونظراً للمقاومة المسلحة التي شنها الروهانجيون المجاهدون توصلت حكومة بورما إلى إتفاق معهم وأكّد رئيس الوزراء (يونو) ادعاء الروهانجيين بأنهم سلالة أصلية وقد سمح باذاعة برنامج بلغة روهنجيا من إذاعة حكومة بورما ثلاث مرات في الأسبوع.

ونذكر هنا بعض قرارات ومداولات وبيانات البرلمان وحكومة بورما وكذلك تصريحات أعضاء البرلمان الشهيرين والتي تتعلق بأن الروهانجيين في بورما سلالة أصلية. ومن هذه الشواهد الآتي في ٢٥/ ٩/ ١٩٥٤ م أعلن يونو رئيس الوزراء في تلك الفترة ـ أعلن في إذاعة حكومة بورما قائلاً: «يوجد قسم أركان في الجانب الغربي لاتحاد بورما وتعتبر مونج دو ويوتدوينج مدينتين رئيسيتين بمنطقة اكياب بقسم أركان. وتجاور هذه المنطقة شرق باكستان (بنغلادش) وسكان المنطقة روهانجيون ودينهم الإسلام.».

وفي ١٩٥٥/١١/٤ م عندما كان يوبا سوي، وزير الدفاع السابق (رئيس رابطة الحرية الصامدة المناهضة للشعوب الفاشية) يلقي خطابه في اجتماع عام عقد بونج دو أعلن بمراجع تاريخية كافية ـ «أعلن الآتي» إن

الروهانجيين أقلية وطنية أصلية في اتحاد بورما ووضعهم مماثل لوضع مون وميانما وشان وكاشين وجين وكرن.

ويثبت التاريخ أنهم استقروا في بورما لفترة طويلة وهم شعب مخلص ويلتزمون بالقانون ويعيشون بسلام مع سائر الوطنيين الأصليين في الاتحاد».

وفي أثناء الحكومة البرلمانية التي ترأسها رئيس الوزراء يونو تمّ تكوين إدارة جديدة باسم ادارة حدود مايو في شمال أركان حيث يمثل الروهانجيون غالبية السكان.

وتورد الموسوعة (الكتاب التاسع) حول بورما (وهي من أعداد جمعية الترجمة في رانقون عاصمة بورما) في الصفحات ٨٩ ـ ٩٠ الآتي: في منطقة حدود مايو يبلغ عدد السكان ٤,٠٠٠,٠٠٠ أو ٥,٠٠٠٠٠ ومعظمهم مزارعون وصيادو أسماك و٧٥٪ من جملة هؤلاء السكان روهانجيون وتسكن في هذه المنطقة جماعات أخرى مثل رافاين (ماغ) ووينت ومرو ويدين الروهانجيون بالإسلام.

أما الماغ فدينهم البوذية وبقية السلالات وثنية.

ولقد ذكر أعضاء البرلمان في جلسات كثيرة أن الروهانجيين أقلية أصيلة ببورما. ويمكننا أن نذكر بعض مداولات ادارة النوّاب بهذا الشأن وهي:

١ ـ في الجمعية التأسيسية (البرلمان) ١٩٤٩ م.

طرح يوثان نيون وعضو برلماني مسلم ممثلاً لجنوب ماندلي ـ طرح السؤال الآتي: (٢٧٥) نظراً لوجود وزارة شئون الأقليات ضمن وزارات اتحاد بورما فهل تتفضل الحكومة بإجابتي ما هي أهداف هذه الوزارة؟

الاجابة: يجيب يو أونخ زان واي (ماغ) وزير الأقليات قائلاً: حماية

حقوق ومصالح الأقليات مثل رافاين (ماغ) ٢ - مون ٣ - روهنجيا ٤ - الهنود الصينيون المقيمون: كالا ٥ - الانجليز البورماويون ٦ - جيرخا ٧ - سالون ٨ - باشو (المسلمون).

٢ - وفي ١٧/ مايو/ ١٩٥٢ م وردت في مداولات البرلمان المجلد الأول الجلسة الخامسة الصحفة ٦٢ من إدارة الجنسيات سؤال يومونج سين وهو عضو برلماني لأكياب الشرقية والسؤال هو لمن انشئت وزارة الأقليات؟

فأجاب يوسو (ماغ) وزير الأقليات والتوطين قائلاً «انشئت وزارة الأقليات لحماية حقوق ومصالح رافاين ومون والروهانجيين وكالاس وجير خاص وسالون وباشو (المسلمون).

٣ - في العاشر من سبتمبر ١٩٥٢ م - مداولات البرلمان المجلد الثاني الجلسة الثانية عشرة:

القرار: الإدلاء باقتراح للحكومة. إلغاء وزارة الأقليات والتي عومل الروهانجيون بموجبها بأنهم أقلية.

سأل يوسو هلا أونج - عضو برلماني - كيوك بيو ما هي وزارة الأقليات؟

فأجابت الحكومة الآتي:

إن وزارة الأقليات تم تأسيسها لحماية حقوق وامتيازات راكاين ومون والروهانجيا وكلاس والانجليز البورماويين والقوخاز وباشو.

وبموجب ما ذكرناه نجد أن الحكومة الديمقراطية في تلك الفترة اكّدت الاقرار بحقوق وامتيازات الروهانجيين كأقلية أصلية. ونتيجة لذلك سلَّم مجاهدو روهنجيا المحبُّون للسلام - سلَّموا اسلحتهم للحكومة ومما لا شك

فيه أن الروهانجيين جماعة محبة للسلام وتود أن تعيش في البلاد التي ولد أفرادها فيها وهي أركان.

ألا يعتبر تسليم المجاهدين الأسلحة للحكومة بكل فرحة دليلاً كافياً على أنهم محبون للسلام ووطنيون في بورما؟

ولقد أعلن البرقادير (يونج جي)، نائب الأركان حرب، عندما كان يلقي خطابه في الاجتماع الذي أقيم في ١٩٦١/٧/٤ م بمناسبة تسليم المجاهدين لاسلحتهم لقد أعْلَنَ أن الروهانجيين أكثر مواطني بورما تهذيباً.

ولقد قامت إدارة حدود مايو ـ وهي ادارة تهتم بمستقبل منطقة مايو ـ قامت هذه الادارة بطبع وتوزيع هذا الخطاب التاريخي على أهل بورما.

ولقد أوضح امير فنذير في حديثه أن حكومة بورما كان لديها سوء فهم واحد وهو أن حركة مجاهدي روهنجيا تكرّس جهودها من أجل أن ينضم أعضاؤها إلى شرق باكستان (بنغلادش حالياً).

وهذا سيؤدي إلى فصل شمال أركان من بورما

ولكن ليست هذه هي الحقيقة على الإطلاق.

ولقد كانت وجهة النظر مبنية تماماً على فكرة خاطئة. وعليه أعلن (البر قادير يونج) نيابة عن حكومة بورما بأن الروهانجيين أكثر الجماعات حباً للسلام وأحد هذه الجماعات الأصلية في بورما، ولذا أعْتذِرُ نيابة عن الحكومة للروهانجيين على كل الأعمال الخاطئة التي قمنا بها ضدهم وذلك لأننا لم نكن مدركين للحقيقة. ومن اليوم فإن الروهانجيين لن يعاملوا بطريقة تختلف عن المعاملة مع السلالات الأصلية الأخرى في اتحاد بورما ـ مثل سلالة جين ومون وكارن.

ولقد استطرد البرقادير أن الروهانجيين كانوا على حق عندما حملوا

السلاح لأن حكومة بورما كان لها اعتقاد خاطيء ضدهم. والآن قبلنا الروهانجيين إخواناً لنا. وعليه فقد صرف النظر عن مادة ١٩٤٨ م وعليه أناشدكم أيها الروهانجيون بأن تصفحوا عنا وتنسوا الماضي وإني أعلم تماماً أن العمليات العسكرية قد سببت لكم المضايقات الكثيرة والحقت بمناطقكم الأضرار الكثيرة.

ورغم كل هذه الوعود والتأكيدات لم تنتهِ معاناة وأحزان الروهانجيين.

ففي سنة ١٩٦٢ وجهت ضربة على الروهانجيين بصورة مفاجئة حيث أستولى الجنرال (ني ون) على السلطة بالقوة وأطاح بالحكومة الديمقراطية التي كان يترأسها رئيس الوزراء (يو نو) والذي كان رئيساً أيضاً للمجلس الذي أعلن أنه مجلس شورى - وقد أنكر الجنرال كل الحقائق التاريخية الثابتة والقيم والحقوق الإنسانية ومنع بث برنامج روهنجيا من إذاعة روهنجيا كما حُظِرَتْ كل منظمات روهنجيا وهي: منظمة روهنجيا المتحدة وجمعية روهنجيا الثقافية وجميعة طلاب روهنجيا الجامعية وجمعية العلوم بروهنجيا وحزب العمل بروهنجيا ورابطة شباب روهنجيا وجمعية روهنجيا للرعاية الاجتماعية. أما إدارة حدود مايو فقد أعلنت بأنها إدارة غير قانونية، دون أن تبدي أية أسباب حول هذا الإعلان.

وبدون حياء أعلن القائد العام لما يسمى بالمجلس الثوري، مستر تي ون، أنّ الروهانجيين أجانب في بورما ولم يُبْـد أية أسباب متحدياً العدل وناكراً له.

وعلى ضوء الحقائق التاريخية فإننا نعجب كل العجب كيف يصدر الجنرال (ني ون)، حاكم رانقون المتسلط، قانون المواطنة الجديد اللا إنساني

والذي أصبح بموجبه الروهانجيون بلا وطن في بلادهم.

مما لا شك فيه أن قانون المواطنة الجديد لا يمثل إلّا طريقاً لإنكار الحقوق الأساسية للروهانجيين والمسلمين في بورما. ولقد ألغت حكومة بورما الجائرة قانونين كان معمولاً بهما في تلك الفترة وهما.

(أ) مادة مواطنة الاتحاد (الاختيار) لعام ١٩٤٨ م).

(ب) مادة مواطنة الاتحاد لعام ١٩٤٨ م. ولقد تمّ استبدال هاتين المادتين بقانون مواطنة بورما لعام ١٩٨٢ م والذي صدر في ٩/ ١٠/ ١٩٨٢ م.

وفي أثناء شرحه لهدف قانون مواطنة بورما ـ مخفياً نيته السيئة ـ فلقد أعلن الجنرال (ني ون) تاريخاً من صنعه الخاص ـ غير معروف لأي مؤرخ في العالم ولن يستطيع أن يدعم روايته المصطنعة باسم التاريخ بأية حقيقة تاريخية وأضاف الجنرال ني ون «إن هؤلاء الناس الأجانب (أي الروهانجيين) استقروا في أركان في ١٩٢٤ و ١٨٣٠ و ١٨٣٥ و ١٨٤٠ م ولقد ظلوا هنالك لأكثر من مائة سنة ولقد احتفظ أجدادهم وأسلافهم بجنسياتهم ولم يكونوا مواطنين ببورما وعلينا أن نتعاطف مع الذين ظلوا في هذا البلد لفترة طويلة ونمنحهم راحة العقل. ولقد أطلقنا عليهم مواطنين ضيوفاً في هذا القانون.

وكل من استمع إلى بيان (ني ون) هذا يدرك بكل سهولة سوء نيته. والسؤال المطروح أمامنا هو لو أرادت أقلية وطنية أن تحتفظ بثقافتها ودينها وتقاليدها هل يعتبر ذلك جريمة؟ أليست من الحكمة أن يعلن (ني ون) أن أسلافه الأجانب بمقدورهم أن يحتفظوا بعاداتهم الوطنية ودينهم رغم أنهم عاشوا في بورما أكثر من مائة سنة وذلك بحكم ثقافتهم العالية؟

ومن ناحية أخرى إذا كان التاريخ المشوه والخالي تماماً من الحقائق والذي ادعاه (ني ون) لو كان هذا التاريخ حقيقة فكيف يكون مقبولاً أن

تكون جماعة مواطنين ضيوفاً أو بلا وطن بينما نجدهم استقروا في أركـان قبل أكثر من مائة سنة؟

والاجابة البسيطة هي أن الروهانجيين لم يستقروا في أركـان منذ ١٨٢٤ م. وإذا كان (ني ون) يدرس التاريخ بصدق فلا بد أن يعرف أن مملكة الروهنجيا المستقلة بدأت عام ١٤٣٠ م وكان مؤسس هذه المملكة سليمان شاه.

ونرجو أيضاً من الجنرال (ني ون) أن يراجع تاريخ حكم أسرة ماروك يو والتي حكمت في الفترة من ١٤٣٠ إلى ١٧٨٤ وسليمان شاه أول حكامها. وسيرى أن العملة كانت مستخدمة في عهد ملوك ماروك منقوش عليها كلمة الدين الإسلامي كما أن هؤلاء الملوك حملوا القاباً اسلامية، وسوف يعلم الجنرال أيضاً أن اللغة الفارسية كانت لغة الدولة الرسمية أثناء فترة حكم أسرة مـاروك يـو ولقد دام الحال هكذا حتى ١٨٢٤ م عندما استولى البريطانيون على السلطة في أركـان.

ونرجو أيضاً من الجنرال (ني ون) أن يكف عن هذه التعليقات اللاأخلاقية والتي لا تستند على أية حقيقة تاريخية وذلك حتى لا يمس كرامة شعب بورما البطل المحب للسلام.

أهـ ولكن يا لسوء الحظ! أن شعب الروهانجيا ما زال يبحث بتشوق شديد عن اجابة: إلى متى سوف يتحمل الروهانجيون العمليات العسكرية بحجة قانون الهجرة غير المشروعة؟

ثم مضى البيان الذي أصدره الأخوة المسلمون في أركان المعروفون بالروهانجيين. فأعاد بيان الحملات العسكرية الرهيبة التي شنها حكام بورما على منطقة أركان فذكرها بالتفصيل وذكر ما أسفرت عنه من مآسٍ للشعب الروهانجي المسلم.

وبعد ذلك عـاد البيان إلى ذكـر الظلم والاجحـاف الذي لحق بالمسلمين هناك حيث حرموا حقوقهم التي حصل بقية الطوائف من سكان بورما على مثلها.

وذكر قرى المسلمين ومنازلهم التي دمرها الكفار من أهل بورما. وختم ذلـك ببيان شـامل يـوضح أسـماء المسلمين الـذين قتلهم كفار البورماويين وأماكن سكناهم وتاريخ قتلهم وذلك بطريقة موثقة.

وبهذا انتهى ما أردنـا نقله هنا من كـلام الأخوة البـورماويـين الروهانجيين عن قضيتهم وسنتبعه بما كتبناه عن الإسلام والمسلمين في بورما.



الإسلام والمسلمون في بورما



دخول الإسلام إلى بورما:

من المعروف أن دخول الإسلام إلى بورما جاء عن طريقين:

الأول: عن طريق رحلات مباشرة قام بها التجار من العرب والفرس من منطقة الخليج وجنوب الجزيرة العربية والتي كانت تنطلق قوافلهم من المدن الساحلية وبخاصة البصرة وسيراف إلى الموانيء والثغور البحرية والنهرية الممتدة من بحر العرب حتى الصين وجزر الهند الشرقية المعروفة حالياً بأندونيسيا وكانت بورما إحدى الطرق والممرات التي تسلكها القوافل التجارية المتجهة إلى الصين.

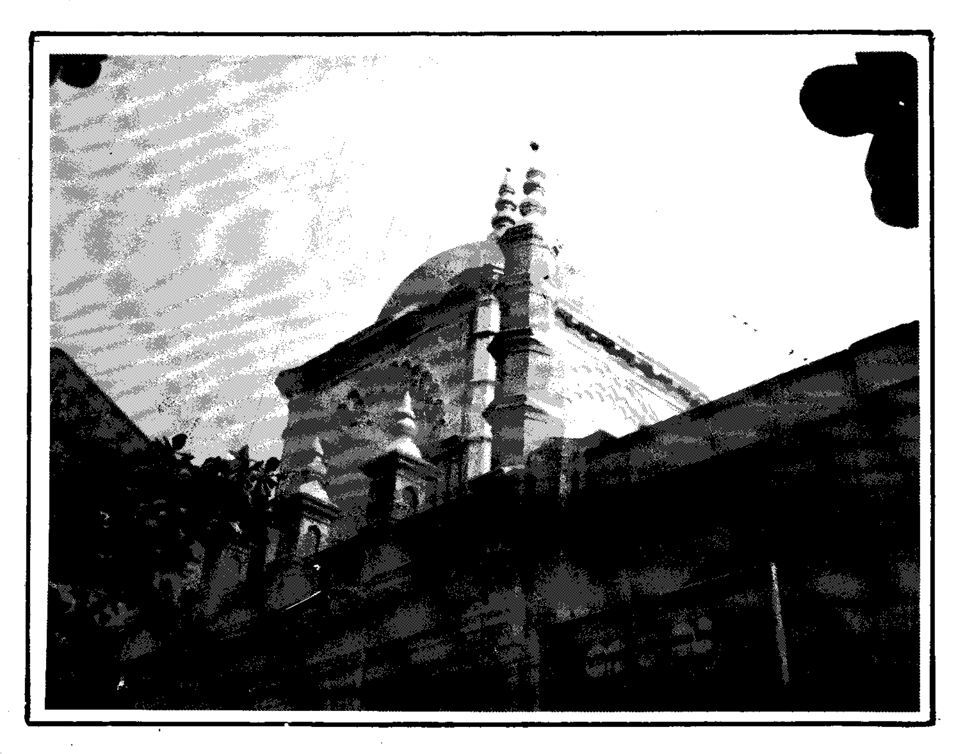
الثاني: عن طريق البنغال والهند ففي القرن الثالث عشر الميلادي عظم نفوذ البنغاليين والبهاريين المسلمين ونشطت تجارتهم في معظم بلاد الهند وإلى البلاد التي تليهم شرقاً وهي بلاد برمانيا «بورما».

وكان دخولهم عن طريق المنطقة الغربية من بورما والمسماة «أركان» ومن «أركان» انتقل الإسلام إلى معظم أنحاء بورما مع مجاري الأنهار وإلى سواحل الطرق المائية والبرية.

وإذا كان هناك من يؤرخ لدخول الإسلام إلى بورما بأنه بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي فإن بعض المصادر قد ذكرت أن عام ١٢٨٧ م (أي خلال القرن الثالث عشر الميلادي) يمثل بداية المد الإسلامي إلى بورما وذلك أن بعض ملوك «أركان» في ذاك الوقت اشتهروا بأسماء إسلامية ونقشت على العملات المتداولة في زمانهم كلمة التوحيد وهي: **«لا إله إلا الله محمد رسول الله»**.

كما أن هناك من يذكر أن تاريخ المد الإسلامي إلى بورما يعود إلى القرن التاسع الميلادي.

وعلى أية حال فقد مر الوجود الإسلامي في بورما بعصور زاهرة فقد كان المسلمون يهيمنون على النشاط التجاري ويمتلكون الكثير من الأراضي الزراعية والبساتين والمباني والعقارات وبخاصة في العاصمة وغيرها من المدن الكبرى الساحلية. حيث كانوا يملكون ما بين ٦٠ إلى ٧٠٪ من **العقارات الكبيرة في العاصمة «رانقون»: والدليل على ذلك وجود كلمة** بسم الله الرحمن الرحيم، مكتوبة بالأرقام على بعض هذه العبارات التي **ذهبت من المسلمين الآن وهي رقم (٧٨٦). ولم ينحسر هذا النفوذ** إلا منذ ثلاثين **عاماً** أو تزيد قليلاً وآخر وزارة تألفت في البلاد قبل ظهور **النزعات** القومية والاشتراكية أي منذ **ذلك** التاريخ كان يتولى فيها منصب الوزارة ثلاثة من الوزراء المسلمين.



الوجود الإسلامي المعاصر

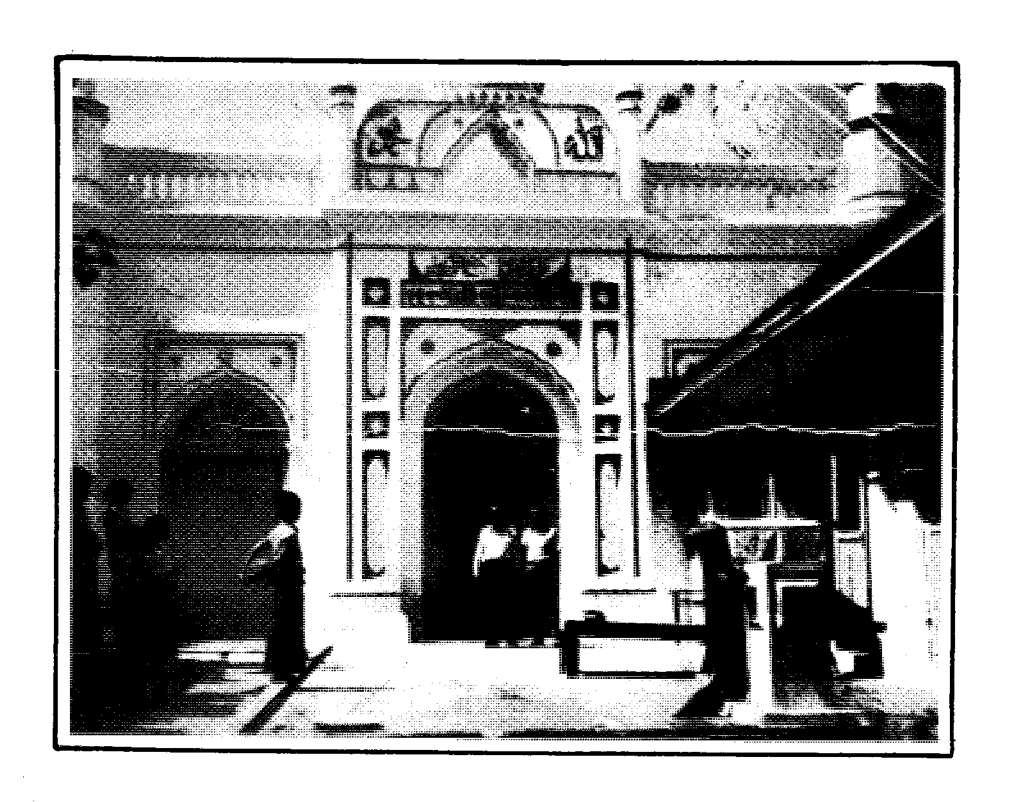
لا يزال الإسلام والحمد لله في بورما يثبت وجوده رغم وقوعه تحت نظام اشتراكي خانق للحريات وليست محنة بورما وقفاً على المسلمين وحدهم بل الشعب البورمي بمختلف طوائفه وأجناسه يود الخلاص والخروج من هذا الحبس الكبير.

وإن ما لمسناه خلال جولتنا بالعاصمة وغيرها من المدن التي توجد بها أعداد كبيرة من المسلمين كمدينة «ماندلي» يبعث الاطمئنان إلى المستقبل.

فالروح الإسلامية لا تزال قوية فياضة بمشاعر الحب والاعتزاز بهذا الدين القويم سيان في ذلك الشيخ والشاب والشخصية المسلمة في بورما لا تزال تحتفظ بسماتها وطابعها وتبرز بوضوح بما يميزها عن أبناء الطوائف الأخرى.

فالعاصمة «رانقون» التي يقارب عدد سكانها أربعة ملايين نسمة يعيش فيها ما يقرب من ثمانمائة ألف مسلم موزعين على مختلف أحيائها وبخاصة في الأحياء الكبيرة والهامة.

والمساجد تطل على الميادين الكبيرة والشوارع الرئيسية والمظهر العام للمدينة يدل على أن مكانة المسلمين بها كانت عالية وإذا كان المسلمون قد حرموا في ظل النظام والحكم الاشتراكي القائم من شغل المناصب الحكومية الكبيرة والهامة فإن وجودهم في الميدان الاقتصادي والتجاري لا يزال يترك بصماته في كل قطاع ومعظم المسلمين بالعاصمة يعملون بالتجارة والأعمال الحرة ولكن في نطاق محدود ويشغلون بعض الوظائف الحكومية الصغيرة كما يعمل عدد كبير منهم في الشركات والفنادق والمحلات العامة.



وبالمقارنة بحالة المسلمين قبل الانقلاب العسكري الذي حدث عام **١٩٦٢** م وجاء بحكومة عسكرية اشتراكية متعصبة بقيادة الجنرال (ني ون) نذكر أنه كان في الحكومة الوطنية التي حكمت بورما بعد الاستقلال بقيادة (يو نو) ثلاثة وزراء ومنهم السيد عبد الرزاق الذي كان من الوزراء المؤثرين فيها.

أما الآن فليس فيها حتى وزير واحد مع أن الحكومة تعلن أن نسبة عدد المسلمين في بورما تبلغ ١٠٪ وأحياناً تنزل بهم عن ذلك قليلاً فتقول: إنهم **٣** ملايين من **٣٥** مليوناً هم مجموع سكان البلاد.

أما إخواننا المسلمون فإنهم يؤكدون أن نسبتهم لا تقل عن ١٢٪.

وقال لي أحد الإخوة المسلمين: إنه لولا خوف الحكومة البورمية الحاضرة من تأثير المعاملة السيئة للمسلمين في بورما على العلاقات القائمة ما بين بورما وبين ماليزيا وإندونيسيا في الوقت الحاضر لكانت معاملتها لهم أسوأ.

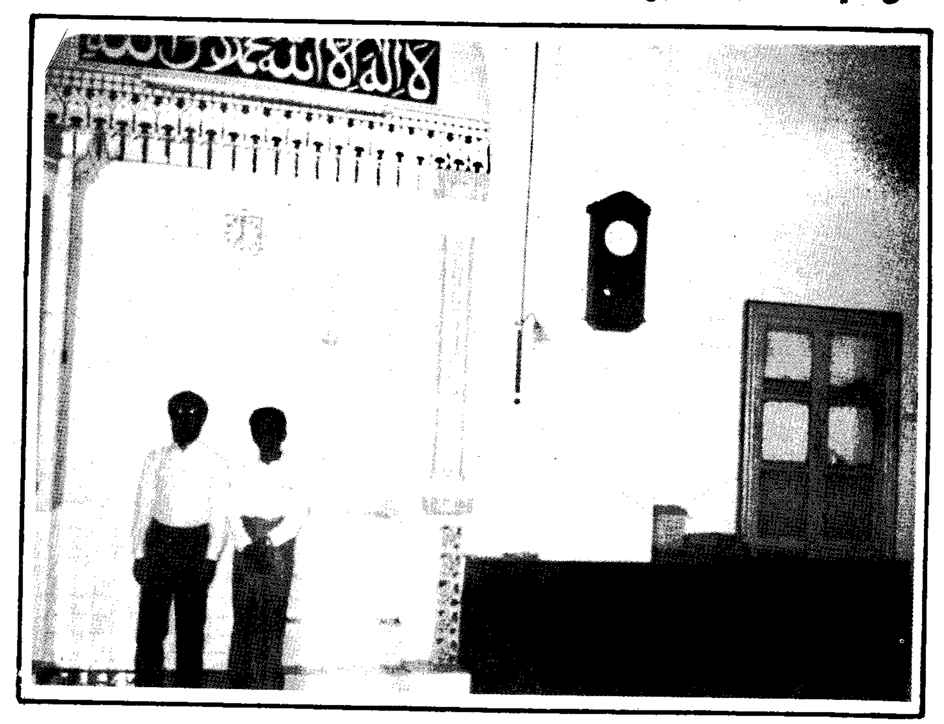
وذكر لنا اكثر من واحد وعرفنا ذلك بأنفسنا أن اكثر المسلمين يكون لهم اسمان: أحدهما إسلامي والآخر (بورماوي) **دفعاً** للحرج ولأن الاسم الإسلامي وحده يجر على صاحبه المتاعب.

ودلالة قوة الوجود الإسلامي في العاصمة يمثلها بجانب الثمانمائة ألف مسلم عدد من المراكز والهيئات الإسلامية ومن أهمها المنطلقات الأساسية للعمل الإسلامي وهي المساجد والمدارس الدينية وبخاصة مدارس تحفيظ القرآن الكريم.



ففي العاصمة وحدها مائة مسجد ومدرستان ثانـويتان وثمـانون مدرسة ابتدائية (كُتَّاب) لتحفيظ القرآن الكريم وثلاثة مستشفيات ومركز لاعداد الفتاة المسلمة مهنياً وثقافياً يسمى «مركز النساء الإسلامي» ودار لرعاية الأيتام وهي عبارة عن مدرسة دينية تتكفل بإعاشة ورعاية الأيتام ثقافياً وتربوياً أي أنها عبارة عن ملجأ ومدرسة في مستوى المـرحلتين الإبتدائية والثانوية وتعني عناية خاصة بالعلوم العربية والدينية أسسها أحد أثرياء المسلمين وأوقف بعض أملاكه عليها وذلك في عام ١٣٧٠ هـ كذلك توجد دار لرعاية الضعفاء والمـعمرين ملحقة بمسجد العزيزية وقد أوقفها أحد أغنياء المسلمين.

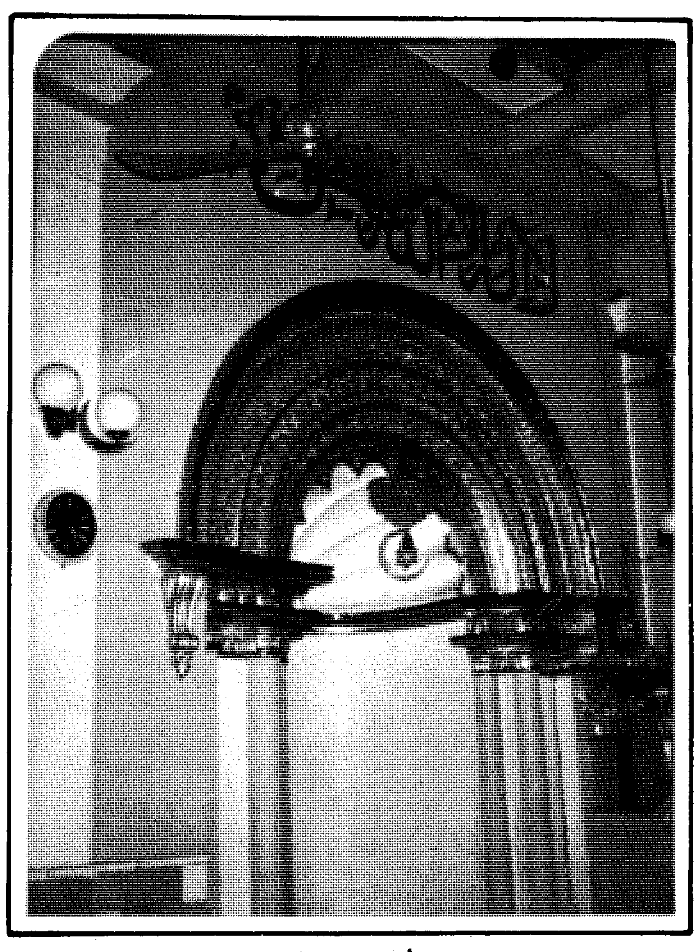
وفي مدينة (ماندلي) ٨١ مسجداً زرنا بعضها كما سيأتي ذلك في اليوميات وإن لم نقم باحصاء صحيح لها. إذ بعضهم يقول: إنها اقل من ذلك وعلى كل حال فإن نسبتها إلى نسبة عدد المسلمين بين سكان المدينة من غير المسلمين تعتبر نسبة جيدة.



في محراب أحد المساجد في ماندلي.

ولقد شملت جولتنا عند زيارتنا لبورما حيث دخلنا بصفة سياح زيارة كل هذه المؤسسات والتجول فيها وتفقد جميع مرافقها والالتقاء بالقائمين عليها والوقوف على كافة الآراء والمقترحات المتعلقة بأحوال المسلمين وسبل النهوض بهم.

هذا عن العاصمة ومدينة ماندلي أما عن المجموع الكلي للمساجد والمدارس الدينية التي تعني بصفة خاصة بتحفيظ القرآن الكريم والموزعة على عشرين منطقة بمختلف أنحاء البلاد فإنها بالاعتماد على بيان احصائي لجمعية علماء الإسلام أعدّه لنا أحد مسئولي الجمعية بالمركز الرئيسي بالعاصمة «رانقون» تبلغ ما يلي:



محراب أحد المساجد في رانقون.

أ ـ عدد المساجد: ٢٣٣٥ مسجداً:

ومن بين هذه المساجد مسجدان للشيعة أحدهما في العاصمة والآخر في مدينة «ماندلي» وهي تدل على هجرة قديمة لطائفة الشيعة إلى بورما والشيعة في بورما ينتمون إلى ثلاث طوائف وهم:

١ ـ الجعفرية أو الإمامية الإثنا عشرية.
٢ ـ البهرة.
٣ ـ الاسماعيلية (أتباع أغاخان)

وكما هو الحال في مجتمع الأقليات المسلمة بالعالم الذي توجد فيه جماعات من الشيعة فقد اتخذت إيران بعد قيام نظام الخميني من هؤلاء الجماعات ركائز لامتداد أفكار الثورة الايرانية فانشأت إيران ما يسمى بـ «دار أهل البيت» في أحد مساجد الشيعة بالعاصمة رانقون. ودار أهل البيت» مؤسسة حديثة مركزها الرئيسي طهران ولها فروع بمختلف أنحاء العالم عبر هذه الجماعات الشيعية وهذه الدار ومثيلاتها تتخذ منطلقات لنشر الفكر الشيعي الذي يستمد توجهه من إيران.

وقد وجدنا خلال جولتنا كثيراً من المطبوعات الإيرانية بلغة بورما. ولكن نشاطهم في بورما أقل بكثير مما هو عليه في تايلند ويرجع ذلك للقيود التي تفرضها الحكومة على نشاطات الأجانب كذلك يوجد معبد أو معبدان للطائفة القاديانية الكافرة يسمونها مسجدين وهذا يدل على وجود أتباع ونشاط للقاديانيين في بورما.

ب ـ عدد المدارس الدينية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم:

يبلغ عدد المدارس التي تعني بتحفيظ القرآن ١٦٨٩ مدرسة وقد أخبرنا بعض الأخوة المشتغلين بالعمل الإسلامي بمصادرة الحكومة لخمسمائة مدرسة عصرية كان يملكها المسلمون.

جـ - الهيئات والمراكز الإسلامية:

أولاً: جمعية علماء الإسلام: ومركزها الرئيسي بالعاصمة رانقون ولها فروع في مختلف أنحاء البلاد خاصة بالمدن التي توجد بها تجمعات اسلامية وقد زرنا المكتب الرئيسي للجمعية برانجون والمكتب الفرعي لها بمدينة «ماندلي» التي تبعد ٦٠٠ كليومتراً شمال العاصمة.

ولها فروع في جميع المدن التي فيها مسلمون في بورما.

وقد تأسست هذه الجمعية منذ ١٩١٦ م وأكثر أئمة وخطباء المساجد ومعلمي المدارس الدينية أعضاء بها ويبلغ عدد أعضاء الجمعية حالياً حوالي خمسة آلاف عضو.

ورئيس الجمعية الحالي هو الشيخ محمود داود يوسف ويشغل وظيفة المفتي كما يشغل عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

وعنوان الجمعية هو ما يلي:

JAMIANT ULOMA-EL-ISLAM (HEAD QUARTERS)

No. 18,28 TH. STREET. RANGOON

SOCIALIST REPUBLIC OF THE UNIONOF BURMA.

PHONE: 77447. CABLE: MUFTI.E. AZAM

خلاصة الحوار الذي تم بيننا وبين رؤساء المسلمين في هذه الجمعية حول أوضاع المسلمين في بورما

ويتركز هذا الحوار في النقاط التالية:

١ ـ تقسم الحكومة المواطنين إلى مراتب هي بالترتيب كما يلي:

أ ـ البوذيون.
ب ـ المسلمون المتحدرون من أصل بورماوي منذ القديم.
حـ ـ المسلمون المهاجرون من الهند وباكستان.

٢ ـ تضع الحكومة العوائق والعراقيل في طريق المسلمين للحيلولة دون وصولهم إلى المناصب الحكومية العالية.

٣ ـ لا توجد فروق بين المسلم وغير المسلم في غير الوظائف الحكومية ـ كالتجارة مثلاً.

٤ ـ بالنسبة للمسلمين البورماويين المقيمين بمكة المكرمة فحجة حكومة بورما أنهم هربوا من بلادهم بدون جوازات سفر عبر بنغلادش.

٥ ـ ليس بصحيح ما أشيع عن اجبار الحكومة للمسلمين على اعتناق البوذية.

٦ ـ لا تمانع السلطات الحاكمة في بورما من الوجود الإسلامي الحالي وإقامة المسلمين المواطنين ببورما ولكن لا تريد لهم القوة ولا تسمح بما يمكنهم من ذلك.

٧ ـ لا يسمح النظام القائم بإقامة المساجد الجديدة إلا في أماكن ليس بقربها مسجد، وعلى ندرة. وأخبرنا الإخوة المسلمون ان هذا ليس خاصاً بالمساجد، بل هكذا المعابد البوذية والكنائس لا يسمح ببنائها في مكان يكون بالقرب منها معبد بوذي أو كنيسة أي أن منع إقامة المساجد الجديدة ليس مطلقاً، ولكن المساجد كانت كثيرة من قبل، ولضعف المسلمين وتشدد الحكومة لا تبني مساجد جديدة.

٨ ـ أحرق البوذيون سبعة من المساجد الكبيرة وخمسة من المساجد الصغيرة

بمدينة (مالومين) جنوب العاصمة «رانقون» بغضاً وحسداً للمسلمين ويقال إن ذلك تم بتحريض من الهنود الهندوس الموجودين ببورما والمعادين للإسلام وذكر لنا السيد غازي هاشم أن المسلمين هناك شكوا أمرهم إلى الحكومة وانها عاقبت الجناة.

٩ ـ لا تسمح الحكومة لطبع الكتب الدينية وإصدار المطبوعات الإسلامية إلا بعد إجازتها من الجهات الحكومية وبصفة صعبة جداً والمسلمون ضعفاء مادياً والورق لا يوجد إلا عند الحكومة، وهي لا تأذن بذلك إلا على نطاق ضيق، ولأغـراض معينة.

١٠ ـ يمكن لأبناء المسلمين السفر لطلب العلم خارج بلادهم ولكن بطريق غير رسمي إذ لا تسمح الحكومة بإعطائهم الجوازات الرسمية للسفر لطلب علوم الدين.

١١ ـ لا يسمح بإلقاء المواعظ الدينية والمحاضرات في كل وقت وفي غير أماكن العبادة إلا للمسلمين فقط من أبناء البلاد ولكن لا يسمح للمبلغين من خارج البلاد أن يلقوا أية موعظة ولا أن يقومـوا بالدعوة.

١٢ ـ كان المبلغ المسلم أو الداعية يمنح بطاقات الركوب مع رفيق له بالسكك الحديدية وبالسفن والمراكب مجاناً.

وهذا النظام قديم معمول به قبل هذه الحكومة الحاضرة. وينتفع به أيضاً القسس من النصارى ورجال الدين من الطوائف الأخرى إلا أن المسلمين ليس لديهم في الوقت الحاضر إلا بطاقتان من هذا النوع وهما قديمتان:

١٣ ـ تساعد الحكومة الجمعيات الدينية المعترف بها من كل الأديان ومن ذلك بعض جمعيات المسلمين إذ تدفع سنوياً مائة الف (تشاك) للجمعيات وهي العملة البورمية عن طريق بعض الهيئات الحكومية،

وذلك من أجل استمرار التعرف على نشاط الجمعيات الإسلامية وابقائها تحت السيطرة. والدولار الأمريكي يساوي ٩ تشاك.

ثانياً: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية:



لافتة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في رانقون.

ومركزه الرئيسي بالعاصمة رانقون ورئيسه الحالي هو الأستاذ غازي هاشم.

وقد تأسس هذا المجلس في عام ١٩٧٢.

ويتركز نشاط المجلس على اصدار المطبوعات والنشرات الإسلامية التي لا يتعارض إصدارها مع سياسة الحكومة وعلى نطاق ضيق.

وهو على علاقة طيبة بالحكومة.

ويرى الأستاذ المذكور أن دعم المملكة لمسلمي بورما يمكن تلخيصه فيما يلي:

١ - تخصيص بعض المنح الدراسية لأبناء مسلمي بورما بالجامعات بالمملكة العربية السعودية.

٢ - دعوة بعض أعيان المسلمين في موسم الحج.

٣ - افتتاح سفارة للمملكة في رانقون.

٤ - أن تقوم المملكة بالدعم المادي والمساهمة في المشاريع الحكومية في بورما.

ولما سألناه عن كيفية تنفيذ هذه الأمور مع كون حكومة بورما لا تسمح بخروج أبناء المسلمين لطلب العلم ولا بدخول المساعدات للمشاريع الإسلامية أجاب بقوله: لا أدري.

هذا أهم ما جاء في حوارنا مع رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وما سواها من النقاط لا تختلف كثيراً عما جاء في حوارنا مع رؤساء الجمعيات الإسلامية الأخرى.

وعنوان المجلس هو ما يلي:

ISLAMIC RELIGIOUS AFFAIRS COUNCIL

ISS. MOUNO TAULAY ST.

RANGOON. BURMA. PHONE: 72542.

جمعية الشبان المسلمين:

وعنوانها:

MUSLIM YOUTH LEAGUE.

31, BOGALA-ZAy STREGT,

RANGOON, BURMA.

جمعية السيدات المسلمات:

وعنوانها:

BURMAN MUSLIM WOMEN'S LEAGUE,

No, 455, TUEINBYU ROAD.

RANGOON. BURMA.

وعلى العموم فإن الأمل في قيام رابطة العالم الإسلامي بدعم مسلمي بورما والنهوض بمستواهم الثقافي والاجتماعي يغمر قلب كل مسلم قابلناه وتحدثنا معه في هذه البلاد.. كما أن المكانة التي تحتلها رابطة العالم الإسلامي في أوساط المجتمع المسلم في بورما من شأنها المساعدة على جمع كلمة المسلمين في بورما والاستفادة من قدراتهم للدعوة الإسلامية الصحيحة، لأنهم من أهل السنة والجماعة وهم أحناف وإن كان بينهم بعض الشوافع النازحين من ماليبار بجنوب الهند. غير أن العقبة الكبرى في سبيل التعاون مع هؤلاء الأخوة المسلمين في بورما هي في سياسة الحكومة الحاضرة التي لا تريد ذلك، بل تحاربه بشدة.

ولعل فهم المسلمين في بورما لمسئولياتهم من ناحية الوعي الإسلامي وغيرتهم على دينهم تجعلهم أحسن في فهم الدين من المسلمين في تايلند والفلبين وكمبوديا.

وليس في بورما من مظاهر الفساد والانحلال الخلقي ما يلمسه الزائر لتايلند والفلبين مثلاً التي يغلب شيوع الفاحشة والإنحلال فيهما ونود أن نذكر أن في بورما جالية صينية مسلمة نزح أفرادها من الصين الشعبية منذ أكثر من قرن من الزمان وزاد عددها بعد سقوط الصين في أيدي الشيوعيين وتسلمهم مقاليد الحكم عام ١٩٤٩ م ولهم خمسة مساجد بالعاصمة وغيرها من المدن الهامة.

والمجتمع المسلم في بورما سواء منهم من قدموا من شبه القارة الهندية أو ماليزيا أو الصين يعيشون في سلام ووئام وليس هناك من فرقة أو اختلافات ظاهرة بينهم.

والله نسأل أن يجمع كلمة المسلمين في شتى أقطار المعمورة ويوحد صفوفهم لما فيه الرفعة والسؤدد والرخاء.

تعداد السكان المسلمين في بورما

صادرة عن إحدى الجمعيات الإسلامية قبل حوالي عشرين سنة

من جملة المسلمين الذين لجأوا إلى البلدان الأخرى نجد أن مائتي الف من هؤلاء من بورما بمعناها الواسع أما الباقون فهم روهانجيون من اقليم أركان.

تعداد السكان المسلمين في بورما
صادرة عن إحدى الجمعيات الإسلامية قبل حوالي عشرين سنة

اسم التوحدة	عدد السكان بها	اسم البلد	عدد السكان به
أ - الأقسام:			
١ - ساقيتح	١٧٥ ٦٠٢		
٢ - ماندالي	٣٧٦ ٦٠٢	١ - بنغلاويس	٤٨٥ ١٢٣
٣ - ميغوي	٠١٦ ٧٦٦	٢ - الهند	١٢٠ ٠٠٠
٤ - براوادي	١٥٥ ١٠٢	٣ - باكستان	٢٠٠ ٠٠٠
٥ - بيغيبو	٣١٤ ٧٣٢	٤ - السعودية	١٨٧ ٠٠٠
٦ - تناسيرن	١٩٣ ٨٠٦		
٧ - رافقوم	٣٥١ ٣٩٧	٥ - الإمارات القربية	٤٠ ٠٠٠
ب - ولايات الأقليات:			
١ - كاشين	٧٣ ٨٥٣	٦ - دول الشرق الأوسط الأخرى	٥٠ ٠٠٠
٢ - شان	١٥٤ ٥٤٥	٧ - تايلاند	٢٠ ٠٠٠
٣ - كاياه	٦ ٧٥٦		٢٠ ٠٠٠
٤ - كيرت (كاثولي)	١٠٥ ٢٩٢	٨ - الأقطار الأسيوية الأخرى	٥,٠٠٠
٥ - جسين	٢٣٠٣		٥,٠٠٠
٦ - أراكان	١٠٦٨ ٢٧٤	٩ - بقية أجزاء العالم	١٠,٠٠٠
٧ - مون	٢ ٥٤١ ١٩٠		

من جملة المسلمين الذين لجأوا إلى البلدان الأخرى غير أن مائتي ألف من هؤلاء من بورما بمعناها الواسع. أما الباقون فهم روهانجيون من إقليم أراكان.

جهود رابطة العالم الإسلامي

جهود رابطة العالم الإسلامي:

لا بد أنك وقفت عند مناشدة الإخوة المسلمين في أركان لإخوتهم المسلمين في أنحاء العالم وبخاصة المؤسسات الإسلامية العالمية أن تهتم بأمرهم وأن تشرح قضيتهم للعالم.

وقد كان لذلك صدى عظيم حيث تم نشر الكثير عن هذه القضية واتخذت قرارات متعددة، إن لم يكن لها الأثر المطلوب، فإن السبب أن بعض المسلمين ليست لهم الجدية الكاملة لتنفيذ القرارات التي تصدرها مؤسساتهم، أو إن الموضوع فوق طاقة من يصدرون تلك القرارات. ويجدر بنا أن نستعرض هنا ما أصدرته رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بهذا الخصوص.

(١) تابع المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي منذ دورته الثامنة قضية اضطهاد مسلمي بورما وذلك بعد ورود المعلومات والتقارير عما يعانيه المسلمون هناك من مضايقات الحكومة البورماوية لهم وفرض القيود على ممارستهم لشعائر دين الإسلام ومنعهم من اداء فريضة الحج وبناء على توصية المجلس في دورته التاسعة عام ١٣٨٧ هـ. قام سعادة الداتو السيد ابراهيم بن عمر السقاف وفضيلة الدكتور عبد الجليل حسن عضو المجلس التأسيسي للرابطة بمحاولة علاج هذه المشكلة وحلها من الجهات البورمية الرسمية لكن مع الأسف لم يصلا إلى نتيجة ذات أثر ايجابي.

(٢) وفي دورة المجلس التأسيسي الثالثة عشرة عام ١٣٩١ هـ. أوصى المجلس بالاتصال بالأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي للتخذ ما تراه مناسباً لاقناع حكومة بورما بأن تتيح للمسلمين فيها ممارسة حقوقهم في اداء فريضة الحج وقد نفذ ذلك كما أوصى أعضاء المجلس الذين لبورما سفارات في بلادهم أن يبذلوا ما يستطيعون من جهد للاتصال بتلك

السفارات لشرح ضرورة السماح لمسلمي بورما باداء فريضة الحج ومطالبة تلك السفارات بنقل هذه الرغبات إلى حكومة بورما ولكن حكومة بورما أصرت على موقفها ولم تؤد هذه الاتصالات إلى أية نتيجة.

(٣) قرار المجلس التأسيسي في دورته الرابعة عشر عام ١٣٩٢ هـ. أن يبعث برقية إلى رئيس الدولة في بورما بشأن منع حكومته للأقلية الإسلامية فيها من اداء فريضة الحج مع استنكار هذا الموقف والتأكيد على أن هذه الفريضة يجب أن لا تخضع لأية قيود اقتصادية كما يجب عدم قياسها على رحلات أو تقاليد شعبية بورمية لأن فريضة الحج من أركان الإسلام التي لا بد من القيام بها.

(٤) درس المجلس التأسيسي للرابطة في دورته السادسة عشرة عام ١٣٩٤ هـ. تفاقم الوضع وتزايد الاجراءات التعسفية التي يتعرض لها المسلمون في بورما بحيث وصل الأمر إلى تقتيلهم وتشريدهم وهتك حرماتهم برغم الاحتجاجات والاستنكارات التي بعثتها الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي إلى الرئيس البورمي وشرحت قضيتهم لسفراء الدول الإسلامية بجدة لمطالبة حكوماتها بأن تتبنى القضية وتشرح وجهة النظر الإسلامية لدى الحكومة البورمية. وقد قامت الأمانة العامة بتعميد ممثلها في الأمم المتحدة لتقديم مذكرتي احتجاج إلى لجنة حقوق الإنسان ولجنة الصليب الأحمر الدولية. وتوصلت الأمانة العامة إلى التفسير الوحيد الذي تتذرع به الحكومة البورمية بأنها لو سمحت للمسلمين بالسفر إلى خارج بورما لأجل الحج لكان لزاماً عليها أن تسمح للبوذيين والنصارى والهندوس والذين طلبوا الاذن لهم بالحج إلى أماكن عبادتهم خارج البلاد فإذا سمحت الحكومة البورمية لكل هؤلاء بالسفر فإن ذلك سيكلفها مبلغاً كبيراً من العملات الصعبة لا تتمكن من توفيره لما تعانيه العملة الوطنية من وضع دقيق.

(٥) أوصى المجلس التأسيسي في دورته السابعة عشرة سنة ١٣٩٥ هـ. بالاهتمام بوضع المسلمين في بورما وتحسين أحوالهم ومساعدتهم على التمسك بعقيدتهم الإسلامية بارسال المصاحف وترجمة معانيها إلى اللغتين الأردية والانجليزية وارسال الكتب الدينية وتقديم المنح الدراسية للطلاب المسلمين في الجامعات الإسلامية لتخريج طلبة بورميين ملمين باللغة العربية ومتمكنين من تعاليم الإسلام حتى يتمكنوا من القيام بدور إيجابي في الدعوة الإسلامية في أوساط بلادهم.

وقد اهتمت الأمانة العامة للرابطة بالقضية البورماوية في المذكرة التي قدمتها إلى المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في إسطنبول سنة ١٣٩٦ هـ وتضمنت المذكرة ما يلي:

أ - مطالبة حكومة بورما بوقف جميع إجراءات القمع والارهاب والتعدي على المسلمين ومنشآتهم الدينية كالمساجد والمدارس الإسلامية بما لا يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة ومباديء حقوق الإنسان.

ب - العمل على مستوى الدول الإسلامية لتحسين أحوال المسلمين في بورما ورفع الحيف عنهم بكل السبل المتاحة ومساعدتهم مادياً ومعنوياً حتى يتمكنوا من ترسيخ الكيان الإسلامي في بلادهم.

جـ - السعي لدى الحكومة البورمية لفتح الباب للمسلمين القادرين على اداء مناسك الحج ومعاملتهم معاملة متساوية مع بقية فئات المواطنين.

د - إمداد أبناء المسلمين البورميين بالمنح الدراسية في الجامعات الإسلامية لأجل تخريج طلبة بورميين ملمين باللغة العربية ومتمكنين من تعاليم الإسلام ليقوموا بنشر الدعوة في بلادهم.

هـ - مطالبة الدول الإسلامية التي لها علاقات سياسية مع بورما ببذل

مساعيهم الحميدة لتحسين أوضاع المسلمين المعيشية والاجتماعية وضمان حقوقهم كمواطنين.

(٦)أوصى المجلس التأسيسي في الدورة الثامنة عشر سنة ١٣٩٦ هـ. بالأمور التالية:

أ ـ بدعوة ممثل عن كل منظمة من المنظمات الإسلامية الست المعترف بها لدى الحكومة البورمية لاداء فريضة الحج للعام القادم **١٣٩٧ هـ.** وإذا رفضت الحكومة البورمية السماح للمسلمين باداء فريضة الحج يكون ذلك برهاناً على تماديها في اضطهاد المسلمين من مواطنيها.

ب ـ ارسال كمية من المصاحف والكتب الإسلامية في الفقه والعقيدة والتاريخ عن طريق السفارات التابعة للدول الإسلامية المعتمدة في بورما.

جـ ـ ابتعاث شخصين أو شخص واحد على الأقل للسفر إلى بورما بحجة الزيارة القصيرة أو السياحة للاتصال بالمسلمين فيها ومحاولة التقصي عن أحوالهم وخاصة الموجودين منهم في المناطق الإسلامية التي تتعرض للعدوان والاضطهاد.

إن كل هذه المحاولات وهذه القرارات والتوصيات لم تجد طريقها لأسماع الحكومة البورمية حتى إن المساعدات المادية التي قرر المجلس التأسيسي في دورته الثامنة عشرة سنة **١٣٩٦ هـ.** تقديمها للمعاهد والمؤسسات الإسلامية والمصاحف والكتب الإسلامية لم تصل لمسلمي بورما نظراً للعراقيل التي وضعتها الحكومة البورمية للحيلولة دون وصولها. كما أن الجهود الدبلوماسية من عرض القضية على الأمم المتحدة ولجنة حقوق الإنسان وعلى الدول الإسلامية ذات العلاقة مع بورما لم تسفر عن أية نتائج ايجابية نظراً لتصلب الحكومة البورمية وتماديها في إجراءاتها التعسفية.

(٧) أمام هذا التحدي السافر وامتداداً لمساعي الرابطة لمعالجة هذه القضية منذ أكثر من عشر سنوات. وانطلاقاً من قرارات المجلس التأسيسي في الدورات السابقة التي تقضي بارسال وفد لتقصي الحقائق فقد قام الولد برئاسة الأستاذ محمد صفوات السقا أميني الأمين العام المساعد للرابطة بالتوجه إلى بنجلادش في ٥/ ٦/ ١٣٩٨ هـ. لأجل تفقد أحوال اللاجئين البورميين على الطبيعة في المعسكرات التي أعدت لإقامتهم وهو أول وفد إسلامي وصل إلى معسكرات النازحين البورماويين في بنغلادش.

وقد أوضح سعادته مدى المآسي التي يعاني منها اللاجئون البورماويون وقساوة الأعمال الوحشية التي قام بها الجيش البورمي وسوء الرعاية التي يلاقونها بعد وصولهم إلى بنغلادش بسبب الظروف الاقتصادية التي تمر بها بنغلادش حكومة وشعباً ومع ذلك فقد قدمت حكومة بنغلادش كل ما بمقدورها من المساعدات الطبية والغذائية والمادية والأمنية لهؤلاء اللاجئين إلى جانب ما قدمه الشعب البنغلادشي من مساعدة لإخوانه في العقيدة من خلال مؤسساته وقام وفد الرابطة مع كبار المسئولين في حكومة بنغلادش بتزويد معسكرات اللاجئين بمستشفى كامل الأعداد مع سبعة أطباء وعدد من الممرضات وسبعة عشر اماماً للمساجد وأربعة عشر معلماً فتكونت منهم فرقة الانقاذ لاغاثة اللاجئين المسلمين البورميين باشراف سعادة الأستاذ فؤاد عبد الحميد السفير السعودي في بنغلاديش. وقد اطلع المجلس التأسيسي على تقرير الوفد في الدورة العشرين سنة ١٣٩٨ هـ.

(٨) بعد أن اطلع المجلس التأسيسي للرابطة في الدورة العشرين سنة ١٣٩٨ هـ. على تقرير الوفد المرسل إلى اللاجئين البورميين في بنغلاديش اصدر القرارات التالية:

أ - يؤكد المجلس أن ما تدعيه الحكومة البورمية بأن هؤلاء المسلمين ليسوا من مواطني بورما إنما هي دعوى زائفة وتزوير للحقيقة والتاريخ لذلك يؤكد المجلس للعالم أجمع أن المسلمين البورماويين ينحدرون من اصلاب اجدادهم الذين كانوا يعيشون في منطقة أركان والذين يعرفون الآن باسم (الروهنجاز).

ب - يستنكر المجلس بشدة الجرائم الوحشية التي اقدمت عليها حكومة بورما الاشتراكية في حق المسلمين في منطقة اركان البورماوية وما يتعرضون له من اضطهاد وقتل وتشريد.

جـ - يناشد المجلس المنظمات الإسلامية والإنسانية بأن تستمر في تقديم المساعدات المالية والأغذية والمواد الطبية للمنكوبين من مسلمي بورما.

د - يناشد المجلس حكومة بورما أن تسمح لوفد من رابطة العالم الإسلامي للقيام بزيارة لاخوانهم المسلمين للتعرف على الأوضاع التي يعيشون فيها بعد الاتفاق مع دولة بنغلادش على اعادتهم وتوطينهم.

هـ - يناشد المجلس بأن يثير المؤتمر العاشر لوزراء الخارجية للدول الإسلامية قضية المسلمين البورماويين والذي سيعقد في المغرب.

و - يهيب المجلس بمنظمة المؤتمر الإسلامي ولجنة حقوق الإنسان واللاجئين الدولية وبالهلال الأحمر الدولي وبمنظمة الأمم المتحدة أن يقوموا بالعمل الفعال لاعادة توطين هؤلاء اللاجئين في بلادهم واعادة ممتلكاتهم إليهم.

ز - يناشد المجلس الحكومات الإسلامية والدول المحبة للعدل أن تمارس وساطتها لدى حكومة بورما حتى تعيد للمسلمين حقوقهم الطبيعية كمواطنين بورماويين.

ح ـ يؤيد المجلس الخطوات التي تقوم بها الأمانة العامة للرابطة في تكوين مؤسسة اسلامية عالمية للاغاثة يمكنها التحرك في مثل هذه الأحوال.

ط ـ يشكر المجلس جهود الأمانة العامة للرابطة في متابعتها الدقيقة لقضية المسلمين في بورما وتقديم المساعدات المالية عن طريق فتح باب التبرعات وسعيها الحثيث لحمل المنظمات الإنسانية والدولية على التدخل لوقف اضطهاد مسلمي بورما.

ونفذت الأمانة العامة للرابطة قرارات المجلس التأسيسي من استنكار أعمال حكومة بورما في حق المسلمين وطلبت من ممثل الرابطة لدى المقر الأوروبي بالأمم المتحدة أن يعمل لدى لجنة اغاثة اللاجئين الدولية وتنفيذ اتفاقية الحكومتين البورمية والبنغلاديشية لاعادة اللاجئين إلى مواطنهم للعمل على تحسين أحوالهم إلا أن حكومة بورما تتلكأ في إعادة اللاجئين إلى مواطنهم.

(٩) قامت الأمانة العامة بعرض القضية في المؤتمر الحادي عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في إسلام آباد في الفترة ما بين ٢١/ ٦ ـ ٧/٧/ ١٤٠٠هـ مقترحة النقاط التالية لعلاج القضية كما يلي:

أ ـ **بما أن المسلمين في بورما ابناء هذه البلاد الأصليين منذ مئات السنين فإنه من الجدير أن نطالب حكومة بورما أن تهيىء لهم الحياة الكريمة وتضمن لهم كافة الحقوق والمميزات التي يتمتع بها اتباع الديانات الأخرى من سكان بورما.**

ب ـ بما أن اللاجئين البورماويين لن يعودوا إلى بلادهم إلا بضمانات مؤكدة وفق الاتفاقية المبرمة بين كل من حكومة بنغلادش وبورما باشراف كامل من هيئة الأمم المتحدة والهيئة العليا لاغاثة اللاجئين.

فالامانة العامة للرابطة ترى أن تطالب حكومة بورما باعادة توطين

هؤلاء اللاجئين في المناطق التي طردوا منها وأن تعاد إليهم ممتلكاتهم.

جـ - تهيب الأمانة العامة بالدول الإسلامية التي لها علاقات تمثيل دبلوماسي مع حكومة بورما لتقديم خدماتها للمسلمين البورماويين.

د - تمكنت الأمانة العامة للرابطة من تحويل المستشفى المؤقت التابع لفرقة الاغاثة للاجئين البروماويين إلى مستشفى دائم هناك وهناك خطوات لتحويله إلى معهد للتدريب إلى جانب مهمته في الاشراف الصحي والدعوة وهناك مشاريع بفتح فروع له في بعض المناطق المتاخمة للهند باشراف سعادة سفير المملكة العربية السعودية والمسئول عن فرقة الاغاثة.

(١٠) اصدر المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في الدورة الثانية والعشرين المنعقدة سنة ١٤٠٠هـ. عدة قرارات وتوصيات لأجل بورما منها:

أ - ضرورة متابعة الأمانة العامة للرابطة اهتماماتها بقضية مسلمي بورما وبخاصة الذين عادوا إلى أراضيهم لضمان حريتهم الدينية واتاحة الفرصة لهم كمواطنين وارجاع أملاكهم وأموالهم إليهم.

ب - **متابعة الجهود لفتح المستشفى المؤقت والتابع لفرقة الاغاثة للاجئين البورميين في المناطق المتاخمة لبنغلادش.**

جـ - متابعة ارسال المساعدة المادية لهم عن طريق سفارة المملكة العربية السعودية هناك والمسئولة عن فرقة الاغاثة.

د - الاستفادة من الأيدي العاملة لدى اللاجئين البورمايين في المجالات المختلفة تنشيطاً لكيانهم وتعزيزاً لمعنوياتهم.

هـ - حاول الأخ السيد انعام الله خان زيارة بورما بعد انعقاد الندوة

العالمية للمؤتمر الإسلامي بطوكيو في شعبان سنة ١٤٠١ إلا أن السفارة البورمية أبلغته بأن حكومتها في الوقت الحاضر أوقفت زيارة كل من لهم اتصال بأية منظمة اسلامية في بورما.

و ـ وقد ورد للأمانة العامة للرابطة بأن الحكومة البورمية أعدت مشروعاً للجنسية يختلف عن أي قانون للجنسية في العالم لكونه يقسم السكان إلى أربع درجات وهي:

الرعوى.. المواطن.. المتجنس.. عديم الجنسية.

ولا شك أن الهدف النهائي من اعداد هذا القانون إنما هو الاضرار بالمسلمين في بورما والعمل على تصفيتهم بالهبوط بهم أولاً إلى فئة المتجنسين أو عديمي الجنسية وبالثاني حرمانهم من الحقوق المخصصة في القانون للرعويين والمواطنين ثم القضاء عليهم كمجموعة عرقية كانت إلى عهد قريب تتمتع بالحكم الذاتي في الاقليم الذي تعيش فيه وهو اقليم أركان.

هذا وما زالت الأمانة العامة للرابطة تواصل تقديم ما تستطيع من مساعدة للأخوة المسلمين البورماويين في نطاق الإمكانات المتوفرة، والظروف التي تحيط بالمسلمين في بورما داخل بلادهم.

آمال المسلمين في بورما



آمال المسلمين في بورما:

١ . يأمل مسلمو بورما طرح مشكلتهم داخل الهيئات الدولية وحركة عدم الإنحياز وذلك من أجل الضغط على حكومة (رانقون) لتخفيف الضغط الواقع عليهم.

٢ . يأمل مسلمو بورما من حكومة (بنغلاديش) أن تلعب دوراً هاماً باعتبارها دولة اسلامية مجاورة. في الضغط على حكومة بورما للتعديل من سياستها المتعلقة بمسلمي بورما باعتبار أنه في عام ١٩٨٢ م. تم توقيع اتفاقية بين بنغلادش وبورما تتعلق بالترتيبات الخاصة بالحدود المشتركة بين البلدين. حتى لا تتكرر الأحداث التي وقعت من قبل في عام ١٩٧٨ م. وبناء على تلك الاتفاقية فإن القانون الجديد للجنسية الذي وضعه الجنرال (ني وين) في ٩ أكتوبر ١٩٨٢م . يعتبر خارقاً لتلك الاتفاقية حيث أنه يوجد بذلك وضعاً متوتراً يساعد على طرد المسلمين من بورما وأنه عن طريق الاهتمام بمشكلة مسلمي بورما فسوف تدافع حكومة بنغلادش عن أراضيها وعن إخوانها المسلمين في بورما وفي نفس الوقت فان الجنرال حسين إرشد يحاول اعطاء بنغلادش صورة اسلامية سليمة ويسعى لمساعدة المسلمين للتغلب على مشاكلهم الاقتصادية وكل هذه المجهودات ستساعد مسلمي بورما.

٣ . يأمل المسلمون أن يزور بلادهم قادة المسلمين وزعماؤهم ليروا ما يلاقون وما يعانون من اضطهاد وغالباً ما تكون الدولة أي بورما وسفراءها في الخارج لا تسمح باعطائهم التأشيرات اللازمة إذا علموا النوايا الحقيقية

لهذه الزيارة، كما فعلت مع السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا السابق.

والمسلمون حتى الآن لم يستطيعوا إبلاغ صوتهم خارج حدود بلادهم لأن الدولة ذاتها تعزل نفسها في قوقعة الثورة الاشتراكية وتمنع اية صورة من الاتصالات الخارجية ما عدا الدول التي تتلائم سياستها معهم وعلاوة على ذلك لا تسمح الدولة لزعماء المسلمين أن يخرجوا من بلادهم بحجة عدم وجود العملة النادرة وإذا ما سمح لأحدهم بالخروج فإنه لا يستطيع حمل أكثر من عشرين دولاراً أمريكياً. ومن المؤسف جداً أن هناك اختلافات بين كل منظمة إسلامية وأخرى من حيث الهدف والطريقة مما يضعف موقفهم ومطالبتهم نحو تحسين أوضاعهم المستقبلية وجهادهم نحو إعلاء كلمة الحق.

مساعدة الإخوة المسلمين داخل بورما:

نظراً لأن حكومة بورما تحظر على المسلمين وغيرهم تسلم المساعدات المالية من أي مصدر من الخارج فإنه لا تمكن مساعدتهم مساعدة مباشرة ويمكن في حالة الضرورة إلى تقديم المساعدة لهم أن يتم ذلك عن طريق سفارة إحدى الدول الإسلامية في تايلند أو بنغلادش وتايلند أفضل نظراً لسهولة الاتصال معها.. مع التنويه بأن أكثر مؤسسات المسلمين في بورما لها أوقاف تدر عليها مثل المساجد والمدارس التي لم تصادرها الحكومة وحتى المستشفيات ولذلك فإن حاجتهم إلى المساعدات المالية ليست ملحة وإنما حاجتهم ماسة لما يلي:

أ ـ **التعليم العالي الإسلامي**: لأنه لا توجد هناك كليات اسلامية ولا تسمح حكومة بورما بإعطاء الجوازات للطلاب الذين يذهبون إلى خارج بورما لتعلم العلوم الدينية ويمكن تلاقي ذلك بارسال المنح عن

طريق سفارات الدول الإسلامية في تايلند أو بنغلادش. وهذا أمر حيوي جداً للمسلمين لأنه منذ أن تولت الحكومة اليسارية السلطة وفرص الحصول على التعليم العالي أمام أبناء المسلمين أصبحت أقل وبذلك أصبحت فرصة شغل المناصب العليا في الدولة والمؤسسات العامة أقل أمامهم.

ب ـ العمل على تشجيع نشر الكتب الإسلامية وذلك لطبعها في بورما على أن تتولى رابطة العالم الإسلامي وأمثالها العمل على مساعدة الهيئات والجمعيات الإسلامية المعترف بها في بورما والتي يمكن أن تحصل على تراخيص بطبع الكتب الدينية وأن تتولى الرابطة تقديم العون المالي على ذلك بوسائلها المتاحة.

جـ ـ العمل على تقوية الصلة ما بين زعماء المسلمين البورماويين وبين المؤسسات الإسلامية في البلدان الإسلامية عن طريق رابطة العالم الإسلامي ومثيلاتها وذلك بدعوتهم إلى زيارة البلدان الإسلامية والتباحث فيما ينفع المسلمين بعد النظر في كيفية الحصول لهم على إذن من الحكومة البورماوية.

د ـ أن تنظر رابطة العالم الإسلامي في أمر تحمل رواتب بعض المدرسين في المدارس الإسلامية هناك تخفيفاً للعبء عن تلك المدارس ويمكن أن يخصص لهذا الغرض مبلغ مائة ألف دولار أمريكي سنوياً في المرحلة الأولى ويتم ذلك عن طريق رابطة العالم الإسلامي. بعد التأكد من إمكان إيصاله إليهم.

هـ ـ لدى الكثيرين من أبناء مسلمي بورما رغبة جامحة لأداء فريضة الحج ولكن صعوبة الاجراءات التي تفرضها عليهم الحكومة اليسارية تحول بينهم وبين تحقيق هذه الرغبة ولذلك ومن واقع التجربة يسافر من يرغب

الحج منهم إلى بلد مجاور كتايلند وبنغلادش ويسعى للحصول على تأشيرة الحج من سفارات المملكة بإحدى هذه الدول، بعد أن يجد قريبا أو صديقا يحصل منـه على قيمة تذكرته بالعملة الصعبة.

العيان



يوم الخميس ٢٩/ ٥/ ١٤٠٤ هـ ١/٢/ ١٩٨٤ م

من بانكوك إلى رانقون:

قرأت اليوم في صحيفة تايلندية اسمها (أخبار العالم) تصدر بالانكليزية أخبار معارك ما بين الحكومة البورماوية والثوار عليها من أهل (كارين) وما حولها. وقد جاءت بعد اضطرابات في منطقة اركان التي تسكنها أغلبية مسلمة وقد سمعت من بعض الأخوة البورماويين أن الكلمة عربية وأنها على لفظ (أركان) جمع ركن بمعنى زاوية أو جانب ولذلك تلفظ باسكان الراء. وإن العرب الذين كانوا يصلون (بورما) في طريقهم إلى الصين كانوا يمرون من هذه المنطقة. ويستشهدون على ذلك بما هو معروف عندهم من أن الإسلام قد دخل إلى بورما قبل ألف سنة وأنه دخل أول ما دخل على أيدي العرب، ولذلك لا تزال طائفة من المسلمين البورماويين الأصلاء تقول: بأن أصلها من بلاد العرب.

ورغم عدم وجود دلائل واضحة على ذلك وأن هذا الموضع ليس موضع الحديث عن هذه المسألة بالذات فإنه يرد إلى ذهني شيئان أحدهما ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه من أن أحد الرحالين العرب الذين تكلموا عن (كشمير) قبل أن يدخلها الإسلام كان قد مر بها اي بكشمير. وهو ذاهب إلى الصين.

وهذا يصدق ما ذكر من أن هذه البلاد (بورما) وما حولها قد يمر بها المسافرون إلى الصين.

والثاني: أن ابن بطوطة ذكر بلاد البنغال وذكر ملكها المسلم وذكر أن السفر إلى بلاد جاوا كان من طريق البنغال. وبلاد أركان ملاصقة لبلاد البنغال في الوقت الحاضر وكان جزء منها جزءاً من البنغال في الماضي.

ومع أن أخبار الحرب أو العراك ما بين الحكومة البورماوية الاشتراكية التي تتظاهر بذلك وبين أولئك الأقوام في (كارين) وفي (أركان) وموقع قريب من ذلك على حدود تايلند وبعضهم من المسلمين قد يظهر على أنه يأخذ مأخذ النزاع الديني السياسي فإن الواقع أنه نزاع له أصل عنصري أيضاً ما بين البورماويين الأصلاء الذين يمثلون الأكثرية والذين هم جنس ما بين الجنس الملايوي والجنس الصيني وبين أولئك الأقوام الذين أكثرهم من اصول عنصرية أخرى كالهنود ومن يشبهونهم حتى إنهم يتمسكون بلغتهم المحلية ولا يريدون اللغة البورماوية الوطنية التي هي لغة الأكثرية من البورماويين البوذيين. وقد ذكرنا كثيراً من ذلك في أول الكتاب.

لقد حصلنا على سمة دخول إلى بورما للسياحة، وهم يسمحون بذلك للعرب كما يسمحون للأوروبيين والأمريكيين بالدخول للسياحة. لأنهم لا يسمحون لمن يأتي لغرض الاتصال بالمسلمين بدخول بلادهم. ولم يعرف الموظفون في سفارتهم صفتنا الرسمية ولقد تأكدنا قبل السفر أن الاضطراب في (بورما) بعيد عن العاصمة وأن العاصمة هادئة ولا مكروه فيها بالنسبة للسياح.

وسيكون السفر مع الشركة التايلندية للطيران المسماة اختصاراً (تاي) وهو اختصار له معناه وليس لمجرد الاختصار. فتاي معناه (حر) أو أحرار: ضد عبد أو عبيد. و(تايلند) اسم أطلقه أهل تلك البلاد على بلادهم بديلاً عن الاسم القديم المشهور (سيام) لأن معنى الاسم الأخير (تايلند): بلاد الأحرار ويزعمون أنهم استحقوا هذا الاسم لأن بلادهم لم

تستعمر على حين أن المنطقة المحيطة بها كلها قد ابتليت بالاستعمار ما بين انكليزي في الهند وبورما وبلاد الملايو وفرنسي في فيتنام وكمبوديا ولاوس، وهولندي في اندونيسية.

وقد قامت الطائرة التايلندية في الساعة الثانية والدقيقة الأربعين من بعد الظهر وفي موعدها المحدد دون تأخير وهي من طراز دي، سي، ثمانية العتيق الذي أوقفت كثير من الشركات استعماله لقدمه ذات محركات أربعة شبيهة بمحركات البوينج ٧٠٧ التي هي أيضاً من طراز قديم تقرر إيقاف إنتاج المزيد منه في العام القادم.

وكانت تذاكرنا بالدرجة الأولى غير أن الشركة أخبرتنا أنه لا توجد عندهم مقاعد خالية في الأولى وأنهم سيركبوننا في السياحية ويختموا ذلك على التذكرة لكن نستعيد الفرق من (السعودية) إذا أردنا.

ولكنهم عندما كانت الطائرة تهم بالقيام من بانكوك إلى رانقون وبعد أن أخذنا مقاعدنا في السياحية جاءوا إلينا وابدلوا بطاقة دخول الطائرة من السياحية إلى الأولى. ولا أدري ماذا سيفعلون بالختم الذي وضعوه على تذاكرنا بأننا قد ركبنا في السياحية. غير أنني أدري اننا لن تطالب بالفرق. والدرجة الأولى في الطائرات التايلندية فاخرة حقاً والخدمة فيها من أحسن خدمات الشركات في جنوب آسية الشرقي إن لم تكن في العالم وهي عندي أفضل من طائرات سنغافورة الذائعة الصيت في هذا المجال.

ثم وزعوا على ركاب الأولى ظرفاً يحتوي على مناظر الرقص التقليدي الديني عندهم ودينهم هو البوذية كما هو دين الأغلبية في بورما. ومع ذلك الظرف زهرة أرجوانية في أسفلها مشبك صغير لتثبيتها في صدر الراكب إذا أراد. واللون الأرجواني هو اللون المميز لخطوط تايلند. مثلما كان اللون الأخضر هو المميز للخطوط السعودية فيما سبق.

عند ارتفاع الطائرة صارت تطير فوق مدينة بانكوك بشوارعها المزدحمة

بالسيارات والعربات الصغيرة التي هي مزعجة للراكب والسائر فيها على قدميه على السواء. ثم تجاوزت ذلك إلى الطيران فوق الريف الأخضر الذي توشي خضرته غانية الشرق الصفراء (بانكوك) ذات السمعة السيئة والأشياء التي يستحيا من ذكرها.

وخضرة الريف التايلندي هنا كما هي في أكثر تلك البلاد ناشئة من حقول الأرز الذي هو الغلة الرئيسية إن لم تكن الغلة الوحيدة التي تستحق الذكر من الحبوب التي تنتجها تايلند.

وبين هذا الريف يرى المرء من الطائرة بوضوح مناقع المياه أو البرك الناشئة عن كثرة الأمطار وما يصل إلى البلاد من مياه الأنهار، وهم يستغلون هذه المناقع والبرك في تربية الأسماك والبط. وقد يجمعون في المستنقع الواحد إذا كان عميقاً بين الاثنين وبدا نهر (بانكوك) الذي يسميه التايلنديون (سيد الأنهار) وهو يشق عاصمتهم التي يلقبونها بسيدة العواصم أيضاً والمنازل تكرع في مياه النهر تشرب منها على الضفتين وهي منازل أكثرها غير بهيج المنظر، ولا جيد الطلاء. القوارب تطفو على سطح النهر وهو يتلوى كما تتلوى راقصات تايلند في معابدها البوذية، أو في ملاهيها التي تفوق في الغواية ما يستعيذ منه أرباب الغواية. تساعدهن على ذلك خفة أجسامهن التي لم تثقلها الدهون الحيوانية واللحوم المشبعة بها لأنهم يستعيضون عن ذلك بالأسماك والأعشاب وما أخرجه البحر.

ثم ارتفعت الطائرة مخترقة حجاباً كثيفاً من أبخرة المياه فوق هذا الجو الندي. ولكن ذلك الحجاب لم يستطع أن يحجب جزءاً من نهر بانكوك وهو يتلوى في هذه الأرض الخضراء كما يتلوى الثعبان في أرض الصحراء. إلا أنه ما لبث أن انماع خلف سراب الارتفاع، كما تنماع الشخوص في أحلام المنام.

والحديث عن تايلند لم يكن من قصدنا ولا مما أردناه هنا لذلك سوف نوقفه إلا أن المضيفات التايلنديات في الطائرة لم يدعننا نفعل ذلك فهن بانحناءات المجاملة وابتسامات المعاملة، واللطف أو التلطف الظاهر من تلك الأجسام النحيلة لا يدعن النظر ينصرف عنهن قبل أن يتعرف إليهن. وقد جئن يسرعن بغداء خفيف وهن يسرن في الطائرة فلا تسمع لأقدامهن وقعاً على الأرض وإنما هو حفيف خفيف اجتمع لهن من خفة أجسامهن وهدوء وطأ أقدامهن.

وكان غداؤهن خفيفاً أيضاً، فالوقت ليس بوقت الغداء أو العشاء، ومعه من الشراب ما شاء الراكب وما يشاء، فما رأيت طائرة من الطائرات تسرف في الدرجة الأولى في عرض المشروبات، من مباحات، وغير مباحات، مثلما تعرض أو تسرف طائرات تايلند.

وكان الغداء على قلته مؤلفاً من (الإربيان) في الفصحى الذي هو (الروبيان) بالعامية. وهو الجميري بلغة المصريين المحدثين، ومعه شيء من لحم الدجاج ولحم العجل وقد هجرنا الاثنين وأكلنا الأول لأن أهل تايلند ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبيحتهم للمسلمين.

إن هذه الطائرة التايلندية تتجه بنا إلى عاصمة (بورما) وهي بلاد كانت الحروب قد استعرت ما بينها وبين تايلند كما يكون الأمر في الغالب بين أمتين متجاورتين، ولا يزال التايلنديون يذكرون أن البورميين قد خربوا عاصمتهم القديمة التي تبعد ثمانين كيلومتراً من بانكوك، وأنهم لهذا السبب قد هجروها وانشأوا العاصمة الحالية بانكوك منذ مائتي سنة وسنتين بالتحديد.

ومع ذلك فإن العلاقات ما بين البلدين الآن تبدو طبيعية رغم الفارق الكبير ما بينهما في الأمور السياسية فتايلند دولة حرة أو غربية كما

أصبح الاصطلاح وبورما اشتراكية أو شرقية وقد يصح وصفها مع ذلك بأنها انعزالية.

ولم نكد ننتهي من الغداء حتى جاؤا مسرعين بالاستمارات التي يجب ملؤها للدخول إلى بورما، وهي طويلة معقدة وبخاصة ما يتعلق منها بالنقود والمقتنيات التي يحملها المسافر فواحدة للجوازات وأخرى للنقود وثالثة للأدوات التي معه كالمصورة والمذياع وهي كلها مليئة بالتهديد والوعيد لمن ذكر غير الحقيقة أو أخفي شيئاً مما يحمله وأن الذنب سيكون ذنبه لأنه سيقع تحت طائلة العقاب الذي يفرضه القانون (البورماوي). ومثل هذه الاستمارات لا تكون - في العادة - إلا للبلاد التي تواجه إقبالاً عظيماً من المهاجرين وليست (بورما) منها أو للبلاد التي تعاني من عقدة الخوف من الآخرين مثل جنوب افريقية العنصرية و(بورما) من هذا النوع ليس لأنها عنصرية مثل جنوب افريقية ولكن لكونها عنصرية مقنعة من جانب آخر وهي أيضاً اشتراكية جامدة تخاف على اشتراكيتها من الآخرين ليس حباً في الاشتراكية وإنما خوفاً من أن يستعمل تهديد الاشتراكية فيها تهديداً للنظام السياسي، ولأن الاشتراكية التي تساوي بين الناس في الامتلاك المحدود تقف حائلة دون مواهب الموهوبين في اكتساب المال وادارة الأعمال.

فوق مطار رانقون:

تدنت الطائرة قليلاً فبدت أرض بورما القريبة من رانقون ذات أرض جامدة صفراء وهذا عكس ما كنت تخيلته من قبل إذ كان اسم رانقون مرتبطاً في ذهني مع نوع من الأرز كان يباع في بلادنا يسمى (رانقون) لأنه مستورد من هذه البلاد والأرز لا يكون إلا في بلاد ذات مياه وفيرة. وهي بذلك تكون خضراء غير أنه تبين بعد ذلك أن هذا الجفاف

الظاهر في الأرياف سببه أننا الآن في موسم الصيف بالنسبة إلى هذه البلاد رغم أنه آخر الشتاء وأول الربيع عندنا.

وفصل الصيف هنا معناه الفصل الجاف الذي لا تنزل فيه الأمطار الكثيرة التي تنزل عليها في مواسم الأمطار.

وبدا في هذه الأراضي الجافة نهر جم المياه ليس على ضفتيه من الخضرة إلا قليل لا يكاد يذكر وتبين بعد ذلك أنه النهر الكبير الذي تقع عليه مدينة (رانقون).

والسبب في قلة الخضرة في ضفافه أن القوم يعتمدون اعتماداً كبيراً على مياه الأمطار لوفرتها وعدم إخلافها في مواعيدها.

وقبل الوصول إلى مطار العاصمة ظهرت في الريف منازل منفردة من الخشب أو نحوه وهي تبدو كالأكواخ وبخاصة بين أشجار النارجيل وأشجار النارجيل كثيراً ما يقترن وجودها في ذهني بوجود الأكواخ بجانبها لأن هذا هو ما عليه الأمر الذي شاهدته في أكثر المناطق الاستوائية في العالم في افريقية وآسية وجزر البحر الكاريبي بين الأمريكتين. وعندما همت الطائرة بالنزول كان المنظر كله يدل على التخلف أو على الأدق عدم التجديد في الحياة فالريف مهمل وتبين أن الأراضي الجافة كانت فيها اعشاب هامدة وبقايا أرز حصيد. ويرى المرء من المطار بيوتاً خشبية سيئة المظهر وأكواخاً أخرى إما من الأخشاب أو القش.

في مطار رانقون:

بدا المطار رديء المظهر، صغير الأبنية، قصير المدارج وبخاصة عندما اضطر الطيار إلى كبح جماح الطائرة بقوة مع أنه هبط في أول المدرج ولكن قصر المدرج المزفت ألجأه إلى ذلك.

ودخلنا في قاعة استقبال القادمين وهي نفسها قاعة المغادرين ولكن من حسن حظهم أنه لم تكن هناك طائرة أخرى مغادرة مثلاً وإلا لاختلط الأمر ما بين الجميع كما أن مطارهم ليس فيه حركة طيران كثيفة فخطوطهم ضعيفة، وبلادهم ليست ممراً عالمياً. وأنظمتهم تمنع من ذلك لو أراده غيرهم. وهي قاعة صغيرة كان أول ما وقفنا عنده ما يسمى (بالكاونتر) وهي أشبه بالمنصة العالية من الخشب ارتفاعها إلى صدر الرجل الواقف ورأيت المسافرين واقفين فيها وأكثرهم يكتبون وذلك أن بعضهم لم يفهم المقصود من بعض ما جاء في البطاقات او الاستمارات التي تسلموها في الطائرة وبعضهم اعطاهم الموظفون استمارات جديدة وطلبوا من كل مسافر أن يملأها بعد أن عانى من ملء الأول ما عانى. وقالوا: إن هذه استمارات جديدة غير التي وزعت عليكم بالطائرة وهي استمارات طويلة أيضاً ومعقدة.

وقفت عند هذه المنصة العالية الممتدة أكتب في أوراق زميلي ورفيقي الشيخ علي عيسى وقال لي ينبهني: إن هذه هي منصة الجوازات، فلم أصدق ذلك لأن ليس فيها مكتب بالمعنى المألوف عندنا، ولذلك كان جميع موظفي الجوازات واقفين وقوفاً وهم يعملون وخشبها ليس صقيلاً بل ليس جيداً. وقد كانت معاملة ضابط الجوازات جيدة إذ لم يجد ما يعترض عليه فمعنا تأشيرات من سفارة بورما في بانكوك وقد ملأنا الاستمارات والاستبيان المطلوب. ولذلك لم أتأخر عنده.

وإنما التعب كان عند تسلم الأمتعة فليس في القاعة سير تسير عليه الأمتعة مطلقاً، وإنما العمال يأتون بها على عربة يد أو سيارة نقل صغيرة يجرها عامل من الأمام ويدفعها عامل آخر من الخلف مكدسة بعضها فوق بعض ثم يلقون بها خارج المكان أي على رصيف مبنى الجمارك فيخرج الركاب وكل واحد يشير إلى حقيبته أو متاعه فيسلمه له الحامل، ثم يمضي

الراكب به إلى منصات التفتيش. وقد تأخرنا قليلاً عن تسلم أمتعتنا لأننا كنا نظن أنهم سيحضرونها إلى قاعة الجمارك أو منصات التفتيش كما يفعل الناس ذلك إذا لم يكن هناك سير آلي. وكأنهم بهذا لم يسمعوا أو لم يريدوا أن يجاروا العالم الذي هجر هذه الطريقة القديمة البالية في إحضار الأمتعة وتسليمها للركاب.

ولذلك وجدت ضباط التفتيش وعددهم كبير حوالي ثمانية منهم ضابطتان وقد تجمع الناس عليهم وسبقونا إليهم. وهم يبطئون في إنجاز الركاب إذ هم يملئون الاستمارات الجديدة ثم يناقشون الراكب في أشياء لا تخطر على باله ثم يأخذ الضابط يسجل في أوراقه أشياء كثيرة بخط يده وإذا استدعى الأمر حساب شيء حسبه بيده.

وعندما رأيت الأمر كذلك قلت في نفسي: ربا نفعني جوازي السياسي فقلت لأحد الضباط المشغولين: أنا جوازي سياسي فهل يعفيني من التفتيش؟

فلم يلتفت إليَّ لأنه كان مشغولاً بغيري وهنا قال الشرطي وكان واقفاً اذهب إلى ذلك الركن وقف عنده فهو (للدبلوماسيين) ووجدت لافتة فيه مكتوباً عليها ذلك.

ووقفت ووقفت حتى مللت والضباط كلهم مشغولون ومر أحدهم مسرعاً فجذبته بيده وسألته فقال: قف هنا.

وذهب وقد تدخل الشرطي فقال: ادخل امتعتك داخل الجمرك فهكذا يفعل الدبلوماسيون ولم أفعل، ثم تذكرت أن المرأة أحسن معاملة لي من الرجل في كل سفراتي فوقفت أمام الضابطة حتى طال وقوفي وهي مشغولة بآخرين كان أحدهم قد أحضر شيئاً يستحق عليه الرسوم في نظامهم وقد احضرت ميزاناً صغيراً تزن به ذلك الشيء وهو ميزان يدوي.

ثم التفتت إليَّ فأخبرتها بأن جوازي سياسي. فأشارت إلى أحد الضباط المفتشين وقالت: اذهب إلى هذا.

ولكن (هذا) لديه زحام من الناس ولا يمكن أن يحدث أحداً وإنما هو يجب أن يبدأ الناس بالحديث.

ووقفت ووقفت حتى مللت ولم يتزحزح واحد ممن كانوا عنده، بل كان هو والراكب في أخذ ورد. فرجعت للمرأة فأخذت جوازي ووضعته أمام ذلك الضابط متقدماً على اثنين من الأوروبيين ولكنهما احتجا وأبعداه، فلم أعترض لأنهما لا بد أن يكونا مثلي قد أضناهما الانتظار. وإن كنت أنا أدلي بجوازي السياسي الذي يفترض بأن له حق التقديم.

وهنا عرفت السر الذي لم أفطن له وهو أن ذلك الضابط وضابطاً آخر في ركن بعيد هما دون غيرهما من الضباط مخولان بالتفتيش على أوراق الركاب القادمين فهما يفعلان كل شيء ثم يسلمان الجواز إلى ضابط من الضباط أو ضابطة فيذهب ليفتش الراكب ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك ابتداء من نفسه لأن النظر في الأوراق والكتابة عليها من حق الضابطين المخولين. ويجب أن يتم ذلك قبل التفتيش من قبل الموظفين الآخرين.

الصمغ في علب الصفيح:

وقد رأيتهم إذا استكملوا الأوراق أخذوا نسخة منها وحفظوها لديهم ثم أتوا بعلب من الصفيح الصديء فيها صمغ يضع الضابط أو الضابطة أصبعه فيه ويمره على الورق ليلصق بعضه ببعض وكذلك يفعل في الصاق الأوراق الصغيرة التي تدل على أن الأمتعة قد فتشت ليسمح لها بالخروج من الجمرك.

وكأنهم، بل إنهم بهذا لم يعرفوا بوجود الأوراق المصمغة أي التي يكون قد وضع في باطنها غراء أو صمغ يجعلها تلصق بالأمتعة.

والغريب في الأمر أنني لم أرهم ينظفون أصابعهم بعد الصمغ إلاَّ بفركها في ركن الكرسي أو المنصة وقد جعلت أجيل بصري في قاعة الجمرك التي هي قاعة الجوازات أيضاً فرأيت اكواماً من الدفاتر العتيقة التي في كعوبها ما يشبه الخرق مثلما كانت دفاتر قديمة كنا نستعملها في بلادنا قبل العصر الحاضر وآخرها كنت أراه في حانوت (دكان) والدي وجيرانه في السوق قبل خمسين سنة في مدينة بريدة. وقس على ذلك بقية الأثاث في القاعة.

ولاحظت أنهم قد كوموا الدفاتر هنا لأنني لم أر خزائن لحفظها في هذه القاعة.

وجميع الموظفين هنا يلبسون فوطاً مشدودة على أوساطهم شداً.

وبعد أن وصلني الدور عند الضابط الكبير اعطاني استمارة جديدة وقال: اكتب كل شيء فيها فقلت له: أرجو أن تملأها أنت كما فعلت مع الذين قبلي فتركني واشتغل بالذين هم بعدي حتى ملأتها وهي جديدة لم أرها من قبل.

ثم أخذ يقررني على مبالغ النقود التي معي وكم هي ودقق في ريالات سعودية كنت أحملها فسأل عن مقدارها بالضبط مع أنها لا تصرف في منطقتهم.

ولما رأيته يدقق في النقود ويسأل عن المصورة وجهاز الاذاعة قلت له: إنه جواز سياسي لذلك لم أدقق في موضوع النقود فقال: جوازك سياسي نعم. ولكن أنت جئت هنا سائحاً وليس لعمل سياسي وهذه هي التأشيرة التي على جوازك من سفارتنا في بانكوك فقلت: صدقت.

ثم نادى الضابطة وتكلم معها بكلام غير الذي كان يفعله مع

الآخرين وقد امرتني بفتح الحقيبتين ولكنها كانت كريمة جداً حتى إنها لم تفتش اي شيء تفتيشاً حقيقياً وإنما قلبت الأمتعة بيدها ثم قالت: تستطيع أن تنصرف.

اكثر من السفر:

ونظرت في ساعتي وأنا أخرج سالماً من قاعة الجمارك فإذا بها قد استهلكت من وقتي ساعة ونصفاً وهو يعادل ضعف مدة السفر ما بين بانكوك ورانقون إلا قليلاً لأن السفر بينهما استغرق ثلاثاً وخمسين دقيقة.

ولا شك أن ضباط الجمارك كانوا أكثر ارهاقاً مني لأنهم يتعاملون مع أناس من مختلف المستويات العقلية والثقافية. ورأيتهم يرهقون أنفسهم بالكتابة للناس وبكتابة ما يحتاجون إلى تسجيله رسمياً في أوراق الحكومة.

وقد شاهدت معاملتهم لبعض الناس وكأنها تعليم درس في لغة صعبة فأكثر الناس لا يفهمون هذه الاجراءات الشديدة التي عفا عليها الزمن.

والحقيقة أن المرء لو بقي واقفاً ساعة ونصفاً يستمع مثلاً إلى محاضرة ممتعة بل إلى حفلة موسيقية لملّ الوقوف فكيف به إذا كان ذلك في انتظار ممل، وفي مجادلة أشخاص مرهقين. وبخاصة أن التكييف في القاعة كان ضعيفاً وكنت لبست بدلة من أجل أن تتسع جيوبها لأوراق السفر.

ولقد شعرت بأن هؤلاء القوم الذين ينعتون أنفسهم بأنهم اشتراكيون تقدميون هم متأخرون عن جارتهم تايلند بثلاثين سنة وعن جارة جارتهم سنغافورة بأربعين سنة ومع ذلك قد يقولون عن تايلند إنها رجعية كما تفعل بعض الأنظمة الاشتراكية الفقيرة المستبدة، حين تتكلم عن بلاد حرة مزدهرة، ولكنها غير شيوعية.

في مدينة رانقون:

تنفسنا الصعداء واستنشقنا الهواء عندما خرجنا من المطار فابتدرنا جملة من العاطلين سيئي المظهر كل يريد أن يظفر بحمل شيء مع أنه ليس مع كل واحد منا إلّا حقيبة واحدة كبيرة وحقيبة يد نجت من أيديهم بأعجوبة والأمر كذلك عند سيارة الأجرة فكل يقول: تاكسي، تاكسي، ولكن رجلاً ضخم الجثة، قوي البنية دفع الجميع وأمر الحمالين أن يضعوا الحقيبتين في سيارة قديمة مهلهلة تبين بعد ذلك أنها النوع الأجود لأن معظم عربات الأجرة عندهم هي الركشا وسيارات الشحن الصغيرة. والتف جمهور من الناس حولنا يحملقون وركب الرجل الضخم في المقدمة واركبنا في المؤخرة ومضت السيارة وهي تقرقع بزيد من ذلك بل يضاعفه سوء الطريق حتى ضاع صوت محركها في حركات بقية أجزائها التي تكاد تتبدد، وأخذ الرجل الضخم في حديث متصل متلاحق يطلب ويلح في أن يصرف لنا العملة الأجنبية التي نحملها سواء أكانت دولاراً أو حتى عملة تايلند وسنغافورة فالمهم عنده أن تكون عملة ذات قيمة في الخارج وليست كعملة بلادهم التي لا تساوي شيئاً في خارج بورما كما قال. وقال كاذباً وأكد قوله: إن الدولار في (البنك) يصرف بثمانية (تشاتات) (التشات) هو عملة بورما وأنه في خارج البنك يصرف بإثني عشر ولكنه يريد أن يربح منا (تشاتا) واحداً.

ولم يدر أنه بذلك كالذي يضرب في حديد بارد فهو يخاطب رجلاً قد عرف أمثاله كثيراً ولا يمكن أن يضع ثقته فيه ولقد آذانا بكثرة تكرار كلامه وسؤاله سؤالاً مباشراً عن كل شيء يتعلق بنا شأن الفضوليين الفارغين من العمل.

وقصدنا فندق (ستراند) وهو مثل بقية الفنادق بل المرافق مملوك للدولة. فوجدنا الأمر أعظم من ذلك إذ التف علينا عند بابه

طائفة من الفضوليين ومن الذين يعرضون خدمات سياراتهم والذين يلحون بصرف العملة وبعضهم بل أكثرهم يحيي بتحية الإسلام تزلفاً ولو لم يكن مسلماً وبعضهم تبين أنهم بالفعل من المسلمين الذين يتاجرون في صرف العملة بالسوق السوداء ولكننا لا نعرفهم ولا نثق بهم لذلك صرفنا من الفندق الدولار الواحد بأقل قليلاً من ثمانية (تشاتات) وأعطينا سائق السيارة الأجرة التي طلبها أربعين (تشاتا) ويساوي ذلك بالصرف الرسمي خمسة دولارات ولكنه لا يزيد بالصرف الحر أو بالسوق السوداء على دولارين اثنين فقد وجدنا بعد ذلك من صرف لنا الدولار الواحد بعشرين تشاتاً وقال آخر: إنه مستعد أن يعطينا اثنين وعشرين.

وكنا عندما أخبرنا ذلك الرجل الذي ركب معنا ومن بعده جمهرة من الذين لا قيمة للوقت عندهم بأننا نحمل صكات (شيكات) سياحية لا يمكن صرفها إلا في جهة رسمية قالوا: اطلبوا من الصراف في الفندق أو غيره أن يختم لكم على أوراق العملة في مقابل أن تعطوه ثمن الدخان وسوف يفعل وبالطبع لم نفعل ذلك.

ولكن هذا يدل على فساد النظام إن صح وإن لم يصح فإن مجرد وجود هؤلاء المتجمهرين الذين يطلبون من السياح أن يصرفوا لهم العملة الأجنبية بأكثر مما تصرفها الحكومة مرتين وضعفاً وهم ظاهرون غير مستترين يدل على ضعف الادارة الحكومية، لأنهم يمارسون في العلن عملاً لا تقره الحكومة.

ونزلنا في فندق (ستراند) الذي أصدق ما يصدق عليه المثل القديم: «عزيز قوم ذل» فهو واسع الأبهاء والممرات، فسيح الحجرات إلا أنه يصح أيضاً أن يتخذ مثالاً لما كانت عليه الفنادق الراقية منذ ثلاثين سنة إذا كان لم يتغير شيء من أثاثها ولا رياشها منذ ذلك التاريخ.

فالمصعد الذي صعدنا به قديم ذو بابين من شباك الحديد لا بد فيه من عامل يبقى داخله طيلة الوقت يغلق البابين ويفتحهما للنزيل. وفيه جرس بحيث إذا أراد المرء أن يحضر إليه المصعد ضغط على زر الجرس فعرف العامل بـوجوده ولا يأتي المصعد من تلقاء نفسه.

وهذا المصعد من الحلقات المفقودة أو قل التي لم تكن موجودة في بلادنا السعودية فنحن عرفنا المصاعد بعد عهده وأمثاله وإنما أدركنا أمثاله في عمارات القاهرة القديمة. وهو واسع إلى درجة أن يتسع لخمسة عـشر شخصاً غير أنهم كتبوا عليه أنه لا يجوز أن يزيد عدد راكبيه عن أربعة.

أما الغرفة فإنها لا تبعد عن ذلك فهي واسعة سعة مفرطة ولكن ليس فيها شيء غير ذلك جيد فالحمام كل ما فيه عتيق ويحتاج إلى ترميم والإضاءة فيها ناقصة والأثاث كله خشبي قديم. وحتى الأرض فهي مفروشة بالأخشاب وليس عليها فراش. ولذلك اسودت من دون أن ينالها أي تنظيف.

والفندق رخيص فهو بهذه المثابة من السعة ومع ذلك اجرة الغرفة فيه التي فيها سريران لشخص واحد خمسة وعشرون دولاراً أمريكياً مع الخدمة والدفع بالعملة الأجنبية لمثلنا.

سألت العامل الذي أوصل حقائبنا إلى الغرف عن جهة الشرق والغرب فسألني عن السبب؟ فقلت: إننا مسلمون ونريد أن نعرف القبلة فتغيرت ملامح وجهه واشرقت أساريره وخلع نعليه علامة الاحترام في هذه البلاد ثم قال: أنا مسلم مثلكم اسمي (عبد الحميد) ثم أرانا القبلة وكان وقت المغرب قد حان قبل قليل إذ الشمس تغرب في السادسة والربع.

في مطعم المسلمين:

طلبنـا من العامل أن يدلنا على مطعم مسلمين لأن أهل هذه البلاد

ليسوا من أهل الكتاب الذين يحل طعامهم.

وذلك بعد الصلاة والاستراحة ولم نجده في مدخل الفندق كالعادة فسألنا العاملات في مكتب الاستقبال عنه، وقلنا: إننا نريد (عبد الحميد) فلم يعرفنه إلا بالوصف وهنا قلن: نعم، إنه (دلاميد). وذلك بأنهم يحرفون الأسماء الإسلامية في لغتهم أحياناً ويكون للمسلم في الغالب اسمان احدهما بورماوي والآخر إسلامي.

وجاء عبد الحميد أو (دلاميد) فتقدمنا إلى مكان غير بعيد وجدنا على أرصفة الشارع فيه عدة قدور تغلي بالطعام لعدة حوانيت أو مطاعم متجاورة بعضها للمسلمين وبعضها لغيرهم الذين هم هنا من البوذيين في الأغلب لأنهم الذين لهم الكثرة العددية في هذه البلاد.

ولم يكن المطعم بالنظافة التي نرجوها لمطعم اسلامي لأن الإسلام هو الدين الذي جاء بالطهارة والنظافة في الأبدان والثياب فقد استقبلنا صاحب المطعم وهو شيخ ذو أصل هندي فيما يظهر من ملامحه وإن كانت تدل على أنه ربما كان مختلطاً في الأصل مع بعض البورماويين وكانت ثياب الرجل كمطعمه لا تبالي بما يعلق بها من درن أو لا تقيم وزناً للنظافة. أما الأثاث الخشبي الرديء فإن خرقة التنظيف لم تعرف طريقها إليه بدون شك وقد تحلق حولنا العمال عنده وهم في مثل حالته أو أردأ من حيث النظافة وإن كان فرحهم غامراً ووجوههم متهللة لرؤية اخوان لهم مسلمين من بلاد العرب.

وأسرعوا يحتفون ويقدمون ما طلبنا وهو الأرز البرياني أي المخلوط بالأبازير والافاويه المختلفة إلى جانب تشبعه بالدسم، ومعه صحن من لحم الغنم الجيد قد غمروه بالكاري وهو المرق الهندي الكثيف الذي خلط أيضاً بخضرات مجموعة أذيبت فيه. واكثروا فيه من الفلفل وطلبنا الليمون

والبصل لنطرد به عنا وسواس عدم النظافة. وكنا نأكل واخواننا والفضوليون من جيرانهم ينظرون إلينا وكأنهم لم يروا أناساً غرباء يأكلون عندهم قبل ذلك مع العلم بأننا نرتدي الزي العالمي المسمى بالافرنجي محافظة على طابع السياحة الذي أعلناه لقدومنا إلا أن مظهرنا لا يدع مجالاً للشك في أننا غرباء حقاً فالشكل العربي الذي هو دون الأوروبي في البياض واللحى لا توجد هنا، إضافة إلى تقاسيم الوجوه، كل أولئك ينم عن أصلنا الغريب.

وعندما أكلنا ونحن لا نكاد نأكل من حالة (المطعم) الذي هو حانوت اي دكان صغير فيه كراسٍ خشبية لا ظهور لها مثل التي تكون في الحمام أو المطبخ. وكل ما يتعلق بالمطعم غير ذلك فهو في رصيف الشارع.

وسألنا الأخ صاحب المطعم عن الثمن فأجاب: ستة تشاتات للواحد وهذا المبلغ يساوي بالصرف الرسمي دولاراً أمريكياً إلا ربع الدولار وبالسوق السوداء أقل من ثلث دولار فما أرخصه وما أغلاه. ورخصه ظاهر وغلاؤه في الإقدام على أكله مع عدم توفر النظافة فيه ونحن قوم قد أغنانا الله من فضله فأصبحنا على حالة من جودة الأثاث والرياش، ومن نظافة المساكن تجعلنا لا نطيق الصبر على عدم النظافة.

حول الفندق:

يقع فندق (ستراند) الذي نسكن فيه في الوسط الفاخر القديم من مدينة (رانقون) وهو منطقة كان للمسلمين فيها الأغلب والأغلى أيام عز المسلمين ومجدهم في هذه المدينة.

وقد تجولنا فيما حول الفندق بعد العشاء لا لنبحث عن مجد المسلمين الضائع فذلك للبحث عنه وعن أسباب ضياعه مكان غير هذا المكان وإنما كان السير حول الفندق لمجرد الرغبة في المشي وسط مدينة ندخلها لأول

مرة، ونستبطيء أن يطلع النهار لرؤ يتها. فأول ما رأيته منها ذكرني ببلدة أخرى نائية عن رانقون ومختلفة عنها في وجوه كثيرة وهي مدينة (مابوتو) عاصمة جمهورية موزمبيق الاشتراكية الافريقية وهي عاصمة بناها المستعمرون البرتغاليون الذين كانوا يظنون أنهم باقون في تلك البلاد فجملوها ما وسعهم التجميل، وخططوها وخططوا لها أن تكون خالصة لهم خالدة على الدهر ولكن شاء الله تعالى غير ما شاؤا، وخرجوا منها مذمومين مدحورين.

وتولاها أهلها الإفريقيون إلا أنهم لم يستطيعوا حتى أن يحافظوا على ما كانت عليه من إعمار وازدهار. فساءت حالها، واقفرت شوارعها من المركبات الحديثة بل والقديمة إلا ما كان خاصاً باقياً من أيام العز والازدهار.

وفي هذه العاصمة البورمية (رانقون) تسلم البلاد أهلها من المستعمرين البريطانيين في وقت مبكر من عمر الإستقلال وهو عام ١٩٤٨ م وكانت حركة المال والأعمال أكثرها في أيدي أناس ليسوا من البورماويين الأصلاء، فغاظهم ذلك واستعظموه أن يكون. فقرروا أن تكون الوسيلة إلى أخذ ما كسبته أيدي الآخرين هي الاشتراكية التي تجعل الناس في الفقر يشتركون.

ولكنهم لم يستطيعوا أيضاً حتى أن يبقوا عاصمتهم على ما كانت عليه من نضارة وازدهار أيام الحرية والاعمار.

ففضلاً عن توقف العمارة فيها وانحصار التجارة في أيدي حكامها فإن مبانيها العامة قد ساءت حالها وارصفتها قد تكسرت وحتى مجاري المياه التي كانت مسقوفة في الأرصفة قد تكسرت بعض سقوفها فانكشف من عوراتها ما انكشف ورتع الذباب وأبناء عمه من الحشرات فيها بل باض وفرخ.

فكانت أولى النظرات إليها توحي للغريب بأنها بلاد متخلفة أو أنها محافظة على تخلفها بحيث لا ترى فيها عمارة حديثة ولا سيارات جيدة جديدة.

وحتى الكهرباء في الشوارع والمحلات العامة والخاصة التي تطل عليها كانت بشحها وقلتها تعطي المثل على ذلك.

والغريب أن الناس في الشوارع نراهم ينظرون إلينا ويسترعي انتباههم وجودنا مما يدل على أنهم لا يشهدون قدوم أجانب كثيري العدد إلى بلادهم.

إلى جانب ما يلمسه المرء الذي يقدم إلى هذه البلاد لأول مرة ويستمر يلمسه من أن القوه فضوليون وبخاصة منهم من هم من أصل هندي أو من بلاد قريبة من بلاد الهند.

وقد مررنا بباعة لقصب السكر وهم كثير وكلهم يدير آلة عصر القصب بيده ويجاهد في ذلك. وقد شرب أحدنا من عند بائعة للعصير كانت تجاهد في إدارة الآلة بيديها كلتيهما ثم تعيد عصر القصب ثانية لتستخلص منه ما بقي فيه من ماء وطلبت ثمنه (تشاتين) اثنين أي ربع دولار بالصرف الرسمي.

ومن عصير قصب السكر المألوف وقفنا بل وقف عندنا صبي يبيع بيض طيور صغيرة كالحمام قال: كل ست بيضات بتشات واحد ثم نادانا ليزيدنا والتشات هو ثُمن الدولار الأمريكي بالصرف الرسمي ونصف عُشره بالصرف الحر وبعملتنا السعودية يساوي اقل من نصف الريال بالصرف الرسمي.

ومررنا بحانوت عرفنا أنه لأحد المسلمين لأننا رأينا صورة الكعبة معلقة فيه ولم يكن فيه غير امرأة أخبرتنا أن زوجها وأباها من العاملين في

الحقل الإسلامي، فأخبرناهم بعنواننا ليأتوا إلينا في الفندق بعد ذلك ولكنهم لم يأتوا.

وقبل النوم تناولنا الشاي في مقهاة الفندق وهي واسعة جداً إلا أن الرواد فيها قليل، وليس فيهم من أهل البلاد أحد ويتبين السبب في ذلك إذا عرفت أنهم قدموا شاباً أسود كثيفاً في لون القطران وطلبوا ثمنه خمسة تشاتات، للشخص الواحد فهو مع الحلوات (البخشيش) يساوي الوجبة الكبيرة من الأرز واللحم والمرق الذي أكلناه في المطعم المسلم قبل قليل. والأهالي يعجزون عن تحمل أسعاره لو أرادوا مع أنه ليس فيه ما يغري فالشاي عندهم ليس جيداً لأنهم ينتجونه ويمنعون استيراد الجيد منه وقد لاحظت أن بعض الركاب الذين فتحوا حقائبهم عند وصولنا للجمرك عصر اليوم كانوا يحملون علباً من الشاي الجيد.

يوم الجمعة ٣٠/ ٥/ ١٤٠٤ هـ ٢ مارس ١٩٨٤ م

صباح رانقوني:

كان المعتاد أن يتلقى التنزيل أول تحية في الصباح من عامل أو عاملة في الفندق ولكن في هذا الصباح كان أول شخص رأيناه عامل المصعد الذي يصدق عليه اللغز المشهور إنه يسير عشرات الأميال وهو واقف في مكانه لا يبرحه.

غير أن عامل المصعد لم يحـينا بل كأنه لم يشعر بوجودنا لولا أنه اغلق البابين الحديديين في المصعد واحداً بعد الآخر ثم ضغط على الزر الذي يوصل إلى الدور الأرضي.

ولم نجد في مدخل الفندق أحداً لأنه يمنع دخول من ليس لهم علاقة به من الطفيليين وإنما رأينا طائفة من الذبان المرحة قد افترشت مدخله

الخارجي وكأنها تريد أن تتسلل في غفلة من عماله إلى الداخل.

وكانت هذه التحية غير المحببة هي الأولى وبعدها كانت أخرى غير محببة أيضاً وهي منظر البصاق الأحمر الذي (يرصع) رصيف الشارع وهو الذي خلفه المتسكعون الذين كانوا موجودين حول الفندق يبحثون عمن يصرف العملة أو من يعرضون عليه (التاكسي).

وذلك البصاق الأحمر القذر هو الذي يرسله من يمضع التنبول وهو ورق شجر توضع في وسطه أشياء من الجير والدخان وصمغ أحمر للون قذر.

وقد ابتليت به بعض البلدان الهندية وما جاورها إلا أن بعضها مثل تايلند قد حرمت أكله قبل زمن وآكله يبدو فمه ذا منظر يتقزز منه من لم يتعود على رؤيته. ويتذكر من كان رأى مؤخرة الفرد أن فيه شبهاً منه إضافة إلى البصاق الأحمر الكثير. وإلى تسرب شيء من الريق الأحمر من افواه كبار السن أو ضعاف الصحة.

ويزعمون أنه يقوي اللثة مع أن متعاطيه لا يبدو في صحة جيدة، كما يقولون: إنه يساعد على الهضم وكثير منهم ليسوا بحاجة إلى جودة الهضم وإنما هم بحاجة إلى الأكل أي أكل.

وقد رأيت هنا ما رأيته في بعض البلدان المختلفة من قلة النظافة في الأرصفة والشوارع بل من تراكم الأوساخ والنفايات فيها في بعض الأحيان مع أن التنظيف لا يحتاج إلى خبرات ولا إلى امكانات اقتصادية ولكن هكذا التخلف في الادارة أو حتى سوء الإدارة أو عدم إرادة الأحسن فيها قد يسبب ذلك.

وكنا نتجول في الشوارع الواسعة والأرصفة العريضة التي كانت لمدينة رانقون في هذه المنطقة التجارية من وسط المدينة فنرى أن كل ما

نشاهده يدل على مجد غابر لم تستطع المدينة المحافظة عليه بل حتى مجاري المياه القذرة التي تكون في كثير من البلدان المطيرة على هيئة قنوات في رصيف الشارع قد تكسرت اغطيتها مع أنها اسمنتية أو حجرية ولم يستطيعوا إبدالها. والأبنية الكبيرة المتعددة الطبقات لم ترمم والحوانيت الواسعة قد قلت البضائع فيها فاتسعت مساحات الفراغ داخلها.

وفي مقابل ذلك انتشر باعة البضائع الصغيرة الحقيرة على الأرصفة حتى كادوا يكونون أكثر من الباعة في الحوانيت. وبضائع هؤلاء الباعة الصغار أكثرها بسيط التركيب. قليل الكم. والحاصل أن المظاهر العامة سواء في الأناسي والأبنية تدل على الفقر وسوء الإدارة وعدم إرادة التغيير إلى الأحسن بل عدم المحافظة على جودة الجيد.

الهند الصينية:

ومن استجلاء مناظر الناس ومظاهرهم البارحة وفي هذا الصباح تبين أنهم شعب عجيب لا يمكن أن نلحقه بسهولة بأي شعب معروف لنا تماماً.

وأول شيء يفاجأ به من عاش في الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة وعرف البورماويين في المملكة مثلي أن أكثرية هذا الشعب البورماوي في العاصمة ليسوا من البورماويين الذين نعرفهم، بل هم شعب آخر بعيد عن أولئك البورماويين المسلمين الذين عرفناهم في بلادنا.

فالشعب هنا بأكثريته الساحقة أصدق ما يصدق عليه التعبير القديم (الهند الصينية). فهو قريب الشبه بأهل الصين ولكنه ليس خالصاً لهم وفي بعض أفراده شبه من بعض البلاد الهندية ولكن ليس خالصاً للهند وأهل الهند الذين فيه شبه منهم هم السكان الذين يعيشون في شمال الهند قرب جبال الهملايا.

وعندما كنت أتذكر العبارة التي تلخص وصف القوم ذكرت عبارة لأحد أسلافنا من المؤرخين العرب قالها في الأفغانيين وهم أهل (كابل): إنهم جيل من الناس بين أهل الهند وأهل خراسان. وهم بأهل الهند أشبه. وأقول أنا هنا: إن أهل بورما جيل أي نوع من الناس بين أهل الملايو وأهل الصين وهم بأهل الصين أشبه.

لولا أن طباعهم بأهل الملايو ومن التحق بهم أشبه منها بأهل الصين فهم ليسوا رجال مال يفنون حيواتهم في جمعه والمثل الأعلى عندهم للأكل الجيد كما هي حال أهل الصين وإنما هم في هذا الموضوع يشبهون الجنس الملايوي الذي يمكن أن يعد التايلنديون منه يعيش المرء منهم ليومه غير مبالٍ بغده ويقنع باليسير عن الكثير وللمرأة عندهم وفي مجتمعهم دور كبير وهذا بطبيعة الحال على الأغلب الأعم وإلا فان لكل قاعدة شواذ.

ومع كون الأغلبية كما قلنا هم بين الجنس الملايوي والجنس الصيني وفي بعضهم شبه بالجنس المغولي الذي لا يبعد كثيراً عن الجنسين السابقين وهذا الشعب أصفر اللون مع ميل إلى البياض غير المشرق. فإن هناك بينهم طوائف عرقية أخرى من أهمها الطائفة الهندية التي هي في الأكثر بنغالية أو تمت إلى البنغال في شرق الهند بصلة وهي تتميز بالسمرة الشديدة والقامات المديدة بالنسبة إلى قامات البورماويين القصيرة. كما تمتاز بعدم النظافة وقلة اللطافة بالنسبة إلى الأكثرية. إلى جانب التقاسيم الواضحة الفروق في الوجوه حيث الأنوف الأكثر وقوفاً والوجنات الأقل ارتفاعاً والعيون الأكثر اتساعاً، والسرعة في المشي أو استقامة الاسراع في المشي بخلاف البورماويين الأصلاء. وهذا الجنس الهندي الشرقي نسبة إلى شرق الهند يعتبر في هذه البلاد جنساً غريباً مهاجراً تنظر إليه الأكثرية بهذا المنظار وهو منظار لا يمكن أن يخطيء المظاهر لأنها واضحة وإن كان قد يخطيء الخبر.

وبعض هؤلاء الذين يشبهون الهنود هم من المواطنين البورماويين

القدماء من سكان المناطق المجاورة للهند ولكنهم يـعتبرون حتى على هذه النظرة من الأقليات غير المحبوبة في البلاد.

واذكر أن عاملات الفندق عندما رأيتهن أول مرة تبادر إلى ذهني صورة المغول فهن بيض بصفرة وذوات شعور طويلة سود بل شديدة السواد مرسلة ووجنات عالية، وحواجب شبه مستقيمة إن لم ترفع أطرافها على جانب الجبهة ولسن بذوات حواجب هلالية كالمعهود عندنا. ويتميزن بسرعة الابتسام والبساطة في ذلك كما تفعل التايلنديات وإن كن يخالفهن في أشياء كثيرة. وبسبب تألف بورمـا من عدة عنـاصر ومناطق أسموها دولة اتحاد وليست دولة وحدة فالاسم الرسمي للبلاد في الوقت الحاضر هو (جمهورية الاتحادالبورماوي الاشتراكية. أو (الجمهورية الاشتراكية للاتحاد البورماوي).

وعندما كنا نتمشى في الشارع لفت انتباهي ما أسميته في غير هذه البلاد بحانوت الأكتاف وهو أن يحمل المرء بضاعته على كتفه بما يشبه الميزان ذا الكفتين قد وضع فيهما البضاعة بعصا غليظة أو خشبة دقيقة وهو يسير يبيع يقف إذا ناسبه الوقوف وينتقل إذا أراد.

وهذه الحوانيت ـ أي الدكاكين ـ التي تحمل على الكتف كما كان يفعل السقاة عندنا في الحجاز قديماً عندما كانوا يحملون الماء فيما يشبه صفيحتين متعادلتين يحملهما السقاء على كتفه. هي شائعة الاستعمال في بلاد الجنس الملايوي من الاندونيسيين والماليزيين والتـايلنديـين. وهذه الحوانيت متنقلة وليست كثيرة في العاصمة. وإنما الحوانيت الكثيرة كثـرة ملفتة للنظر لم أر لها مثيلاً إلا في مدينة كلكتا الكبيرة في الهند هي الحوانيت التي تبيع التنبول حيث يرى المرء الواحد منها صغيراً ضيقاً لا يكاد يتسع لصاحبه وإنما يجلس صاحبه على عتبة مرتفعة أمامه وليس فيه إلا التنبول وما يقاربه من الدخان الضئيل والقوم يقبلون على شراء ذلك ويضعونه في افواههم ومن ثم يتحول بعد ذلك إلى أقذار ترمى في الشارع على هيئة

بصاق أحمر قذر يبقى أثره فيه مدة طويلة.

كما يلفت النظر أيضاً هنا ما هو شائع في تايلند بالذات وهومنظر الرهبان البوذيين الذين يرتدون ملابسهم على هيئة فوط غير مخيطة تشبه ملابس الإحرام عندنا. وهم حليقو الرؤس ورؤسهم عارية وبعضهم يكونون حفاة جرياً على العادة السائدة في البلاد البوذية التي تجعل الحفاء جزءاً من العبادة لأنه دليل على التواضع.

واللون الغالب هنا على ملابس الرهبان من البوذيين هو الأدهم أو الأحمر حمرة غير قانية بخلاف ما رأيته في تايلند من غلبة اللون البرتقالي أو الأصفر على ملابسهم.

وهذا الحي القديم يعتبر على قدمه جديداً بل هو أفخر حي في المدينة نفسها ولذلك نجد فيه عدداً من السفارات الأجنبية مررنا منها بالهندية والأمريكية والقسم القنصلي للسفارة البريطانية ومن الأمثلة الغريبة اننا رأينا رجلاً فقيراً ربما كان عليلاً مستلقياً على ظهره في جزيرة في الشارع تحت ظل شجرة ومعه قطعة من نقودهم ذات العشرة نشاتات ـ جمع تشات ـ وهو يمدها بيديها كلتيهما ينظر إليها ثم يقبلها بإعجاب يفعل ذلك عدة مرات.

وقد بدا لنا تخطيط هذا الحي رائعاً قبل ثلاثين سنة أو أكثر إذ كان كله واسع الشوارع وذا شوارع فرعية متوسطة السعة وقد أسموا شوارعه بأرقام مميزة وذلك لتشابهها وتعامدها أي استقامتها مع تقاطع الشوارع الآتية من الجانبين معها.

ومعظم الشوارع فيها إشارات المرور الضوئية وبعضها يسير المرور فيها رجال من الشرطة بأيديهم.

جمعية علماء الإسلام:

كنت أحمل معي عنوان طائفة من الجمعيات الإسلامية في هذه البلاد من أهمها جمعية علماء بورما الآن ورئيسها الشيخ المفتي محمود داود يوسف هو عضو في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي كنت قد أرسلت إليه تذكرة في العام الماضي لحضور اجتماع مجلس الرابطة ولكنه لم يحضر بسبب القيود التي تفرضها الحكومة البورماوية على خروج مواطنيها وبخاصة إذا كان خروجهم لغرض ديني غير الحج أو للاشتراك في اجتماع سياسي حيث يعتبرون أن الاشتراك في اجتماع الرابطة هو اشتراك من هذا النوع.

وسيارات الأجرة أو (التاكسي) هي عندهم من نوع غير مألوف فكلها من سيارات الشحن الصغيرة المصنوعة في اليابان ويركب الناس في ظهرها على خشبة فوق الجانبين وتحتها نوع من العربات التي تسمى (موتور ركشا) أي الركشا ذات المحرك وهي تسير على ثلاث عجلات واحدة امامية واثنتان خلفيتان ويركب الناس في ظهرها أيضاً.

ولا توجد سيارات الأجرة الصغيرة المعتادة إلا في النادر الذي لا حكم له وإذا وجدت فهي قديمة جداً.

أوقفنا واحدة من سيارات الشحن الصغيرة هذه وأرينا سائقها المكان الذي نريده فتهلل وجهه وقال: أنا أعرف هذا المكان. أأنتما مسلمان؟ أنا مسلم مثلكم وسأوصل هذا الراكب معي ثم اذهب معكم.

والسائق مسلم اسمه (حكيم الله جولجي) ولولا أن الذين أسموه بهذا الاسم (حكيم الله) لا يعرفون معناه على وجه الدقة وأن الأسماء كما يقول اللغويون لا تعلل لما تجرأت على ذكره لأنه فيه سؤ أدب وليس له معنى إذ ما هو معنى (حكيم الله) إلا إذا كان المراد المحكوم بأمر الله أو الذي يحكم بما أمر به الله.

وسيارته من سيارات الشحن اليابانية الصغيرة التي تستخدم مثلها على هيئة عربات لنقل البضائع والأمتعة الخفيفة قال: إنه اشتراها بتسعين الف (تشات) ويساوي هذا بالصرف الرسمي ما يزيد قليلاً على أحد عشر ألف دولار أمريكي.

وقد كتب على مقدمتها من الداخل سورة الاخلاص على هيئة ورقة مطبوعة ملصقة امام السائق وهو من أصل هندي.

أوصلنا إلى بناء قديم من مجموعة من الأبنية المتلاصقة المرتفعة في الحي الذي كان تجارياً فاخراً في المدينة على الطابق الثاني منه لافتة بالعربية تحتها البورماوية وتقول العربية: مركزي جمعية علماء الإسلام متحدة بورما، أي الجمعية المركزية لعلماء الإسلام في اتحاد بورما. وقد كتبوا كلمة بورما (برما) بقصر الواو بعد الألف إلى ضمة إلا أنني رأيتهم بعد ذلك لا يتقيدون بهذا الاسم فيكتبونها بورما كما هو الشائع في العربية في هذا الاسم.

صعدنا إلى الطابق الثاني من درج واقف يبدأ من الشارع بمدخل عالٍ وهذا الدرج خشبي قديم قد تثلمتدرجات منه فرقعوها بصفيح. وقد أسود من طول الزمن دون ترميم أو تغيير عندما تغير الزمن بالمسلمين هنا ومن بعد ذلك أو مع ذلك بأهل بورما معهم.

لم نجد في المكتب إلا موظفة من أصل هندي ورجلاً مثلها فأخبرونا أنهم قد هاتفوا الشيخ المفتي محمود داود يوسف في بيته وأخبروه بأمرنا فقال: إنه يحضر في التاسعة والنصف وكانت الساعة تقارب التاسعة.

وقال الأخ (حكيم الله): إن معظم هذه البيوت والحوانيت كانت للمسلمين ولا يزال السكان بأكثريتهم هنا في هذه المنطقة من المسلمين، انظروا إلى هذا البيت وهذا الرجل وهؤلاء الأطفال وإذا بهم يختلفون عن بقية السكان من حيث أن أكثرهم من أصول هندية كما يختلفون عن الهنود

أنفسهم وعن المواطنين الآخرين بكونهم أكثر نضارة في الوجوه واشراقاً في الألوان وذلك لمعافاتهم من المسكرات وبعض المنكرات.

ووقفنا عند حانوت رجل مسلم ننتظر مجيء الشيخ محمود فأقبل صاحب الحانوت يحيي ويسلم بالتحية الإسلامية التي لها وقع حسن في الأذن لا تحس به في بلاد المسلمين كما تحس به في بلاد الاغتراب الديني، وبخاصة عندما كنا نظن أن وجود المسلمين في العاصمة قليل. وقبل أن نتبين أنه ليس كذلك. والرجل يميل لونه إلى البياض أكثر من الآخرين وقال إن اسمه (محمد رفيع) وإن أصل أجدادهم من ماليزيا فيما يعتقد.

جلسنا عنده قليلاً ليحضر القهوة كما قال ثم عدنا إلى الفندق لأنه لا يزال لدينا وقت نقضي فيه بعض الحاجات ورأينا إعلاناً في الفندق يقول إن حفل زواج سيتم اليوم فظنناه لمسلمين لأن اليوم هو يوم الجمعة وتبين أنه لقوم من الصينيين وأنهم اختاروا هذا اليوم لأنه صادف يوم عطلة في الدولة لمناسبة اليوم الذي يسمونه (عيد الفلاحين) وتعطل فيه الأعمال كلها.

وقد كتبوا اسم العروس اي الزوجة وإن كان الرجل المتزوج يسمى أيضاً في الفصحى (عروساً) غير أن الاصطلاح سار في البلدان العربية حديثاً على تسمية الزوج بالعريس والزوجة بالعروس. قالوا: اسمها مونغ بون اولغ والعريس ما ني سان تانسونغ وهي كما ترى اسماء ذات طابع صيني بل هي صينية صريحة لأن في البلاد جالية صينية أصبحت من المواطنين البورماويين وانتفت عنهم صفة الجلاء التي أخذ بعض عوام الكتاب يطلقونها حتى على الأقليات في بعض البلاد وإن تكن من أهل البلاد الأصلاء، وليست وافدة ولكن الطابع العام للأسماء هنا ليس بعيداً من حيث المظهر أو تقسيم الأسماء إلى مقاطع عن اللغة الصينية.

اللغة البورماوية:

وهذه الاشارة تجرنا إلى الحديث عن اللغة البورماوية وهي لغة مستقلة بذاتها لا تشبه لغة تايلند المجاورة ولا لغة البنغال الجارة الأخرى إلا أنها في الكتابة تبدو قريبة في بعض حروفها من هاتين اللغتين. ولكنها ليست مماثلة لأية واحدة منها.

وهي في أذن السامع الأجنبي مثلي قبيحة المخارج فظة الكلمات حتى من افواه النساء وهي في أفواه الرجال أشنع أو هـذا ما يتبادر إلى الذهن منها.

على أن الذي يسمع المتكلم بها على البعد يخيل إليه أن في نبراتها شيئاً من اللغة الصينية ولكنه لا يستطيع البت في ذلك لأن اللغة الصينية نفسها منقسمة إلى عدة لهجات تكاد تصبح لغات مستقلة لذلك جمع أهلها أنفسهم على لغة فصيحة واحدة أسموها (مندرين) حتى إن الصينيين في سنغافورة يتكلمون خمس لغات أو لهجات صينية لا يستطيع بعضهم أن يفهم بعضها إلا إذا كان الكلام بالمندرينية. وهي بمثابة الفصحى في العربية.

ومن اللطيف في الفندق أنهم قد عملوا فيه لوحة تتضمن بيـاناً برحلات الطائرات التي تغادر (رانقون)، وأكثرها طائرات شيوعية أو اشتراكية ما عدا التايلندية والنيبالية وهي قليلة نزرة بالنسبة إلى هذه البلاد التي لا تعتبر صغيرة بمساحتها ولا قليلة السكان، ولا ضحلة الموارد ولكنها فقيرة في العمل الجدي الذي ينفع أهلها.

وعندما قربنا من القاعة التي كان الناس يتجمعون فيها وهم ما بين رجال ونساء أقبلت من بين الناس فتاة متزينة وقالت: تفضلوا ادخلوا أنا أخت العروس إنه يسرنا أن تكونوا معنا فشكرنا لها مجاملتها وقلنا: إننا

نريد أن ننظـر فقط. وقد لاحظت بعد ذلك أنهم قد جعلوا أربعة رجال على باب الفندق يستقبلون المدعوين لحضور حفلة الزفاف والغداء بعدها ومع اثنين منهم علب من لفافات التبغ ومع اثنين اعواد ثقاب، فإذا حضر الزائر انتزع لفافة واحدة يسرع الآخر بإشعال عود ثقاب ليشعلها له.

وكانت رؤ ية هذا العدد من الصينيين متجمعين بهذه المناسبة فرصة لرؤ ية الصينيين في هذه البلاد ومعرفة تـأثيرها عليهم فلاحظنا أنهم تغلب عليهم النحافة فهم ليسوا كالصينيين المقيمين في تايلند الذي تغلب البدانة على اغنيائهم وكبار السن فيهم.

كما أن قاماتهم أقصر من الصينيين الذين نعرفهم في جزيرة تايوان أو في البر الصيني، فهم بهذا يقتربون من البورماويين الأصلاء لولا التقاطيع الظاهرة في الجسم وعلى وجه العموم فإنهم اقل وجاهة من غيرهم من الصينيين الذين نعرفهم.

وعندما كنا ننتظر وصول سيارة الأجرة عند باب الفندق تجمهر جماعة من الفضوليين الذين يسألون سؤ الاً مباشراً عن بلادنا وأسمائنا وينظرون في تعابير وجوهنا فضلاً عن الاستماع إلى كلامنا وبعضهم يلحون في صرف العملة الأجنبية في السوق السوداء.

ولما نهرتهم عن ذلك أجاب ثلاثة منهم بأنهم مسلمـون وذكروا أسماءهم للتدليل على ذلك وهم محمد جميل ومحمد طيب وعبد المطلب. وقال أحدهم: إننا مستعدون أن نصرف لك الدولار بواحد وعشرين (تشاتا) على حين أن الفندق يصرفه لك بأقل من ثمانية.

فقلنا لهم والشيكات السياحية؟ فقالوا: تعطي صاحب الفندق ثمن الدخان ويختم لك بأنه صرف لك ما تريد تغييره في السوق السوداء.

وقد اكدوا ذلك رغم ظني بأنه غير صحيح لأن صاحب الفندق

والمراد به هنا أمين الصندوق أو المحاسب إذا ختم على أوراق بأنه قد استحصل نقوداً أجنبية من شخص أجنبي فإنه يطالب بأن يوردها لمصرف الدولة إلا إذا كان سوء الإدارة قد بلغ بهم مبلغاً جعلهم لا يبالون بذلك.

في جمعية العلماء:

في التاسعة والنصف كنا نصعد لاهثين مع الدرج الواقف الطويل الذي يصعد معه إلى مكتب جمعية علماء الإسلام في بورما.

فوجدنا المكتب في شقة واسعة من بناء قديم كل ما فيها قديم من الأثاث الخشبي المهمل. ومن الأشياء البارزة في المكتب إعلان في سبورة عنوانه بالعربية «موت العالم، موت العالم» وتحتها بالأوردية (حضرة مولانا الحاج حافظ محمد بشير الله صاحب).... إنا لله وانا إليه راجعون وقد أخبرونا أنه أحد أعضاء الجمعية وأنه توفي أمس رحمه الله.

والاسم الطويل هذا المؤلف من ثمان كلمات كله لشخصه دون ذكر اسم ابيه ولقب أسرته مضاف إلى ذلك القاب التعظيم مثل حضرة وصاحب والألقاب التي استحقها بعمله مثل (مولانا) التي تعطي للمتخرج من مدرسة شرعية أو جامعة علمية دينية على حد تعبيرهم وإن لم تبلغ أن تكون في مستوى الدراسات العالية كما نعرفها وكذلك (الحاج) لمن أدى فريضة الحج، و(حافظ) لمن يحفظ كتاب الله.

وكان اول من استقبلنا في مكتب جمعية علماء الإسلام الأخ الشيخ (نثار أحمد) يعرف قدراً من العربية يستطيع أن يفهم من العربية المكتوبة اضعاف ما يستطيع أن يفهمه من كلام أهلها أو من الحديث بها لأن أكثرهم تعلم العربية هكذا ولم يسافروا إلى البلاد العربية حتى يمرنوا على التحدث مع اهلها.

وقد أخبرنا الأخ (نثار أحمد) بأنه تعلم العربية هنا في رانقون في دار

العلوم كما قال. وتجدر الإشارة إلى أن النثار الذي ورد هنا في اسمه مضافاً إلى محمد والمراد به رسول الله محمد ﷺ تعني ما ينثر على رأس العروس أو على رأس الصبي عند الختان من لطائف النقل أو حتى النقود وكان هذا معروفاً شائعاً في البلاد العربية أيام ازدهار الحضارة العربية وكان (النثار) يختلف باختلاف حالة الأشخاص من فقر وغنى ومكـانة في المجتمع فكان الناس يتجمعون حتى يظفروا بشيء يستحق الاهتمام من ذلك النثار. وقد أتينا على ذكرها لأنها اصبحت مجهولة عند بني قومنا العرب وبخاصة في بلادنا وبقيت معروفة عند اخواننا المسلمين الأباعد في الوطن عنهم وإن كان بعضها أصبح مجرد أسماء لا يعرف المسمون ـ بضم الميم المشددة ـ ولا المُسَمَّوْن ـ بفتح الميم ـ معناها تماماً مثلما لا يعرف كثير من بني قومنا معنى كلمة (اسحاق) وإن كانوا يسمون بها أولادهم إلا أنها من أسماء الأنبياء ولكنه لا يعرف أنها كلمة عبرية أو هي سامية أصبحت في العبرية تعبر عما يعبر به كلمة (الضحاك) التي كانت التسمية بها شائعة في البلاد العربية في صدر الإسلام.

فيسحاق بكسر الياء بدلاً من الهمزة معناها الضاحك باللغة العبرية وهي يضحك نفسها في العربية.

ولم يكن الشيخ المفتي محمود داود يوسف قد وصل عندما دخلنا المكتب ولكن سرعان ما وصل فأقبل يحيي ويرحب وكأنه يعرفني منذ سنين وقال: لقد عرفتك بالسماع حدثني عنك في العام الماضي الأخ محمد حبيب الله الذين يقيم في نيوزلندا وأخبرني أنك تنوي المجيء إلى بـورما في ذلك الوقت وأنه أعطاك عنواني. فقلت: هذا صحيح وقد كنت قطعت تذكرة السفر إلى بورما قبل سنتين ولكن لم يتيسر لي الوقت إلا الآن قال: وقد تسلمت رسائل الرابطة التي وقعتها بنفسك.. فقلت: الحمد لله على الاجتماع باخواني العلماء في هذه البلاد التي يعاني فيها بعض المسلمين من الغربة رغم كونهم في وطنهم.

والشيخ المفتي محمود داود يوسف هندي الأصل والمظهر عليه الهيبة والوقار ذو لحية وافرة وعارضين عريضين قد صبغهما مع لحيته وجمة رأسه بالحناء الأصفر ويلبس لباساً طويلاً كما يلبس علماء الهند وليس فوطة تشد على الوسط كما يفعل سائر الناس هنا من كفار ومسلمين.

وهو يتكلم العربية جيداً فهو عالم من العلماء.

وقال الشيخ المفتي: إن مجيئك هنا كنا نتمناه فقلت له: إنني وزميلي الشيخ علي عيسى ممثل رابطة العالم الإسلامي في تايلند قد جئنا إلى بلادكم بصفة سياح مع أن غرضنا هو الاطلاع على أحوال المسلمين في هذه البلاد وزيارة المساجد والمدارس والجمعيات الإسلامية فقال: لقد طلبت من فلان وذكر شخصاً كان يعمل في الحقل الإسلامي في المملكة أن يزور بورما فأجابني بأنه يمكنه أن يحضر غير أن زيارته لن تتعدى أن تكون من المطار إلى الفندق وبالعكس أما الجولة في هذه البلاد التي تكن حكومتها العداء للمسلمين فذلك أمر لا يمكنه أن يقوم به.

وبينما كنا نتحدث كان الاخوة المشايخ من اعضاء الجمعية يتوافدون على المقر ومنهم الشيخ (نور محمد) الأمين العام للجمعية والشيخ (سليمان بن داود) خطيب الجامع الكبير وإمامه وتلاحظ المطابقة ما بين اسمه واسم أبيه وتماثل ذلك مع اسم النبي سلمان بن داودعليه السلام. وكنت أتأمل المكتب فأجد على لوحة فيه شعار جمعية العلماء هنا وهو: الشهادتان بخط عربي جميل على هيئة هلال تتوسطه كلمة (العلماء) بالعربية ونجمتين.

جلسة سرية:

أمسك بيدي شيخ الإسلام المفتي محمود وقادني إلى غرفة منفردة

وقال: نتكلم هنا في الخلوة لأننا لا نأمن أن نتكلم في جماعة الناس.

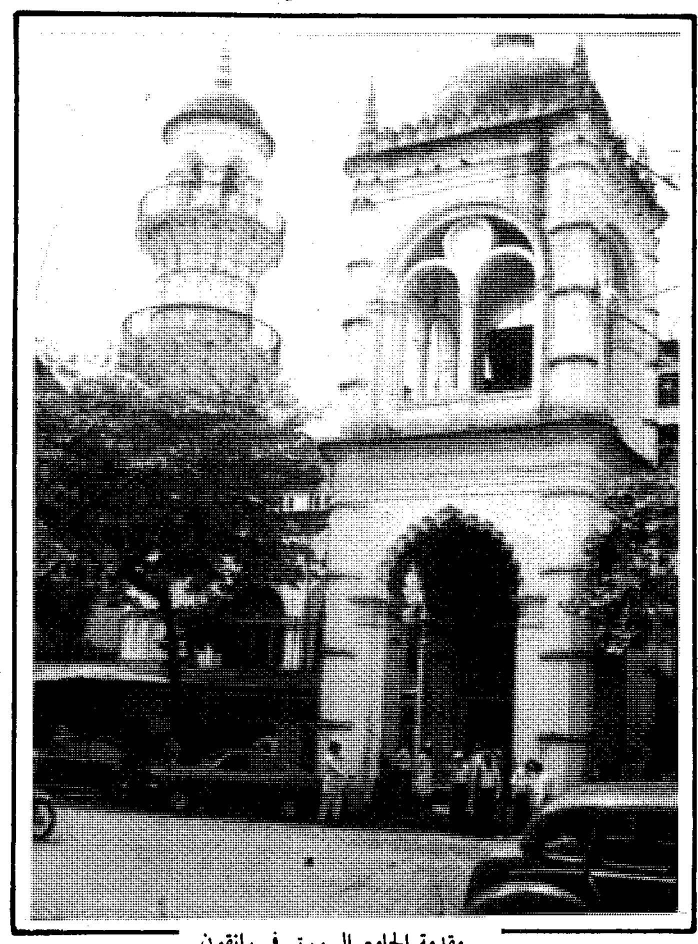
ثم أخذ يتحدث عن أحوال المسلمين في هذه البلاد وفي علاقتهم بالحكومة وكيف كانت علاقة عامة السكان من البوذيين طيبة مع المسلمين في السابق. أما الآن فإن بعض المسئولين في الحكومة أوغروا الصدور وحركوا الأحقاد ضد المسلمين. ولذلك اصبح المسلمون اليوم لا يملكون إلا الصبر وانتظار ما قد تأتي به الأيام من خير.

وقال وهو يشرح ذلك: أرجو أن تحذروا من الحديث في السياسة فالحكومة لا ترضى حتى إنها منعتني من السفر إلى مكة المكرمة للاشتراك في جلسات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي على اعتبار أن ذلك أمر سياسي مع أنكم تعلمون أنني لا أذهب إلى مجلس الرابطة لأسباب سياسية، وإنما لحضور ذلك الاجتماع الإسلامي المهم الذي يعقد بجوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة.

وفي هذه الأثناء أحضر أحدهم الشاي الشبيه بالهندي إلا أنه أثقل منه قواماً، وأكثر سواداً وهم يعالجون ذلك بإضافة الحليب إليه واكثار السكر فيه. ومعه شيء من الحلوى المصنوعة في هذه البلاد.

فلما توقفت عن الحديث معه قال: يمكنك أن تستمر لأن هذا الشخص لا يعرف العربية. ثم انضم إلينا في الجلسة زميلي الشيخ علي عيسى وأخبرته أنه منا وأنه ليس غريباً على العمل الإسلامي بل إن اطلاعه على احوال المسلمين في هذه البلاد أمر مهم لأنه هو ممثل رابطة العالم الإسلامي في تايلند وقد يتطلب الأمر التعامل مع المسلمين في بورما لمساعدتهم مثلاً عن طريق جارتهم المفتوحة بانكوك. كما انضم عدد من اعضاء الجمعية وصار الحديث عاماً شاملاً لأحوال المسلمين دون أن ينحصر في الأمور السياسية.

المؤسسة المركزية للصندوق الإسلامي:



مقدمة الجامع السورتي في رانقون.

ومركزها العاصمة رانقون ومكتبها في نفس العمارة التي بها مكتب جمعية مسلمي بورما.

وتركز على إصدار المطبوعات الإسلامية باللغة البورماوية ويرأسها الحاج اسماعيل سليمان فانيا وهو مسلم من أصل هندي وعنوانها كما يلي:

MUSLUM CENREAL FUND TRUST.
30y34, EDWARD SREET, (IST FLOOR)
RANGOON. BURMA. PHONE: 71074. CABLE: «MUS TRUST»

ثالثاً: جمعية مسلمي بورما:



في مكتبة الصندوق الإسلامي في رانقون

وتهتم هذه الجمعية بالشئون الثقافية والاجتماعية والاحتفال بالمناسبات الإسلامية ومركزها رانقون واسم رئيسها: يـو. أي. موانج.

وهو من المسلمين البورماويين أي أنه ليس من أصل هندي.

وعنوانها ما يلي:

SOCIALIST REBUBLIC OF THE UNION OF BURMA.

THE BURMAN MUSLIM ORGANISATION (H.Q)

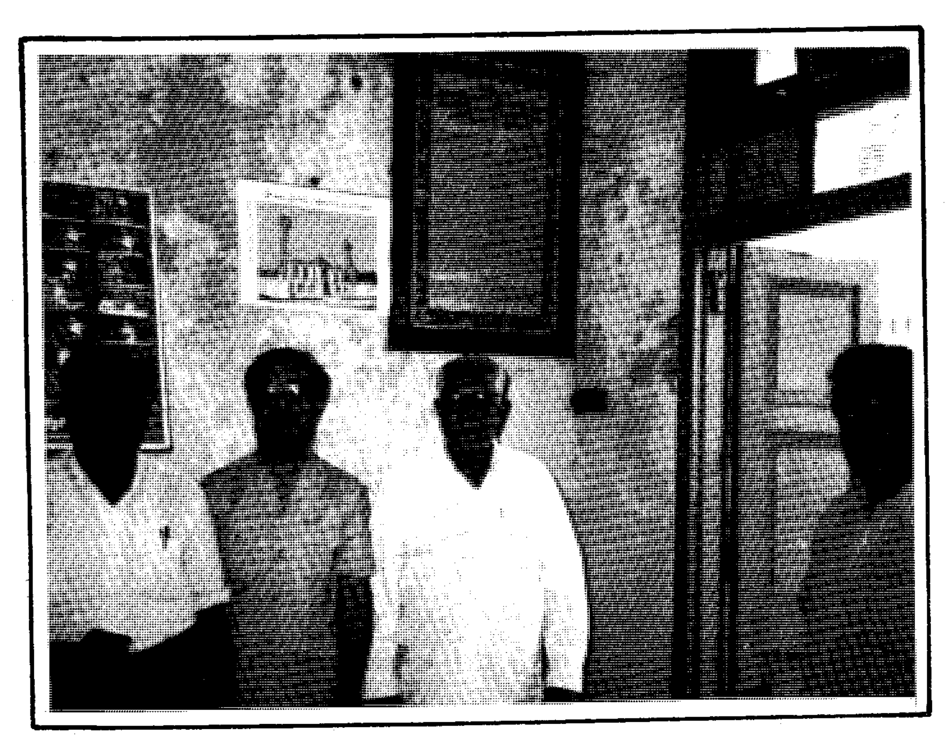
NO. 34, EDWARD STREET, RANGOON. PHONE: 78509.

هذه الجمعيات والمؤسسات الثلاث الرئيسية وهناك مؤسسات وجمعيات أخرى مثل:

في الجامع السورتي:

طلبنا من الأخ (حكيم الله) سائق سيارة الأجرة أن يبقى معنا ونعطيه أجره بالساعة لأنه أولى من غيره فصار لنا سائقاً ودليلاً.

وقد صحبنا مع الأخ الشيخ نور الدين إلى أكبر جامع في رانقـون وهو الجامع السورتي سمي بذلك نسبة إلى الذين قاموا على بنائه وهم من أهل (سورت) في بلاد الهند. ويقع على شارع يسمى شارع المغول: (مُغل استريت) من حي (بابيدان).



بين مدير جمعية سلمى بورما إلى يسار المؤلف والأمين العام إلى يساره.

وهو مؤلف من ثلاث طبقات السفلى فيها المحراب الذي فيه الإمام وثانية فوقها وثالثة فوقهما.

وبناؤه قوي جداً بمآذن غليظة شامخة أخبرونا أنه كان مبنياً بالخشب في أول الأمر حتى قام الإخوة المسلمون في وقت عزهم وغناهم فاعادوا بناءه على هذه الصفةوهو ذو أهمية لأنه يقع في القلب الهام التجاري من مدينة رانقون.

وقد وجدنا عند مدخله صبية من المسلمين يوزعون على الناس عقود الزهور من الفل ونحوه وذلك لمناسبة عقد زواج يتم بعد الصلاة.

الموت والحياة:

بعد أن أخذ رجل في داخل المدخل أحذيتنا بخلاف أحذية الآخرين رأينا في ساحة المسجد الخارجية لوحة تضم الاعلان عن موت عضو هيئة جماعة العلماء الشيخ محمد بشير الله. وتضم إلى جانب ذلك الاعلان عن عقد زواج.

والعنوان الأعلى في اللوحة التي تشبه السبورة هو (نكاح) أي: زواج محمد هاشم بن أوكريم، وليلى بيقم بنت أو عبد الكريم بعد نماز جمعة، أي: بعد صلاة الجمعة.

أما العنوان الأسفل فهو (انتقال) وكلتا الكلمتين عربية نقلها الإسلام إلى هذا الركن القصي الغامض من العالم وبعدها: (بيرمال) وتعني بالأوردية العالم الكبير إلخ اسمه. والاعلان عن الموت والزواج في هذه البلاد التي يؤلف المسلمون فيها أقلية لا تسكن في مكان واحد أمر مهم رأيت الأخوة المسلمين من أصل هندي يتمسكون به في مهاجرهم. دخلنا المسجد فوجدنا القوم يتنفلون ولم نكد تنتهي من النافلة حتى أذن مؤذن بصوت دقيق جداً مع أن صاحبه بدين الجسم.

أخذ الأخوة بعد هذا الأذان الأول يتنفلون أيضاً اكثر من مرة ثم فرغوا من صلاة النافلة وكنت في الصف الثالث أمام المحراب فأخذ الذين أمامي يرصّ بعضهم بعضا ما لبث الذين خلفي أن فعلوا فعلهم حتى كونوا ممرا في الصف، وتبين أن ذلك طريق لوصول الامام إلى المنبر فهو لا يدخل من باب أمامي كما نفعل نحن وغيرنا في مساجدنا. ثم ما لبث المؤذن أن أقبل وهو مهتم يتقدم الإمام الذي كان يسير الهوينا بخطى تدل على أنه يحافظ على مكانة له في النفوس أو أنه يفهم أن سيره الوئيد مما يحفظ له الوقار والاكبار. وهو يتبع خطوات المؤذن كما كان الأمير يتبع خطوات حاجبه في الماضي.

ولم يكن الإمام هو الشيخ سليمان بن داود الذي قابلناه اليوم وإنما هو مساعده الشيخ يحيى بن محمد. وهو شاب وجيه المنظر.

وعندما وصلا إلى المنبر بادر المؤذن إلى عصا غليظة طويلة ذهبية اللون في أغلبها ربما لكون اللون الذهبي هو الغالب بل هو الشعار في الألوان في بورما ولذلك كانوا يعلنون في أماكن السياحة بأن بورما ذهبية وينعتونها بذلك يريدون اللون لا امتلاك الذهب.

فجلس الإمام الخطيب على المنبر الذي تأنق واضعوه في إعداده فجعلوا مقدمته ذهبية اللون فيها عمودان يشبهان أعمدة المساجد المبنية على الطراز المغولي إلا أنهما قصيران لأنهما رمزان فقط أما أعلاه فإن عليه قبة بين العربية والمغولية.

والمنبر من ثلاث درجات ومفروش بقماش أرجواني اللون ترصعه زهرات برتقالية وصفر.

أذن المؤذن وهو كهل بل شيخ في العقد السابع من العمر بصوت دقيق جداً يظن من لم يره أنه لشاب في العشرين. ولم يدع بدعاء إضافي كما

لم يدع غيره من القوم بأي دعاء آخر. وقد نهض الإمام وهو يخرج من أبطه كتاباً باللغة العربية ألقى منه الخطبة الأولى. وهي مسجوعة قديمة الأسلوب مما جعل الشيخ وهو يلقيها يبدو عربياً أكثر منه عجمياً فضلاً عن أن يكون بورماوياً (رانقونيا) فإلقاؤه جيد، ولباسه عربي أصيل إذ هو يرتدي عباءة كالتونسية واسعة قصيرة الأكمام وقميصاً سعودياً يطل من تحته طرفا سروال حجازي وقد اعتمر رأسه بعمامة صغيرة ذات ذؤابة من تلقاء الرقبة.

وقد ألقى الخطبة الثانية كالأولى كلها بالعربية. ولم يخطب بغيرها، كما لم أر من وعظ بغير العربية قبل الصلاة أو بعدها كما يفعل بعض الإخوة من غير العرب في بعض البلاد حيث تكون خطبة الجمعة كلها بالعربية وتكون قصيرة ولكن تكون هناك موعظة يفهمها المصلون باللغة المحلية قبل الصلاة أو بعدها.

كلهم عليهم الفوط:

اللباس الوطني في بورما مؤلف من قميص قصير كثيراً ما يكون قصير الأكمام أيضاً ومن فوطة مشدودة تبدأ من الوسط حتى تصل إلى القدمين.

وقد لاحظت أن جميع من يقع عليهم بصري من المصلين عليهم الفوط حتى الصبية الصغار ما عداي أنا ورفيقي الشيخ علي عيسى فقد كنا نلبس السروال العالمي الافرنجي إمعاناً منا في إظهار صفتنا السياحية وإلّا فإن الشيخ علي عيسى معه فوطة يلبسها في غرفة الفندق لأنها مما يستعمل في البلاد الحارة الرطبة في جنوب آسية الشرقي ولطالما أهدي إليّ إخوة لي اعزة من تلك المنطقة فوطاً إلا أنني لم أستطع أن آخذ نفسي بارتدائها في البيت.

ومع الفوط كان شيء لا بد منه في مساجد الحنفية وهو غطاء الرأس فالجميع قد غطوا رؤسهم بالقلانس جمع قلنسوة وهي في العامية الطواقي جمع طاقية ونحن قد أحضرنا معنا طواقي غطينا بها رؤسنا أيضاً.

وهناك صفة غالبة على المصلين ولكنها ليست مثل هذين الأمرين الشاملين وهي أن أغلبهم من ذوي الوجوه التي تنتمي إلى الأصول الهندية أما الوجوه البورماوية الأصيلة التي هي كما قلنا وسط بين الجنس الملابوي والصيني فإنها لا توجد بين المصلين إلا على قلة.

ولقد انعكس الأمر حالما خرجنا من المسجد إلى الشارع فاصبحت الوجوه البورماوية المشار إليها هي الغالبة والوجوه الهندية الأصول هي الأقلية.

بعد الخطبة أقام المؤذن للصلاة إقامة كالأذان لم ينتقص شيئاً وإنما زاد فيه جملة الإقامة (قد قامت الصلاة) مرتين عما هو عندنا فأداها أربع مرات.

وكانت صلاة الامام مطمئنة لكنه عندما سلم منها قال المؤذن بصوته الدقيق كلمة أظنها تعني الدعاء فابتدأ الامام بالدعاء والقوم خلفه يؤمنون مع أنهم لا يسمعون ما يقوله لأنني وانا في الصف الثاني إذ تقدمت عند الإقامة لم أسمع إلا بعض كلامه وفيه جمل دعائية بالعربية مثل الدعاء بنصر الإسلام والمسلمين.

وقد لاحظت أن بعضهم عند ابتداء الدعاء بادر بوضع يده على جانب رأسه ولا أدري لم ذاك. وعند انتهاء الإمام من الدعاء دعا المؤذن بصوت مرتفع بالاجابة.

ثم أخذوا بالتنفل وهم في أماكنهم التي صلوا فيها متراصين كما يفعل الإخوة الأتراك في مساجدهم.

ولاحظت في المسجد شيئين يلفتان النظر أولهما ما يشبه الرف الخشبي المزخرف زخرفة نظيفة جيدة مثل سائر المسجد وقد جعلوه في مستوى رأس الرجل أو أعلى قليلاً لكي توضع فيه المصاحف وهو من الخشب المخروط المعتنى به.

والثاني أمر تتقزز منه النفس وهو أنهم قد وضعوا عند اسفل الأعمدة أوعية تشبه الأواني عليها أغطيتها أعدوها لمن يحتاج إلى البصاق ولكن عليه أن يكشف الإناء ويرى بطبيعة الحال بصاق من سبقه فيفعل ذلك.

وهي أشياء لا ينبغي أن تكون في المسجد بعد أن وجدت مناديل القماش والورق التي يستعملها المرء بنفسه ولا يرى فضلاته غيره.

وبعد التنفل أكثر من تسليمة بل ربما ثلاث بدأ بعضهم بالخروج من المسجد وأخرج جاري في الصف من جيبه دعاء مطبوعاً بالعربية ملصق به تفسيره بالبورماوية وأخذ يتلوه لنفسه.

خطبة الزواج:

بينما كانت أكثرية المصلين تنصرف من الجامع كان بعضهم يأتون إلى المحراب ويتحلقون أمام الإمام حتى كونوا ثلاث حلق كبيرة ثم ما لبث أن أقبل شاب قد أخذ زينته من الثياب الجيدة وعليه قلادة من الزهور البيض التي حليت بزهور وردية يحف به شايان متجملان أيضاً وعلى كل واحد منهما وشاح من الزهر الأبيض كله. وتبين أن الأول هو الزوج اي العريس وأن الذين معه هما من أقاربه.

فجلسوا تلقاء الإمام الذي كان لا يزال في محراب المسجد كما جلس ولي أمر الزوجة بجانب الإمام أما الزوجة فإنه لا أثر لها هنا ولا لغيرها من النساء فالقوم من أصل هندي وهم محافظون متمسكون بذلك.

وقد أخبرنا مرافقونا ومنهم الشيخ (نور محمد) الأمين العام لجمعية علماء بورما أن العادة المتبعة عندهم أن يتم العقد يوم الجمعة في المسجد من أجل إعلان الزواج.

وبعد أن اكتمل حضور القوم بدأ الإمام من مكبر الصوت يتلو خطبة النكاح الشهيرة التي لم أرها تتغير عما هو مألوف عندنا حتى في بلدتنا ولقد ذكرتني بالخطبة التي عقد بها شيخ عقد زواجي بأم ناصر قبل ستة وثلاثين عاماً.

قال الإمام: الحمد لله نحمده ونستعينه ونعتمد عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا من يضلل الله فلا هادي له ومن يهد فلا مضل له.

ثم تلا الآية: ﴿يآ أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام...﴾ وآيات كريمة أخرى.

ثم تكلم باللغة المحلية كلاماً قصيراً كل ذلك من مكبر الصوت الذي كان يصدح فيسمعه كل من كان قرب المسجد.

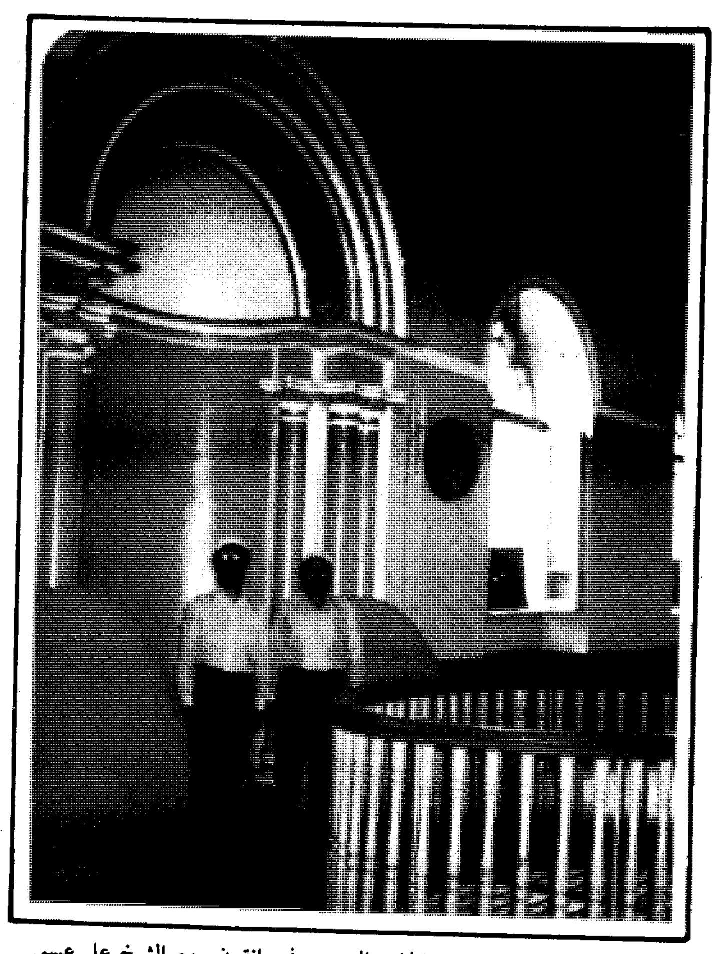
وقد أخبرونا بأنهم يكتبون العقد في دفتر بعد القبول والإيجاب باللفظ ثم يختمون بالدعاء.

وقد انقضت خطبة الزواج بسرعة وغادر الإمام المسجد بسرعة بينما كنا نتجول فيه وخلع عباءته الشبيهة بالتونسية قبل أن يغادر المسجد وسلمها للبواب ليحفظها لديه. أما نحن فقد واصلنا التجول في المسجد فصعدنا إلى الطبقة الثانية فرأيناهم قد بلطوا الممرات فيه ببلاط ملون جميل أحسن من بلاط الفندق الذي نسكن فيه بمراحل ويصلي الناس صلاة

الجمعة ايضاً في هذا الطابق الثاني. أما الثالث فإنه لا يفتح للناس إلا في أيام العيدين.

وفي الطابق الثاني محراب كالذي في الأول إلا أنه أقل تأنيقاً وقد وضعوا فيه لوحين من رقائق الخشب إشـارة إلى عدم الصلاة فيه لأن من يصلي فيه يكون متقدمـاً على الإمام الذي يكون في محراب الطابق الأول أو الأرضي كما يسميه بعض الناس.

وهو مطلي باللون الأزرق الأنيق وكل ما فيه يدل على العنـاية



في محراب الطابق الثاني من الجامع السورتي في رانقون ـ مع الشيخ علي عيسى.

والاهتمام مثله في ذلك مثل الطابق الأول بل بقية المسجد الذي ذكروا أنه بني قبل مائة وعشرين سنة.

في مطعم صيني مسلم:

أول مشكلة تواجه المسافر إلى بلاد قوم من غير المسلمين أكثر أهلها ليسوا من أهل الكتاب أن يجد مطعماً للمسلمين يأكل فيه وبخاصة إذا كان مثل سكان البلدان العربية قد ألفوا أكل اللحم في وحياتهم وليسوا ممن يعتمدون على أكل السمك بديلاً من اللحم.

ولكن إذا كان هناك مسلمون من أهل الهند ولو كانوا أقلية في البلد فإنهم سيكونون قد تكفلوا بهذا الأمر لأنهم يهتمون (بالحلال) أي الطعام الذي يحل أكله للمسلمين حتى إنهم يتجاوزون الأمر حتى في بلاد المسيحيين فلا يأكلون من اللحم إلا ما ذبحه المسلمون أو ما كان (حلالاً) مع أن ظاهر النص يدل على أنه يجوز أكل طعامهم وذبائحهم لأنهم من أهل الكتاب ولقد اعتدنا على أن نفعل ذلك من دون أن نجد حرجاً في أنفسنا إلا إذا كان من عادتهم أن يخنقوا الحيوان خنقاً أو يخلطوا اللحم بلحم الخنزير مثلاً.

والأمر هنا مشدد، لأن أكثرية السكان هم من البوذيين الذي لا تحل ذبائحهم بحال. ولكن الأمر لا يؤلف مشكلة فنحن نريد مطعماً للمسلمين صينياً بحيث نتذوق الطعام الصيني الشهي وفي الوقت نفسه تكون أنفسنا مطمئنة إلى أنه حلال (بلال).

الأرقام بديلة عن البسملة:

قادنا السائق المسلم إلى مطعم أشار إلى لافتة تعلوه وهو يقول: إنه للمسلمين انظروا (بسم الله الرحمن الرحيم) ولم نر (البسملة) لا بالانكليزية

ولا بالعربية ولكن رفيقي الشيخ علي عيسى لفت نظري إلى ارقام تعلو اللوحة وقال: إن القوم هنا وفي بعض البلدان المجاورة يكتبون البسملة رموزاً لحروفها بالأرقام بحساب الجمل وليس بالحروف وأرقامها هنا (٧٨٦). وذلك احترازاً من أن تقع في الأرض، وفي مكان غير طاهر وهذا هو الأصل في شيوع هذا الاستعمال. ولم يفهم السائق كلامنا وإنما كرر قوله: انظروا إلى بسم الله الرحمن الرحيم فسألته مستوضحاً عن مكانها فقال: إنها هذه الأرقام التي تعلو اللافتة.

وتحت الأرقام بالانكليزية (نان كنج مسلم رستورات) أي: مطعم نان كنج للمسلمين. والمطعم صيني خالص بإدارته وعماله وهو جيد الأثاث نظيف جداً بالنسبة لما كان عليه المطعم الذي أكلنا فيه الليلة البارحة بل لا يكاد الأمر يصل إلى المقارنة إلا في أمر لم نستسغه وإن كنا قد رأيناه شائعاً عندهم بعد ذلك وهو أنهم يأتون بمنديل واحد من القماش يضعونه على المائدة ليستعمله كل من يكونون على المائدة ولو كانوا خمسة مثلاً، بل إنهم إذا انتهى منه أهل مائدة أعاد صاحب المطعم طيه وتزويقه ثم أعده لقوم غيرهم، وذلك لعدم وجود ورق التنظيف عندهم. لأنه من الترف الذي لا (تتحمله) الاشتراكية وليس بمقدور هذه المطاعم الشعبية أن تتحمل إعداد فوطة من القماش نظيفة لكل آكل على حدة. عندما اطمأن بنا المجلس في هذا المطعم جاؤا بالقائمة مكتوبة بالانكليزية والبورماوية فلاحظنا أنها خالية من اللحم ومن الأسماك وأن أكثر ما فيها البط والدجاج والخضرات المختلفة الإعداد.

وعرفنا السر في خلوها من الأسماك وهو أنها حلال يمكن أن يجدها المسلم في أي مطعم بخلاف ما يحتاج إلى ذبح من البط والدجاج فإنه لا بد من أن يكون ذبحه مسلمون.

وطلبنا شوربة الخضار الصينية الشهيرة مع صحن من البط وآخر من

خضرات مقلية والأرز الساذج أو السادة كما تقول العامة إذ هم لا يجعلون فيه أي شيء من البهارات أو الزيوت مثل الشاي الصيني الذي شربناه مراً وأصله كان أخضر لا يوضع فيه السكر كما هي عادة الصينيين في شرب الشاي. وهي عادة لا نستنكرها منهم لأننا نحن نشرب القهوة مرة خالية من السكر وإن كان اكثر الناس في أنحاء العالم يستنكرون منا ذلك.

كان العمال يسعون في احضار الأطعمة وهي متنوعة لا يستطيع مثلنا أن يعرفها إلا إذا ذاقها أو شرح شارح له أمرها. وذلك لما للمطبخ الصيني من عناية زائدة بالطعام والشراب وهي عادة معروفة بل شائعة عنهم في أنحاء العالم حتى إن المطعم الصيني يجتذب أعداداً من الناس كثيرة.

ولكن من غير المعروف لكثير من الناس أن الصينيين يهتمون بالأكل أكثر من اهتمامهم بأي شيء آخر من متع الحياة حتى كانوا إذا سألوا الشخص عن حاله أو صحته يقولون له: كيف أكلك.؟ تماماً مثلما كان يقول بعض الناس في بعض البلدان التي تصيبها الأوبئة أو الحميات، (ايش لونك أو وش لونك) وهو لفظ انتقل بعد ذلك للسؤال عن الحال أو الصحة إلى بلاد أخرى لا تعرف الأوبئة والحميات.

وكنت أتأمل داخل المطعم فأجده ينطق بأنه مطعم للمسلمين من اللوحات المعلقة فيه وإحداها صورة للكعبة المشرفة، وأخرى مكتوب عليها بخط جميل لفظ الجلالة (الله) وثالثة ورابعة فيها آيات قرآنية كريمة.

وقد نقدنا ثمن الوجبة التي ضاق ظهر المائدة بها ثمانية وثلاثين (تشاتا) عندما تركنا معها (تشاتين) اثنين حلوانا اي، (بجشيشا) للعمال شكروا وذكروا وانحنوا بالتحية حتى كادوا أن ينكسروا.

وكانت وجبة رخيصة إذ المبلغ لا يزيد على خمسة دولارات بالصرف الرسمي ودلارين اثنين بالصرف الحر لشخصين جائعين.

جولة في مدينة رانغون:

وهي جولة المقصود منها أن تكون على المساجد والمدارس الإسلامية أو (دور العلوم) كما يعبرون عنها هنا اتباعاً لبعض أهل الهند أما في جزء من بلدان الأقليات التي يسكنها مسلمون من أصل هندي فإنهم يطلقون كلمة مدرسة على الكتّاب أو المعهد الذي يعلم الدين الإسلامي وحروف العربية ويطلقون كلمة (سكول) الانكليزية على أنواع المدارس الأخرى.

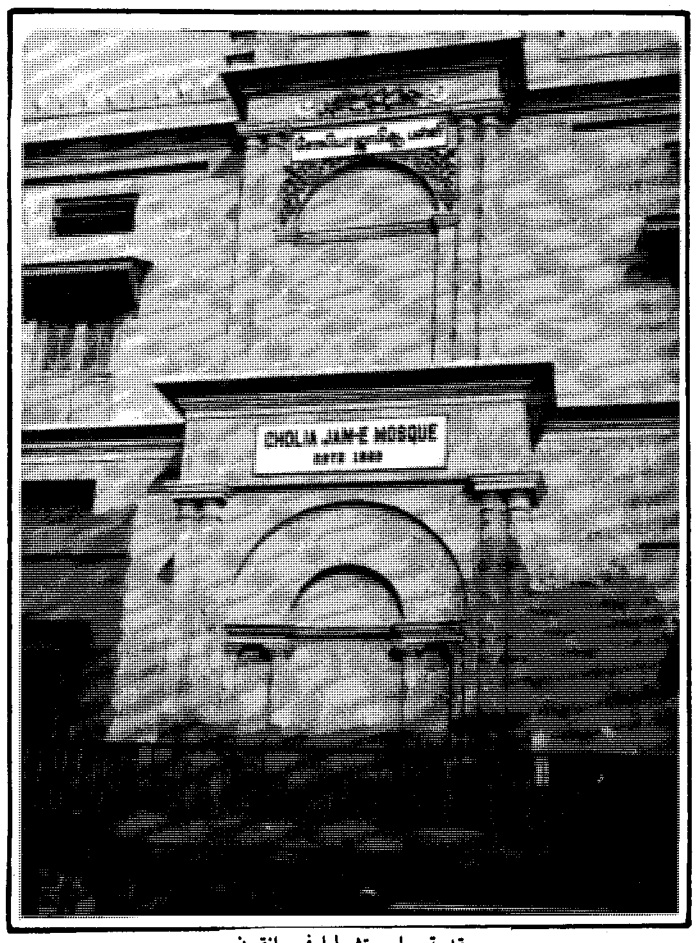
بدأت الجولة من فندقنا حيث مر بنا شيخ الإسلام المفتي محمود داود يوسف بصحبة الشيخ (نور محمد) الأمين العام لجمعية علماء الإسلام ومع الشيخ سيارة خاصة قال إنها لأحد أبنائه يريد ابناءه الروحيين فصرفنا سائق سيارة الأجرة المسلم (حكيم الله)، ونقدناه ما طلبه منا وهو مائة (تشات) عن أربع ساعات قضاها معنا لكل ساعة خمسة وعشرون تشاتا وهو مبلغ زهيد إذا ما عرفنا أنه سائق ودليل وان المبلغ يساوي بصرف السوق الحرة دولاراً واحداً وربعا وبالصرف الرسمي ثلاث دولارات.

وكان بدء الجولة في الرابعة عصراً.

في جامع تشوليا:

وكانت أولى الوقفات أمام مسجد تشوليا الجامع أو (تشوليا جامع مسك) حسبما كتبوا اسمه بالانكليزية عليه، والأهم من ذلك أنهم كتبوا تاريخ تأسيسه أيضاً وهو في عام ١٨٦٩ م وهذا تاريخ متقدم إذ مضى عليه أكثر من قرن ومدينة (رانقون) نفسها حديثة التاريخ ربما لا يرقى تاريخها إلى أكثر من قرنين ونصف مما يدل على عراقة الإسلام ووجود المسلمين فيها.

وقد طلوا المسجد من الخارج بطلاء برتقالي وهو لون لا يكثر في هذه البلاد مع أن الأبنية الحديثة فيها قليلة ان لم تكن معدومة ومعظم الأبنية قد بهت طلاؤها وكاد يمحى ولم تستطع الاشتراكية أن تجدده.



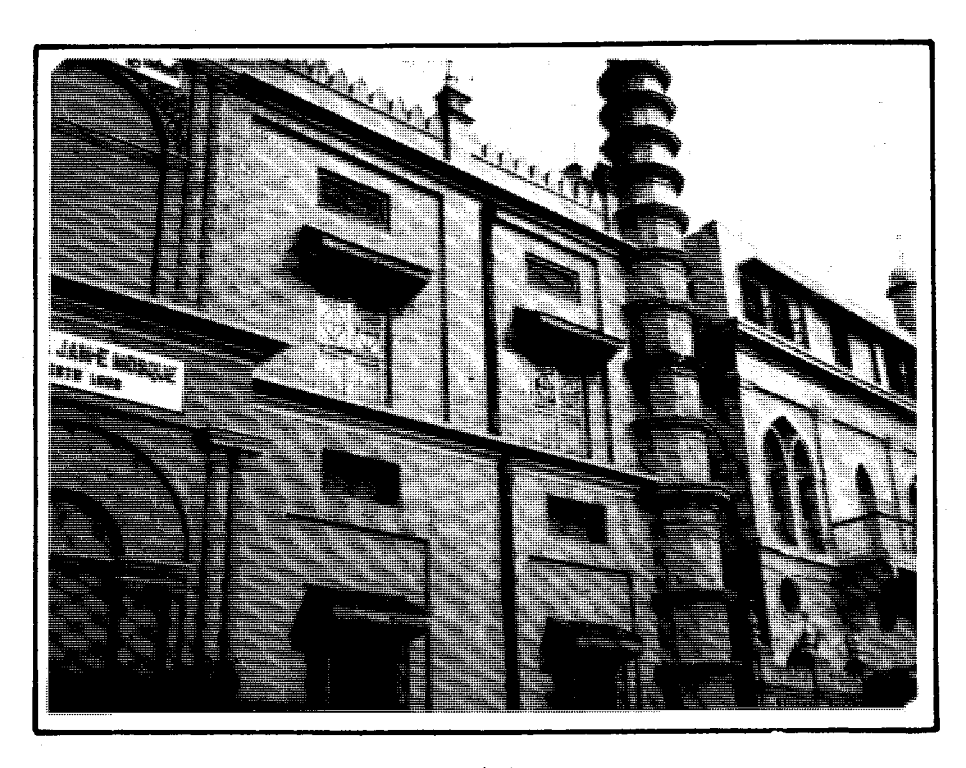
مقدمة جامع تشوليا في رانقون.

وللجامع مئذنتان رئيسيتان وعدة مآذن أخرى صغيرة جرياً على عادة المسلمين في الهند في عصر حكام المغول إذ يكون لمساجدهم أكثر من منارة واحدة. بل أكثر من عشر مآذن صغيرة قد تكون على هيئة شرفات عالية.

ولكوننا وصلنا إلى الجامع قرب أذان العصر فقد رأينا المستجدين من نساء وأطفال قد جلسوا على مدخله يستجدون المصلين وان كان عددهم غير كثير، ولا ندري أهم من المسلمين أم من غيرهم ولكن الملاحظ في أنحاء أخرى من العالم أن أناساً من أرباب الديانات الأخرى يأتون إلى مساجد المسلمين يلتمسون الصدقة وقد يتلفظ بعضهم بالألفاظ

الإسلامية مثل (في سبيل الله) أو حسنة لله. تقربا من المسلمين أو لأنه عرف أن هذه العبارة هي التي يستجدى بها من المسلمين.

والمسجد فخم البناء يدل على سعة في الأموال وسخاء في النفوس عند الذين ينوه فقد تم بناؤه في وقت لم تكن المساعدات الخارجية من البلاد الإسلامية الأخرى وبخاصة من البلاد العربية تأتي إلى هذه البلاد بل لم يكن ينتظر أن يأتي، وربما صح العكس في بعض الحالات فكان بعض أقرباء المسلمين في المهاجر يتصدقون أو يوقفون بعض أملاكهم على أعمال البر والخير في بعض البلاد العربية، كما لا تزال بقايا ذلك موجودة عندنا في الحرمين الشريفين وان كانت قد كادت تضمحل إذ اغنانا الله عنها فانقطع حديثها، واخلقَ قديمها.



جامع تشوليا في رانقون.

أول ما يلقاك منه بركة للوضوء (شافعية) اعتدنا على رؤيتها في المساجد التي يتمذهب أهلها بالمذهب الشافعي بخلاف الأحناف الذين يرى بعضهم ان الماء المستعمل في الوضوء نجس لذلك لا يستعملون البرك للوضوء وانما يستعملون صنابير المياه.

وعندما لفت نظري ذلك سألت الشيخ المفتي والذين تبعونا من أهل المسجد عن القوم الذين أقاموا هذا المسجد فقالوا: إنهم (تاميل مسلم) أي المسلمون الذين أتوا في الأصل من ولاية (تاميل) أو تامل التي تسمى الآن (تامل نادو) بمعنى ولاية التاميل في جنوب الهند وعاصمتها مدينة مدراس رابعة مدن الهند الكبرى في عدد السكان بعد كلكتا وبومبيء ودلهي على الترتيب.

وأهل هذه الولاية الهندية مثل أهل جارتها ولاية كيرالا التي كان أسلافنا العرب ومنهم ابن بطوطة يسمونها (بلاد المليبار) أو المالابار هم على مذهب الشافعي وليسوا مثل أهل الهند في الشمال والوسط الذين هم على المذهب الحنفي.

وذلك لكون الإسلام دخل إلى شمال الهند من طريق الفتح الأفغاني من ممر خيبر وأهل افغانستان في ذلك الوقت الذي لم يعرف به هذا الاسم هم على مذهب الامام أبي حنيفة بخلاف جنوب الهند الذي دخله الإسلام على أيدي التجار والمهاجرين من جنوب الجزيرة العربية وبخاصة من حضرموت وهم على المذهب الشافعي لذلك صار أهل جنوب الهند شافعية. ويصلي فيه الناس على اختلاف المذاهب، ولذلك جعلوا في جانب منه صنابير للمياه للذي لا يريد أن يتوضأ من البركة.

والمسجد كبير كالأول إلا أنه طبقتان فقط وليس ثلاثاً وذو محراب متسع ومنبر مبني على الطراز المغولي.

وقد كان القوم يتقاطرون على المسجد عندما وصلناه لقرب وقت

العصر ثم ما لبث المؤذن أن أذن لصلاة العصر بصوت دقيق لا بأس بإخراجه الحروف الحلقية من مخارجها مع أن ذلك صعب على الأعاجم في العادة.

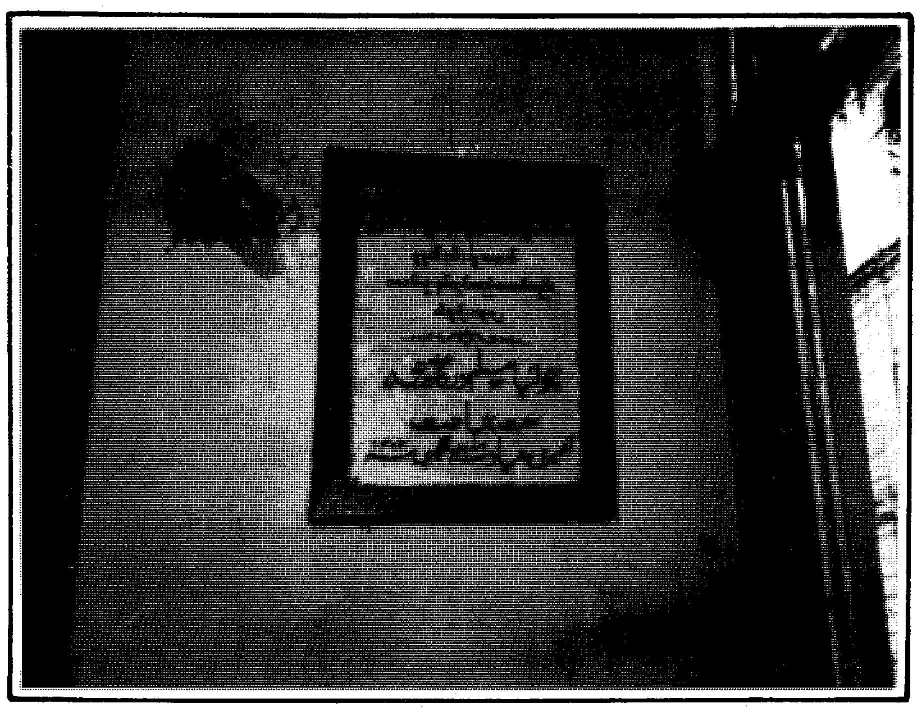
ويقع المسجد على شارع اسمه (مونتي ليه) في حي بابيران.

مسجد درقا:

لم نصل في هذا المسجد لأنني ورفيقي الشيخ علي عيسى قد صلينا العصر جمعاً مع الجمعة أما المرافقون فقالوا: إن الوقت فيه متسع، وقصدنا مسجداً كبيراً آخر.

وكنا نسير وما نزال في الحي التجاري الفخم من قلب العاصمة (رانقون) ذلك الحي الذي كانت معظم الأبنية قد يملكها المسلمون في وقت من الأوقات وبخاصة قبيل الاستقلال.

حتى وصلنا (مسجد درقا) ويقع في شارع اسمه (٢٩) لأنه من الشوارع المتعامدة التي جعلوا اسماءها أرقاماً. وفي حي (بابيران).



لافتة مسجد درقا في رانقون.

وسمي المسجد (درقا) على اسم مؤسسه، وهو ذو لون برتقالي في الطلاء. له منارتان كبيرتان وعدد من المنارات الصغيرة وقبة خضراء يعلوها شاهد ضخم من الصفر النظيف الجيد المظهر. وكتب عليه اسمه (مسجد جوليا مسلم) اي: مسجد المسلمين من جوليا وهي جهة في جنوب الهند كان منها الذي بنوا المسجد وهم قوم تجار أو رجال أعمال كما يقول العامة من الكتّاب مع أن هذا التعبير غير صحيح، لأن الناس جميعاً من رجال الأعمال سواء أكانت أعمالاً صالحة أم طالحة وسواء أكانت أعمال تجارة أو زراعة أو حتى صنعة من الصنائع، وإنما الصحيح أن يقال في هذا رجال مال أو رجال تجارة أو صناعة أو نحو ذلك.

وأخبرونا أن المسلمين الذين قاموا على بنائه من أهل تلك البلاد هم من أهل السنة المتمسكين بها.

وقد كتبوا عليه تاريخ بنائه بالميلادي والهجري فكان عام ١٨٨٦ م وعام ١٣٠٢ للهجرة وعند مدخله رأينا لافتة فيها كتابة بالبورماوية والانكليزية تبين أوقات الصلاة وكتبوا عند الباب من الداخل دعاء (اللهم افتح لي أبواب رحمتك) بالعربية والبورماوية الدعاء الذي ينبغي أن يدعو به من يدخل المسجد. وفوق هذا الدعاء ساعة توضح الوقت.

ومن اللطيف أنهم وضعوا في أركان المسجد الأربعة أربع ساعات كلها جديدة ومضبوطة ليراها من يكون في أي مكان من المسجد ولم يكتفوا بوضع الساعة عند المحراب كما هو عليه الحال في أكثر المساجد في العالم ومنها المساجد في بلادنا.

والمسجد تصلى فيه الجمعة وهو كسابقه فيه بركة يتوضأ منها الناس واللطيف فيها الذي لم أره في غيره أن في وسط البركة قطعة جميلة كبيرة من الرخام على شكل زهرة متفتحة في وسط الماء.

وهو ذو مظهر فاخر إلا في الفراش فمقدمته مفروشة بالبساط الرخيص ومؤخرته بالمشمع وليس فيه شيء من السجاد.

ورأيت عندما دخلناه طائفة من الناس فيه بعضهم نائم وبعضهم يقرأ القرآن وبعضهم يصلي يتنفل بذلك لأن وقت العصر لم يحن، والسبب في تفاوت الوقت أن الحنفية يؤخرون العصر قليلاً بخلاف الشافعية الذين يعجلونه مثلما نفعل في بلادنا.

وفي هذا المسجد ما في الجامع السورتي رفوف خشبية جميلة صقيلة محيطة بالأعمدة على قدر ارتفاع قامة الرجل معدة لتوضع عليها المصاحف.

وهذه فكرة جيدة كانت تستعمل في بلادنا النجدية في القديم عندما كانت المساجد تبنى من الطين فكانت توضع رفوف من الخشب مثبتة بالجص في العمود وعلى حيطان المسجد توضع عليها المصاحف.

وهي أفضل من الطريقة الحديثة التي أخذ الناس يتبعونها في وضع خزائن ذات رفوف على الأرض توضع فيها المصاحف فهذه تضيق المكان، وربما لا تخلو من امتهان للمصحف إذ تصل إليها أيدي الأطفال ومن هم ليسوا على وضوء ولا يعرفون الحكم في ذلك.

أما محرابه فإنه بسيط البناء خالٍ من الزينة على خلاف المسجدين المذكورين قبله.

فريد الزمان:

كما قابلنا (حكيم الله) مصادفة وعجبنا من اسمه قابلنا هنا مصادفة أيضاً الشيخ (فريد الزمان) وهو الإمام والخطيب في هذا المسجد. وقد أصر هو ومن معنا من المرافقين والموجودين على ان اسمه (فريد الزمان) فقط لأنهم يرون أن الاسم الأول فيه كفاية ولا حاجة إلى ذكر اسم الاب أو

الجد أو الأسرة، وإذا أرادوا نسبة العالم منهم فإنهم ينسبونه إلى المدرسة التي تخرج فيها مثل القاسمي أو الرحماني، أو الصديقي الخ. يكتفون بهذه النسبة العلمية عن النسبة الجسدية التي ليس لها اعتبار عندهم.

ولكنني عندما أصررت على معرفة اسم الشيخ كاملاً قال انه (فريد الزمان بن مولانا عبد الجليل) و (مولانا) كما سبق لقب علمي وليس لمجرد التعظيم الخالي من السبب غير ذلك.

و (فريد الزمان) هو في الحقيقة فريد بين كثير من أقرانه أو أمثاله في هذه البلاد فهو يعرف خمس لغات ويخطب بثلاث منها وهي العربية، وقد وجدته فيها فصيحاً جيداً لا يشوب فصاحته إلا بقايا حمرة من التنبول الذي كان يصبغ شفتيه بصباغ غير محبب فكان كلامه بالعربية جيداً غير أن منظره وهو يتلفظ بها غير جيد مما جعلني أذكر قول ابن الرومي في مغنٍّ قبيح المنظر أظنه جحظة البرمكي.

يا رحمتا لمنادميه، تحملوا ألم العيون للذة الآذان

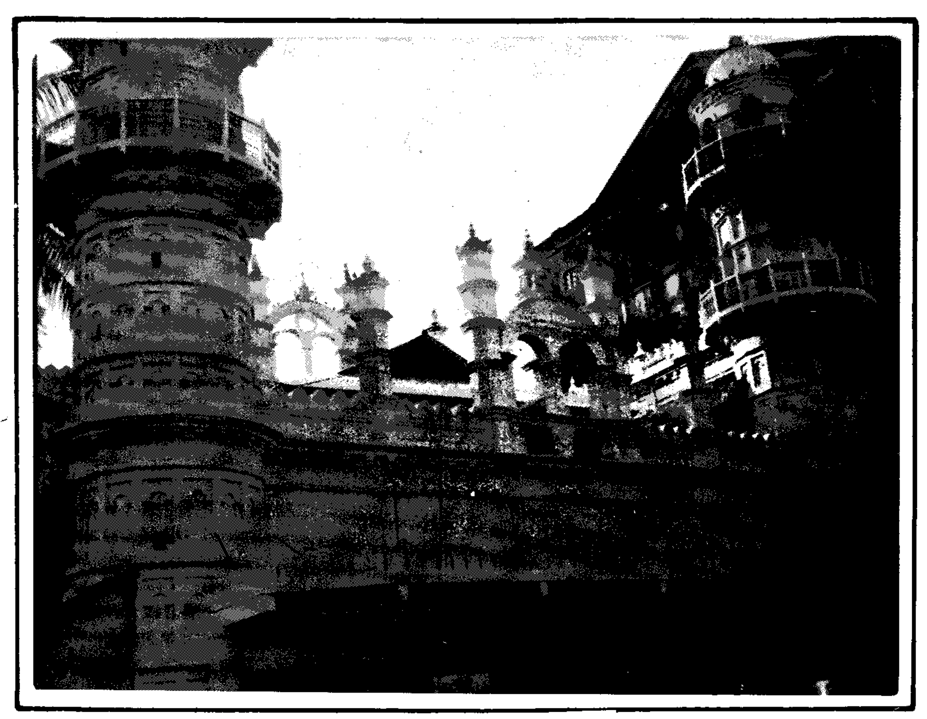
كما أن الشيخ (فريد الزمان) يخطب بالأوردية والبورماوية ويعرف الفارسية وشيئاً من الانكليزية ومع ذلك فإن راتبه الشهري لا يزيد على اربعمائة (تشات) ويساوي ذلك بالصرف الحر عشرين دولاراً، ولو كانت مواهبه وذكاؤه في بلد غير هذه البلاد وعند قوم لهم اقتصاد غير هذا الاقتصاد لكان راتبه قد ازداد عشرين ضعفاً أو كاد.

وقد اخبرونا أن هذا المسجد عليه أوقاف جيدة من الحوانيت ومنها حوانيت بجانبه وأنها تكفي لترميمه وتعميره وما يلزم له من نفقات متكررة كمصاريف الماء والكهرباء.

وهو مثل غيره من المساجد في هذه البلاد يدل على مكانة للمسلمين وقوة اقتصادية ونفوذ عظيم كان فبان، والله أعلم بما يأتي به الزمان. وربما

يأتي بما يصحح من وضع آخينا فريد الزمان. بل ربما هو وحيد الدهر والأوان كما كان يقال في مثل هذا الشأن.

إلى الجامع البنغالي:



الجامع البنغالي في رانقون.

تـركنا أهل مسجد جامع درقا وهم يتوافدون لصلاة العصر ولما يؤذن المؤذن بعد قاصدين (المسجد البنغالي) فوجدناه في شارع رئيسي هام أمام معبد للبوذيين شهير قالوا لي إنه أكبر معبد بوذي في العاصمة والمعبد البوذي يسمى (باقودا) علم عليه مثلما ان مكان الصلاة عنـدنا نحن المسلمين يسمى (مسجداً) ولا يسمى معبداً.

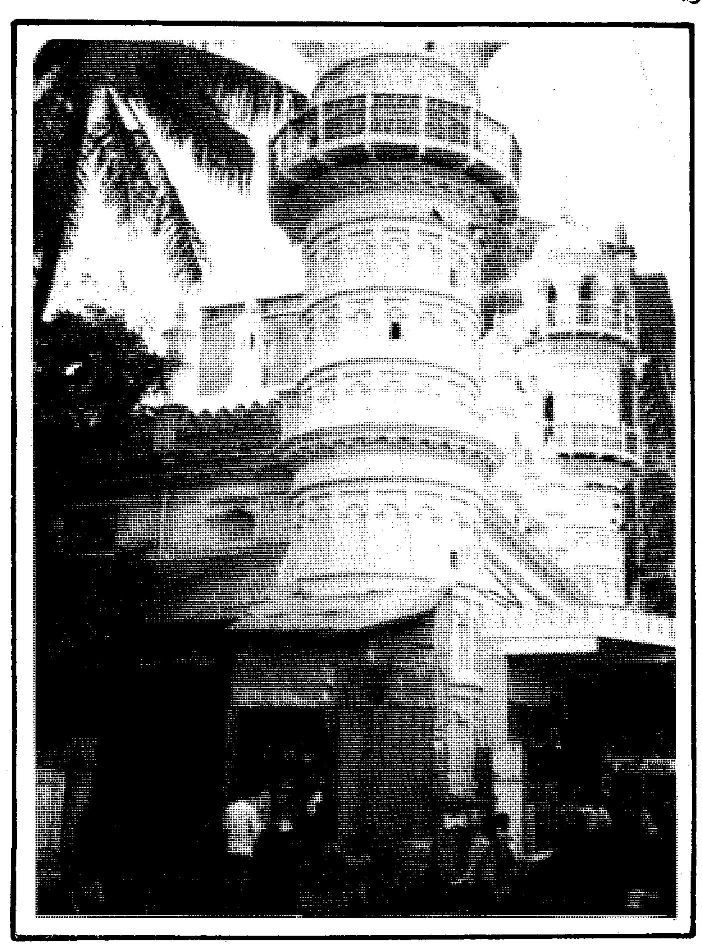
وقد بناه الأخوة المسلمون في هذا المكان قصداً حتى ترتفع منارة بيت من بيوت الله أمام أبراج ذلك المعبد الوثني المرتفعة ويكون دليلاً على وجود الإسلام القوي فيها.

على باب هذا المسجد اللوحة التالية بالأوردية أعلاها البسملة بالأرقام (٧٨٦) ثم في السطر الأدنى (بنغالي سني جامع مسجد رانقون) وتحت ذلك العبارة نفسها بالانكليزية.

ومعناها: جامع أهل السنة البنغالي.

وقال لي المفتي الشيخ محمود: إن هذا المسجد مع عدد من المساجد الأخرى تحت إشراف جمعية علماء الإسلام في بورما بمعنى أنها تتفقد أمره وتعين فيه إمامه مثلاً.

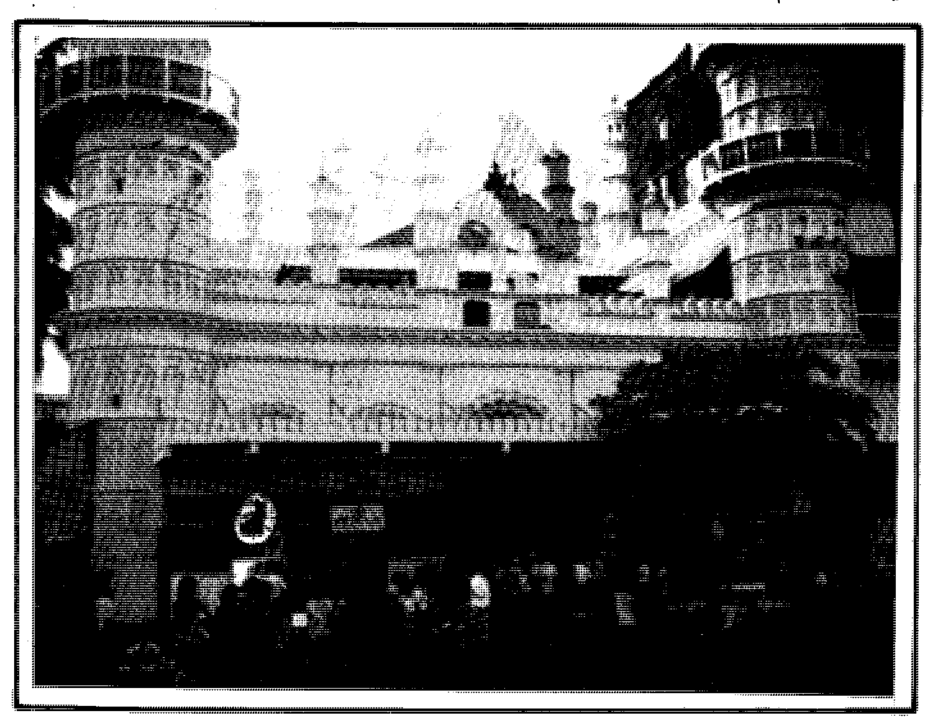
وللمسجد منارتان كبيرتان مستديرتان عاليتان كأنهما لقوتهما أبراج القلاع القوية.



ركن الجامع البنغالي في رانقون.

وقد أذن للصلاة ونحن عند الباب وأنا أتأمل اللافتة فكان ذلك موقفاً محرجا إذ تركني أصحابي المرافقون ليصلوا العصر مع الجماعة وكان بإمكاني الابتعاد عن المسجد حتى يفرغوا غير أنني لا أريد ضياع الوقت ولم استطع أن أغالب الرغبة في استجلاء أمر هذا المسجد بينما كان الناس يدخلون للصلاة فكنت أقول لمن يطلب مني منهم أن أدخل للصلاة أشرح له الأمر: إنني مسافر قد جمعت العصر مع الظهر. وأنا أقول في نفسي: ربما كانت هذه فرصة مناسبة ليعلم منهم من لم يكن يعلم أن الجمع بين الصلاتين للمسافر جائز.

وقد تحلق جماعات من الفضوليين الذين يحملقون في كل شيء، ويتابعون ما أقوله أو أفعله بحرص شديد لا لشيء إلا لطبيعة من الفضول في أنفسهم، ومن الانصاف أن أقول إن أكثر هؤلاء الفضوليين تدل



واجهة الجامع البنغالي في رانقون.

مظاهرهم على أنهم من ذوي الأصول الهندية وليسوا من البورماويين الأصلاء الذين هم في المظهر كما قلت: بين أهل الملايو وأهل الصين فأولئك أكثر أدباً مع الغريب وأقل فضولاً، ولقد أعجبت بكثرة الحاضرين لأداء صلاة العصر في هذا الحي الذي هو ليس حياً إسلامياً ولا هو في وسط المدينة التجاري الفاخر.

ويقع المسجد في سوق للبيع والشراء مجاور لحوانيت عديدة. ولذلك كان على مدخل المسجد حانوتان صغيران للمسلمين فيهما أشياء تتعلق بالمسجد مثل العطور التي قالوا: إنهم يستردونها من الهند والسبح - جمع سبحة - التي تستعمل في عد التسبيح والتهليل بعد الصلاة، وحاملات المصاحف من الخشب المخروط الجيد إلا أنها ثقيلة الوزن بالنسبة للمسافر الذي يريد أن يأخذها معه. وكتب عربية، ومصاحف كريمة أكثرها من طبع الهند وباكستان وطواقي - جمع طاقية.

أما عمارة المسجد الحالية فإنها قد مضى عليها سبعون سنة. وكان أول بنائه بناء أقل من ذلك منذ مائة سنة كما أخبرونا وإلا فانني لم أر لذلك تاريخاً مكتوباً.

إلى ضاحية رانقونية:

سارت السيارة الصغيرة بأمر الشيخ المفتي محمود وما ندري إلى أين تذهب إلا أن يكون ذلك ما أخبرنا به من قبل وهو الجولة على مساجد العاصمة ومدارسها أو على الأدق ما تيسر من ذلك لأن المساجد فيها كثيرة لا يمكن إتمام الجولة فيها في يوم كامل فضلاً عن نصف يوم، وإنما المهم هو رؤ ية المساجد الرئيسية فيها أو التي لرؤ يتها معنى خاص من قدم أو سعة أو تاريخ مذكور.

فسرنا مع هذا الشارع المهم الذي يقع عليه المعبد البوذي ذو البرج الذهبي المرتفع وعليه قريباً منه الجامع البنغالي لا يفصل بينهما إلا قسم

ضيق من الشارع العام لأن المعبد البوذي يتوسط الشارع فيتشعب عنده إلى شعبتين، وتختلط منارات المسجد ببرج هذا المعبد الذي يتألف من معبد رئيسي يشبه برجه المحقن ومن معبدين أو جزئين ملاصقين له، لهما أيضاً رأسان، أو برجان هرميان، وتحتهما أبراج أخرى بحيث يؤلف الجميع منها ما يشبه الشكل المخروطي ولكن ليس باللون الذهبي وإنما هو لون غامق غير بهيج.



المبعد البوذي الكبير في رانقون

فلا يستطيع من ينظر إلى أبراج هذا المعبد من بعض الجهات إلا أن يرى مآذن المسجد مختلطة في النظر معها إلا من يأتي من جهة القبلة وهي الجهة الغربية حيث يقع المسجد وينظر إلى المعبد فإنه يستطيع أن ينظر إليه منفرداً.

ومر الشارع الذي نسير معه على جسر تحته خطوط للسكة الحديدية بعدها مبانٍ في جهة مقابلة هي محطة السكة الحديدية في رانقون.

ثم غادرنا وسط العاصمة ذا البيوت المتلاصقة بسرعة إلى ريف ذي دارات (فيلات) قديمة البناء غير بهيجة الطلاء، فالأبنية الحديثة سواء من المنازل الخاصة أو ما يسمى بالعمارات وهي الأبنية الكبيرة العامة لا توجد. بل كل شيء قديم جامد كجمود حكام هذه البلاد على الاشتراكية التي لم تجلب إليهم غير الجمود على الفقر والتخلف.

ولكن تلك الضواحي التي تقوم فيها المنازل المتلاصقة، وتقل فيها المنازل لا تقل فيها المعابد البوذية ذات الأبراج المخروطة الشكل ولم أر في بلد من البلدان التي زرتها في أنحاء العالم أكثر من المعابد في بورما فلم يسبق أن رأيت مثلها في الكثرة لا من المعابد البوذية ولا من دور العبادة الأخرى.

والأشجار العادية بمعنى القديمة وليس المعتادة كما يقوله بعض عوام الكتاب كثيرة في هذه الضواحي كثرتها في العاصمة، لأنها لا تحتاج إلى عناية كبيرة، والبلاد لا تشكو نقصاً من المياه وتشهد فصلاً مطيراً، بل كثير الأمطار.

ومررنا ببحيرة ممتدة ذات شعب قالوا لنا: انها متجمعة من مياه الأمطار لا من مياه الأنهار وأنها تظل هكذا بحيرة ثرة المياه أبد الدهر. وكنا قد مررنا بجزء منها عندما جئنا من المطار أمس غير أن ثرثرة المهرب الذي كان راكباً معنا في سيارة الأجرة منعتنا من الحصول على أي قدر من المعرفة عنها أو غيرها بل حتى من استجلاء أمرها.

ومن اللطيف في منظر شطآن هذه البحيرة أشجار عالية كبيرة وبط أبيض يسبح فيها لا يخشى صائداً أو مذيراً ولا أدري السبب في ذلك إلا

أن يكون هذا البط مملوكاً ملكاً خاصاً وليس وحشياً لأن القوم هنا مثل أهل تايلند يربون البط في البرك ابتغاء لحمه. ويأكلونه مثلما نـأكل الدجاج. ومررنا بكلية الهندسة وهي حكومية ولم نقف عندها.

ورأينا ابقاراً كبيرة الحجم هنا قليلة فسألناهم عن عدد الهندوكيين الذين يعظمون البقرة هنا كما يفعل أهل الهند ونيبال؟ فأجابوا: إن عددهم قليل. بل هو نادر فقلنا لهم: هذا من فضل الله على بلادكم.

فقالوا: إن الدين الإسلامي هو الدين الثاني من حيث عدد الأتباع من السكان والثالث هو الدين المسيحي، أما دين الكثرة الكاثرة فهو الدين البوذي وهم هنا يتمسكون به ومظاهره أكثر مما يفعل غيرهم من البلاد التي يدين أكثر أهلها بالبوذية مثل سيلان وتايلند، أو هذا هو ما رأيناه من أمرهم.

في بيت المفتي:

عندما طال السير بنا ونحن ندخل في ضواح أشبه ما تكون بالريف سألت الشيخ المفتي عن المكان الذي يقصده؟ فأجاب: إنه بيتي، ولم يكن من اللياقة أن أقول: إن الأفضل أن تكون زيارة بيته في الليل اغتناما لضوء النهار في رؤ ية بعض المساجد والمدارس وتصويرها حيث لا يمكن ذلك في الليل.

ويقع بيت المفتي في مكان مرتفع من ضاحية جميلة نسبياً تسمى (بهات) يمكن أن تصبح أجمل لو لقيت شيئاً من العناية، فشوارعها ترابية وحدائقها الكثيرة التي تكاد تختفي منازلها فيها لا تلقى العناية، بل إن الاهمال هو الطابع عليها.

وبيت الشيخ نفسه يقع وسط حديقة جيدة يدخل إليه منها كما تقع أمامه حديقة ملحقة به قال: إن والده (داود يوسف) هو الذي بنى هذا البيت وغرس هذه الحديقة. مع أن الشيخ كبير السن.

استقبلنا في البيت شيخ أشيب الرأس ظنناه أخاً للشيخ فقال الشيخ: إنه ابني، وان هذا وأشار إلى آخر هو ابن أخي.

وعلى مدخل البيت بيتان من الشعر باللغة الفارسية في مدح صاحبه والد المفتي، وقدم الشيخ جزاه الله خيراً الأشربة الباردة والحلوى ثم القهوة والشاي في جلسة قصيرة في بيته.

إلى الجامعة الإسلامية أو دار العلوم:

قلنا فيما سبق: إن الأمر في التسميات في هذه البلاد هو اصطلاحي فالجامعة الاسلامية هنا وفي الهند تعني المدرسة والمعهد الديني الإسلامي وان تكن لا تصل في مستواها التدريسي إلى الجامعي وقد تسمى (دار العلوم) أيضاً التي يراد بها العلوم الإسلامية خاصة.

وهنا في بورما اكبر المدارس في رانقون هذه التي سنذهب إليها جمعوا لها بين الاسمين كليهما (الجامعة الإسلامية؛ دار العلوم).

وفي الطريق مع هذه الضواحي من رانقون التي تبين أنها ضواحٍ قديمة وليست حديثة بدليل قدم الأبنية فيها رغم عدم اتصالها مررنا بشيئين يلفتان النظر وان كانا مختلفين في كل شيء عدا ذلك.

أولهما مقبرة صينية يلاحظ أنها رغم كونها لقوم من الصينيين البوذيين فإنهم لا يحرقون موتاهم وإنما يدفنونهم دفناً على حين أن البوذيين من الوطنيين البورماويين يحرقون موتاهم ويدفنون رمادهم بعد الحرق مثلما عليه الحال بالنسبة إلى أكثر البوذيين ومثل ما عليه الحال بالنسبة إلى الهندوكيين من كل البلاد.

والثاني: مسجد صغير المساحة إلا أنه عالي المنار ظاهر الشعار، بلونه الأبيض الناصع الذي يدل على الطهر والبراءة لا سيما في هذه البلاد

الشرقية الوثنية التي تسجد بأكثرية سكانها لتمثال بل لتماثيل (بوذا) التي هي من الحجر أو المدر مع أنهم يدرسون أن (بوذا) كان انساناً، بل كان أميراً، ولكنه زهد في الدنيا، وترقى في ذلك حتى وصل إلى رتبة الآلهة في زعمهم.

ثم وصلنا إلى مسجد (محمد جان) الذي تقع الجامعة الإسلامية بجواره وهو مسجد قديم إلَّا أنهم يبنون منارته عالية جداً، قوية البناء، رحبة الفناء فهم في هذا الأمر اكثر حيوية من الحكومة في أبنية الحكومة وذلـك رغم الفقر الذي حاق بالمسلمين، بل الناس في بورما أجمعين حيث تبددت الثروات. وشلت الحركات الاقتصادية الفردية إلا ما كان منها محدوداً لمن كان من الناس مجدوداً.

وقد أخبرونا أن بناء هذه العمارة الكبيرة هو من صندوق للتبرع يشارك فيه المسلمون كل على قدر حاله وبحسب ما تجود به نفسه من طاقته.

وقد رأينا طوائف بل جمهوراً كبيراً من الأخوة المسلمين جاؤ ا إلى هذا المكان بعضهم ليؤدوا صلاة المغرب خاصة وبعضهم لـطلب العلم في المدرسة. ولم يكن لأحد منهم أو من غيرهم علم بمجيئنا هكذا أردنا وأراد مرافقونا وإلا لكان جمهورهم قد أصبح جماهير، ولكان كثيرهم قد صار أكثر من ذلك بكثير.

الجامعة الإسلامية:

لم يبق من الوقت قبل الغروب إلا القليل الذي لا يسمح نوره بالتصوير فاكتفينا بالاطلاع العام على هذه المدرسة الإسلامية العريقة التي تخرج منها فيما قاله لنا إخواننا من المشايخ ما يصل إلى ثمانمائة عالم أو ما يقارب ذلك وكلهم أخذوا أماكنهم في أنحاء البلاد في إمامة المسلمين

وارشادهم أو وعظهم أو تعليم الدين الإسلامي الحنيف. وذلك **بقدر استطاعتهم، (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) و «من عمل بقدر استطاعته فقد اعذر»**.

والقوم عملوا بقدر استطاعتهم، وقد أعذروا بالفعل، وبقي عليهم لكي يرتفع مستواهم ويزيد علمهم أن يساعدهم إخوانهم المسلمون من خارج البلاد الذين هم أكثر منهم علماً ومالاً على ذلك. إلا أن المشكل في الأمر أنك إذا قلت لهم: إننا في المملكة العربية السعودية مستعدون لمساعدتكم بالمال والأعمال. قالوا لك: شكراً جزيلاً. ولكن كيف؟

إن حكومتنا الاشتراكية لا تسمح بذلك ونحن لا نستطيع أن نفعل بل لا نستطيع أن نقبل إلا ما تقبله الحكومة لأنها تصدر إلينا وإلى غيرنا الأوامر وتفرض علينا تنفيذها من دون أن تلقى بالا لاعتراض أو احتجاج، بل من دون أن يكلف المسئولون فيها أنفسهم حتى عناء النظر في كون امرهم هذا عادلاً أو جائرا. وما علينا إلا انتظار الفرج للمسلمين. بل للسكان فيها أجمعين. وبناء المدرسة أو الجامعة قديم تحيط به أروقة خشبية جميلة على الطراز الذي كان شائعاً في هذه البلاد في القديم، لأنها من البلاد التي تنتج وفيراً من الأخشاب مثلها في ذلك مثل (نيبال).

وقد أسست هذه المدرسة في عام **١٩٣٥** م. وقال لي الشيخ المفتي: **إن والدي الحاج داود هاشم يوسف هو الذي قام على تأسيسها**. ويدرس فيها الصرف والنحو والمعاني والبلاغة والمنطق والفلسفة والفقه وأصوله والفرائض والحديث والمقرر فيه (مشكاة المصابيح) والصحاح الستة وموطأ مالك وكتب التفسير: الجلالين والبيضاوي.

مقبرة المسلمين:

في مكان مجاور للمدرسة توجد مقبرة للمسلمين خاصة من مقابر ست خاصة بهم.

وهذه المقبرة واسعة جداً والغريب من أمرها أن الذي تبرع بأرضها كلها وما عليها هو شخص من المسلمين واحد لم يشاركه أحد في ذلك واسمه (محمد ابراهيم ملا) وأصله من بومبيء بالهند.

وقد أرونا قبره مكتوباً عليه اسمه فسلمنا عليه السلام الشرعي ودعونا له بالثواب الجزيل. كما طلبوا منا أن نسلم على وزير مشهور من المسلمين اسمه (عبد الرزاق) كان وزيراً لشؤن التعليم في زمن عز المسلمين، ونفوذ كلمتهم في هذه البلاد أما الآن فإنه لا يوجد منهم وزير في الحكومة وقد توفي الوزير عبد الرزاق في عام ١٩٤٧ م وقد رأوا أنه لرفع قدره لا بد من رفع قبره فجعلوه أعلى من غيره من القبور بمقدار شبر. وهذا أمر لا يجوز في الشرع.

أما المتبرع بالمقبرة (محمد ابراهيم الملا) رحمه الله فقد كتبوا على قبره تاريخ وفاته بالتاريخ الهجري عام ١٣٥٦ وبالميلادي ١٩٣٨ م وذكروا أنه توفي وعمره ثلاث وستون سنة.

وعامة القبور لا ترتفع كثيراً عن المعتاد الذي هو حوالي نصف ذراع أو ثلث متر إلا أنهم يجعلونها ذات زوايا متساوية كما يفعل بالمربع المستطيل.

وذلك لكيلا ينجرف ترابها كما يجعلون على كل قبر شاهداً حجرياً واحداً يكتبون عليه اسم صاحب القبر وعمره وتاريخ وفاته. وبجانب المقبرة بناء واسع لتجهيز الأموات والصلاة عليهم.

ومن الأشياء الملفتة للنظر أن كثيراً من القبور قد نبتت على ظهورها نباتات، أوهي قد استنبتت بالفعل فإن كان الأخير هو الصحيح فإنه لا يجوز.

ولا شك في أن القوم يحتاجون إلى توعية في هذا الأمر وغيره من أمور دينهم فهم في زاوية أصبحت منعزلة عن بلاد المسلمين خلف حجاب

من السياسة وعدم المقدرة المالية.

وبعد الانصراف من السلام على الأخوة المسلمين المحسنين من أهل هذه المقبرة استقبلنا عند المسجد (مسجد محمد جان) إمام الجامع البنغالي وخطيبه وهو الجامع الذي زرناه قبل ساعتين فاعتبرتها فرصة سانحة لسؤاله عن تاريخ المسجد: فأجاب: إنه لا يعرف تاريخ بنائه واسم الإمام (عبد الوهاب عبد الستار).

وتقع هذه الأماكن الإسلامية في حي لا يؤلف المسلمون فيه الأغلبية وانا يؤلفون فيه اقلية فالأغلبية فيه للبوذيين ويسمى حي (باهان).

حديقة العزيز:

وعندما غادرنا المسجد (تنبل) الشيخ فأخرج من جيبه علبة صغيرة فيها ما يوضع في الفم من تنبول أو شيء شبيه به لم يكتف الشيخ بأن يذر في فمه منه، وإنما أخذ يعطي كل من حوله من جماعته والسيارة تسير قاصدة (عزيزية مسجد) كما يسمونه، ورأينا على البعد مآذن مسجد صغير ظاهرة.

فمررنا بحديقة واسعة مسورة بسور لم يجدد منذ دهر فقالوا لنا إن هذه (حديقة العزيز) فلما استفصلنا منهم ما يقصدونه اجابوا بأنها لرجل مسلم اسمه عبد العزيز وسميت بذلك اضافة إلى اسمه. وأضافوا أن للمسلمين في هذا الحي وحده ست حدائق.

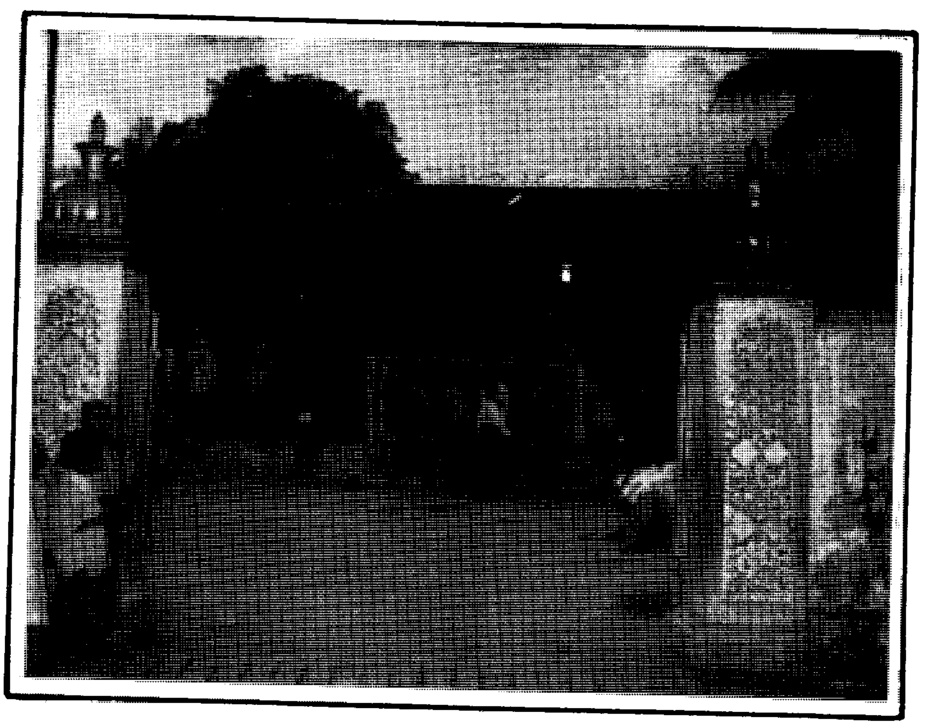
والحدائق المذكورة هنا تشبه الحدائق الحكومية الواسعة التي تكون في أحياء المدن ويستعمل المالكون ما تنتجه من أخشاب وفواكه للاستثمار.

والآن وقد زال عهد الإستثمار، وحل عهد الإستئثار، فإن هذه الحدائق قد أصبحت معطلة وإذا اتخذنا (حديقة العزيزية) هذه مثلاً على ذلك نجد أنها قد اهملت أشجارها، وتقلصت ثمارها. وإن طوائف من

الناس وبخاصة من فقراء المسلمين قد بنوا فيها اكواخاً وسكنوا فيها، وإن الحكومة وإن لم تصادر هذه الحدائق على اعتبار أنها مثل الأبنية التي لم تصادرها كلها فانها أصبحت غير ذات عائد مالي لاصحابها إلا أنهم لا يستطيعون أن يستخلصوا حقوقهم ممن يسكنون فيها فإنها بقيت كالوقف الذي لا يستطيع صاحبه أن يتصرف فيه ولا يمكنه تعميره. لأن الدخول المالية قد حددت.

ولكن مجرد هذه النسبة العربية اللفظية (العزيزية) وكونها كانت منسوبة ولا تزال إلى أخ من اخواننا المسلمين وهو (عبد العزيز بن شودري تاج الدين) رحمه الله كافٍ لزيارتها والإطلاع عليها.

(مسجد العزيزية:



مدخل جامع العزيزية في رانقون.

مع أن الزيارة لم تكن للحديقة وحدها وإنما كانت لمسجد العزيزية، وهو مسجد تبرع صاحب حديقة العزيزية بأرضه للمسلمين فبنوه عليها ولا يزال عامراً بالمصلين.

وصلنا إلى المسجد والمغرب قد حان فقال الاخوة إنه ينبغي لنا أن نزور:

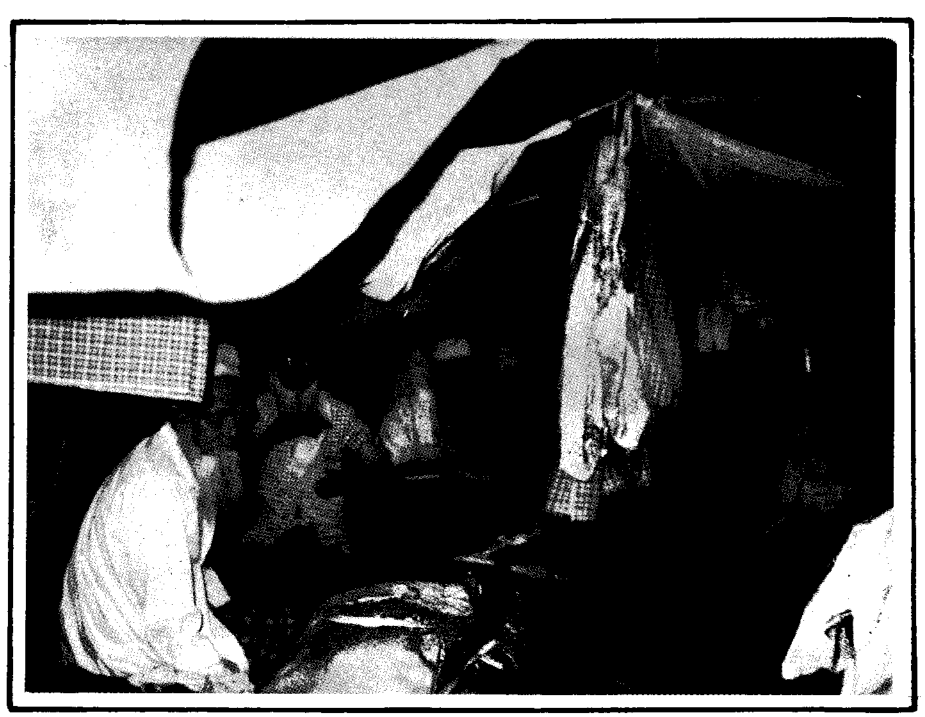
بيت الضعفاء:

و(بيت الضعفاء) هكذا أسموه هو ملجأ لكبار السن من الرجال يقام على أرض من حديقة العزيزية محاذية للمسجد، تبرع بها صاحبها عبد العزيز المذكور وأقاموا عليها بناء خشبياً مرفوعاً عن الأرض اتقاء للرطوبة يصعد إليه مع درج خشبي أيضاً والبناء على هذه الأرض من تبرعات المسلمين.

ويقول لي الشيخ المفتي والذين معه: إن (بيت الضعفاء) هذا تشرف عليه جمعيتهم وهي جمعية علماء الإسلام في بورما.

جلسنا في مكتب المشرف على هذا الملجأ الذي أسموه بحق (بيت الضعفاء) واظن ذلك أصدق من الملجأ الذي لا بد من تعريفه بأنه لكبار السن أو من إضافة توضح أمره.

فأخبرونا أنهم يقبلون فيه من تزيد سنه على ستين سنة ولا يقبلون من هم دون ذلك. وقالوا: إن عدد الموجودين بصفة دائمة فيه يتراوح ما بين ستين إلى سبعين وإنهم يعيشون فيه ويصلون في المسجد الموجود بجانبه ويستمعون إلى المواعظ.



داخل بيت الضعفاء في رانقون.

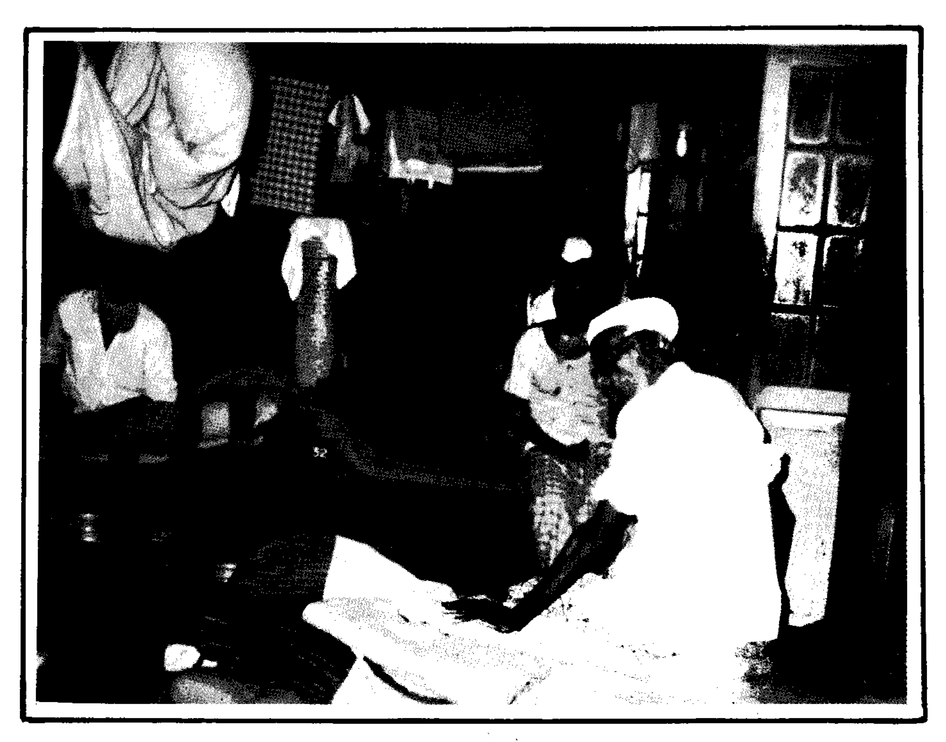
وقالوا: إن المكان ضيق لا يتسع لأكثر من هذا العدد وإلا فإن المسنين من المسلمين المحتاجين إلى الرعاية عددهم أكثر من ذلك بكثير لكنهم لا يستطيعون تلبية رغبتهم بسبب الضيق. وإنهم إذا وجدوا النفقة اللازمة فإنهم يعتزمون بناء طابق ثانٍ على هذا الموجود المؤلف من طابق واحد. ولما أخبرتهم بأن المملكة العربية السعودية مستعدة لمساعدة هذه المشروعات الإسلامية، وإنها يمكن أن ترسل لهم مساعدة مجزية لهـذا المشروع ولغيره. قالوا بتحسر: نشكركم ولكن لا نستطيع أن نـطلب المساعدات، ولا أن نقبلها علناً لأن حكومتنا لا تريد ذلك ولا تسمح به. ثم قمنا بجولة على غرف النزلاء من المسنين فرأيت نظراتهم تدل على المسكنة والحسرة. وقال إخواننا: إن بعضهم كانوا من التجار ذوي اليسار ولكن تجارتهم أفلست. وبعضهم كانت له أسرة فحدث لها ما فرق شملها من موت أو غربة فبقوا لا عائل لهم، ولا كافل الا نحن إخوتهم في الدين.

وكان تأسيس هذا الملجأ في عـام ١٩٥٥م فهو مثـل غيره من المؤسسات الإسلامية قد أسس أيام قوة المسلمين في بورما.

وبينما كنا نتحدث في بيت الضعفاء كان الأذان يصدح في الآذان، ويلج القلوب، وبخاصة في مثل هذه الساعة التي يرهف فيها الحس، وتتضاءل رغبات النفس في الدنيا حينما يرى المرء هؤلاء الأخوة المسلمين من المسنين الضائعين الذين لولا توفيق الله تعالى لاخواتهم المسلمين لكان ضياعهم مضاعفاً لأنهم إما أن لا يجدوا من يعتني بهم على كبرهم. أو أن يجدوا ذلك عند قوم من الكفار الذين لا يقبلونهم إلا عندما يقبلون بشروطهم التي منها أن الملجأ هو غير إسلامي.

وقد أخبرنا اخواننا أن الحافز لهم على انشاء هذا البيت للضعفاء هو أن (شيوخ) المسلمين بمعنى كبار السن فيهم العاجزين هؤلاء يضطرون إلى الدخول في ملجأ الكفار وهو هنا ملاجيء الحكومة أو جمعيات الاحسان البوذية فلا يجد من يوفر له الطعام الحلال. ولا من يسمعه من آيات الله وحديث رسوله ما يطمئن نفسه، ويهديء روعه وهو في سن صعبة وفي حالة نفسية أصعب. كما لا يجد النظافة في البدن والثياب ولا المسجد الذي يؤدي فيه الصلاة.

إضافة إلى ما قد يتعرض له من إضلال في دينه في هذه المرحلة النهائية من عمره. وسألتهم عما تقدمه الحكومة لهم من مساعدات مثلما تقدم الحكومات الأخرى المساعدات للجمعيات الخيرية التي تخدم طائفة من أبناء شعبها. فقالوا: إن الحكومة لا تقدم قرشاً واحداً وحجتها في ذلك أن تقول: إننا نحن لدينا ملاجيء للمسنين أمثال هؤلاء فمن أراد أو أريد له أن يدخل فيها فليدخل مثل غيره من بقية المواطنين.



بعض المسنين في بيت الضعفاء في رانقون.

غير أن إخواننا يقولون: إن المواطنين المشار إليهم هم من البوذيين يعبدون الأوثان. ويأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور ولا يتطهرون من النجاسات كما يتطهر منها المسلمون فكيف نرسل إخواننا المسنين إليهم، ونرضى بأن تكون خاتمة حياتهم كفراً بعد ايمان، أو على الأقل خسراناً بعد ربح؟

وهنا كان مؤذن مسجد العزيزية قد فرغ من الأذان وأسرع بالاقامة فأسرعنا بدخول المسجد مع الداخلين الذي رأيناه امتلأ بهم لأنه صغير حتى لم يبق مكان لزيادة مصلٍ واحدٍ، إلا من يكون خارج المصلى الرئيسي.

بعد صلاة المغرب التي لم يكن فيها ما يلفت النظر غير البقاء قليلاً

بعد التسليم للدعاء كالمعتاد سلمنا على إمام المسجد (الحافظ هداية الله بن صـفي الله). وتأمل معنى كلمة (صفي الله) من الصفاء.

واشار الإخوة أيضاً إلى مدرسة اسلامية أو كتاب صغير بجانب المسجد (بيت الضعفاء) قالوا: إنه يتعلم فيه أطفال المسلمين مباديء الدين الإسلامي والحروف العربية. ولم يكن في الوقت متسع لمشاهدة المدرسة كما لم يكن فيها طلاب في تلك الساعة.

وقبل مغادرة المكان كانت جلسة مع الأخ (بشير أحمد بن عبد العزيز) الذي نسبت إلى والده هذه الحديقة وما نسب إليها من المسجد والمدرسة والملجأ.

وهو يبدو في مظهره كالهندي الشمالي العريق. وقد كان هذا بالفعل إذ عندما سألته عن الجهة التي جاؤا منها في الأصل قال: لقد ولدت هنا ولقد قدمت اسرتنا إلى بورما قبل اكثر من تسعين سنة واصلنا من ولاية جامو وكشمير في الهند الآن فنحن على بعد قليل من عاصمة منطقة (جامو) تلك.

وهذه واقعة في أقصى الشمال من القارة الهندية، بل إن كشمير نفسها تكاد تكون خارجة عن الهند وإن كانت الحكومة الهندية هي التي تسيطر على أكثرها في الوقت الحاضر وإذا كان القاريء الكريم يرغب في معرفة المزيد عن كشمير فإنه يمكنه أن يقرأ كتابي: «سياحة في كشمير».

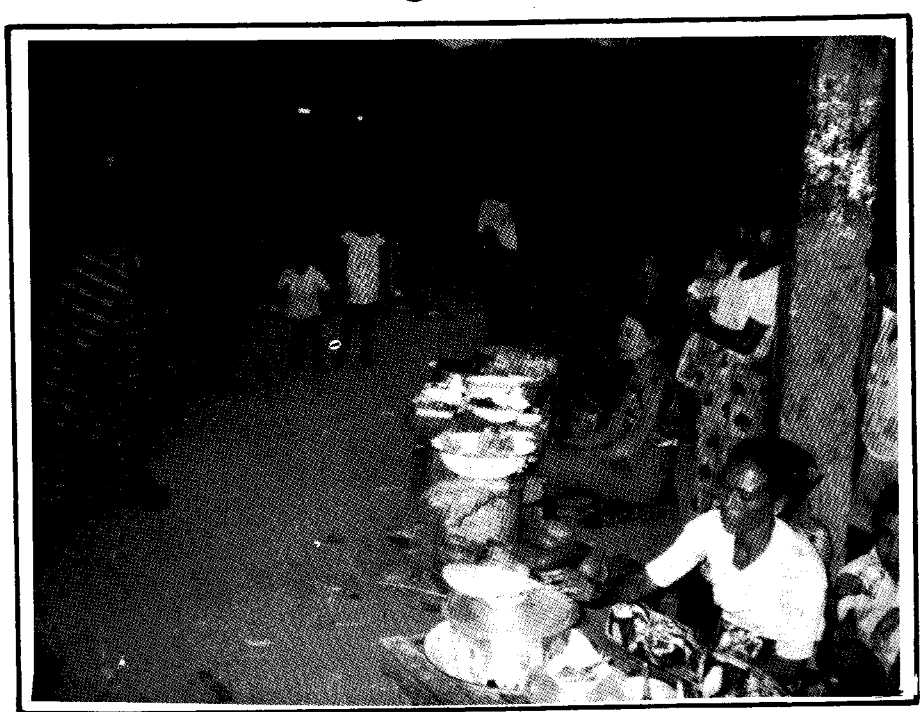
ومع كون الأخ بشير أحمد ذا مظهر هندي شمالي فإن معيشته في هذه البلاد البورماوية قد أكسبته سمرة وتغيراً في اللون ذهب بإشراق وجهه الذي يوجد في وجود الكشميريين ولقد سألته عما إذا كانت امه من بورما؟ فأجاب بالنفي.

ولكن الذي لم يقله صراحة أن الأحداث التي مرت على المسلمين في

بورما وأخذ أموالهم منهم وكف أيديهم عن أعمالهم التجارية التي كانوا يمارسونها وبالتلخيص مضايقتهم ومحاصرتهم وسلب حرية الحركة منهم هي التي أثرت عليه.

فقد أشار إلى صف من البيوت الخشبية التي امام الملجأ وقال: هذه البيوت كلها كانت لنا وكنا نؤجرها وننتفع بثمنها واليوم يسكنها غيرنا بأمر الحكومة ولا يصلنا منها شيء ولم نعوض عنها بشيء ولقد أحضر الأخ بشير أحمد مشروباً دون أن نطلبه، وحتى نعرفه كما هي العادة اكراماً لنا، وكانت المتعة في المعلومات التي تضمنها حديثه أكثر من المتعة في شرابه.

وكانت بعد هذه الجلسة وقفة على الباب الخارجي للمجمع الإسلامي كما أحب أن اسميه وهو (مجمع العزيزية) عند البوابة الخارجية في وسط شارع مهمل رديء تخترقه مجاري الباه الخارجة من البيوت سائرة معه - كما هي العادة - وذلك عند نساء من نساء أهل البلاد يبعن بعض الأطعمة القليلة التي يطبخنها في الشارع والتقطنا صوراً لهن معه.



سوق صغير قرب حديقة العزيزية في رانقون.

وكانت بعد ذلك نهاية القولـة في هذه الجولة الممتعة بحديث الشيخ المفتي محمود فهو ذكي ويعرف العربية جيداً بخلاف زميله الشيخ (نور محمد) الذي ليس له مران بالعربية واجتمع له مع عدم إتقان اللغة عدم الرغبة في التفاصيل في الأمور.

غير أنه في العودة من الجولة إلى الفندق شاهدنا الأماكن العامة على قلتها مضاءة ومنها المعبد البوذي الكبير المجاور للجامع البنغالي وذلك لمناسبة (عيد الفلاحين) الذي خصصوا له هذا اليوم ومعنى الاضاءة أنها مزينة بمصابيح كهربائية ملونة خافتة الضوء، فسألت الأخ المفتي عن المساجد أيزينونها بالإضاءة في مثل هذه المناسبات مثل غيرها من المحلات العامة لأنني رأيت الجامع البنغالي ليس عليه من هذه الزينة شيء؟

فأجاب: لا، نحن لا نفعل ذلك. وقد قلنا له: إن المساجد للعبادة فقط ولا يجوز أن تتأثـر بالمناسبات السياسية فهذا ليس من عملها. فقلت: جزاك الله خيراً.

قال: والحكومة لا تجبرنا على ذلك لأن هذا أمر يتعلق بالدين..

ثم أثنى مثل غيره على العلاقات ما بين المسلمين الذين هم اقلية عددية وبين الأكثرية العددية من البوذيين فقال: إن البوذيين يقاومون معنا وهم قوم طيبون وليسوا مثل الهندوكيين الموجودين في الهند، فهم لا يؤذون المسلمين.

إلا أنه استدرك كما استدرك غيره ممن سمعت كلامهم في هذا الموضوع قائلاً: إن هذا كان إلى ما قبل بضع سنين. عندما غيرت الحكومة سياستها نحو المسلمين واوغرت صدور الأكثرية من المواطنين عليهم.

مطاعم المسلمين:

كان العشاء هذه الليلة أيضاً في مطعم للمسلمين صيني فالطعام

الصيني شهي وخفيف لأن الخضروات لها مكان عظيم في وجبات الطعام عندهم.

ولقد عجبت من كثرة مطاعم المسلمين هنا حتى إنهم ذكروا لنا خمسة مطاعم صينية للمسلمين وهناك غيرها هندية وبورمية فذكروا لي أن غير المسلمين يأكلون أيضاً في مطاعم المسلمين وبعضهم يفضلها لنظافتها ولرخصها النسبي.

وأول ما يطلبه المرء منا في المطاعم الصينية شربة الخضار فهم يضعون فيها من الخضرات ما لا تدري ما هو بعضها على هيئة شرائح صغيرة. وقد يضعون شيئاً من الأربيان ـ الروبيان أو الجمبري ـ مطبوخاً أي مسلوقاً بطريقة خاصة تجعله مقبولاً للآكل وليس كما اعتدنا عليه في بلادنا وفي البلدان الغربية بأن يكون مقلياً.

ثم يأتون بصحون أخرى من الخضرات المنوعة المطبوخة حتى الأشياء المعتادة عندنا مثل لحم الدجاج والبط لا يأتون به قطعاً خالصة مثلما نفعل ويفعل غيرنا في الغرب والشرق وانا يحضرونه مقلياً أو مسلوقاً أو معداً بطريقة خاصة ومعه مقادير من الخضرات المنوعة.

وأحياناً يأتون به خالصاً من العظم على هيئة قطع صغيرة لا تكاد تفرق بينها وبين بعض الخضرات التي تطبخ معه والتي تكون بيضاء اللون.

اما زينة المائدة الصينية وهو الشاي الصيني الذي أصله أخضر ولكن ليس بالشاي الأخضر الذي نعرفه في بلادنا فيأتون به في أباريق تسكب في أكواب كبيرة ويشرب كما يشرب الماء أو عصير الفاكهة ولا يقربه السكر مطلقا وكلما نقص كأسك زادوك منه بدون أن تطلب ذلك فكأنه الماء البارد الذي يقدم على الموائد في البلاد الحارة.

حوانيت المسلمين:

وكان الوقت لا يزال مبكراً للجوء إلى النوم، وكانت الحوانيت لا يزال أكثرها مفتوحاً ومقهاة الفندق لا تصلح لقضاء الوقت فهي موحشة لأن روادها قليل وهم من الأجانب الذين هم سكان الفندق أما أهل البلاد فإنهم لا يستطيعون دفع ثمن الشاي فيها لأنه مرتفع الثمن بحيث لا تتحمله جيوبهم.

لذلك فضلنا أن تكون السهرة بالانطلاق في بعض الأسواق، فجعلنا نتجول بدون أن نقصد مكاناً بعينه، بل يقودنا إلى ذلك أي منظر نلاحظه حتى نمل. وقد لاحظنا شيئاً لم ننتبه إليه من قبل وهو أن حوانيت المسلمين في الأسواق كثيرة كثرة تفوق نسبتهم العددية في البلاد مما يوحي بأن أكثرهم كانوا يشتغلون في التجارة وأنهم كانوا على قدر لا بأس به من الثروة.

ومن العلامات الدقيقة المميزة لحوانيت المسلمين أي: دكاكينهم بالعامية ـ وجود البسملة بالأرقام مكتوبة فيها وهي (٧٨٦) أو وجود صورة للكعبة معلقة في المحل، أو صورة للمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة.

وبعضهم يقتصر على وضع تقويم للمسلمين في ركن فيه صورة ترمز إلى الانتماء الإسلامي كالذي سبق. ومن الملاحظ أيضاً أن أطفال المسلمين الذين نراهم في محلات اهليهم أو ذويهم أو حتى الذين يقال لنا إنهم من أبناء المسلمين يكونون أكثر نضارة في الوجوه وصفاء في الألوان ولا أدري أسبب ذلك من جودة الغذاء أو من نوعه الذي كثيراً ما يكون للثروة والغنى دخل فيه، أم أن ذلك بسبب أصولهم العرقية مع أن أهل البلاد البورماويين الأصلاء بيض الألوان مع صفرة فهم وإن كانوا يشبهون

التايلنديين في بعض الخصائص المظهرية إلا أنهم أكثر بياضاً منهم لكن وجوه أطفالهم ليست في إشراق وجوه أطفال المسلمين.

يوم السبت ١/٦/ ١٤٠٤ هـ ٣ مارس ١٩٨٤ م

بدأ الصباح هذا اليوم في هذا الفندق المعدود هنا من فنادق الدرجة الأولى بداية غير مريحة للنزيل فقد لاحظنا منذ وصولنا أن الماء الساخن لا يوجد في الحمام وقلنا ربما كان هذا لبعض الوقت من النهار كما تفعل بعض الفنادق. إلا أنه استمر فلم أجد ماء ساخناً في الصباح الباكر إضافة إلى سوء حالة الصنابير في حمام الغرفة واتساخ المغطس أو حوض السباحة فيه لأن طلاءه عبث به الزمن حتى ذهب بأكثره ولم يجددوه، أو يزيلوه كله. وحتى الماء عندما فتحته هذا الصباح لأول مرة انطلق من الصنبور أسود كالمخلوط بالرماد إلى أن صفا بعد ذلك. وقد حذرنا الفراشون من شرب ماء الصنابير في الحمام قائلين: إنه غير صالح للشرب وإنما كانوا يحضرون (زمزميات) صغيرة فيها ماء من نوع آخر نظيف.

في مكتب السياحة:

السياحة هنا شأنها شأن كل الأمور الهامة في يد الحكومة وحدها.

ولقد عجبنا حين سألنا مكتب الاستقبال في الفندق عن الطريقة التي يمكننا أن نشتري بها تذكرة سفر إلى مدينة (ماندلي) العاصمة الأثرية القديمة لبورما، فنحن نريد زيارتها لذلك ولزيارة إخواننا المسلمين الموجودين فيها الذين هم كسائر الأخوة في هذه البلاد يفوق نشاطهم وماهم من مؤسسات اسلامية ما قد توحي به نسبتهم العددية إلى باقي السكان.

فاخبرتنا إدارة الفندق أننا لا نستطيع شراء أي تذكرة من هذا النوع إلا من مكتب السياحة الحكومي الذي قد يقر ذلك أو يرفضه.

فذهبنا في الثامنة مع صاحبنا (حكيم الله) سائق سيارة الأجرة المسلم ولكننا وجدنا فراشاً في المكتب قال: إن العمل يبدأ في الثامنة والنصف.

في مقهاة شعبية:

خرجنا نزجي الوقت في الأماكن القريبة من مكتب السياحة ومنها شارع رئيسي فيه مقهاة (شعبية) على الرصيف العريض شأن أكثر الأرصفة في الحي التجاري الذي كان فاخراً من وسط المدينة. ولكن حاله ساءت كما ساءت أحوال كثيرة في هذه البلاد.

وقد نثر ارباب المقهاة مقاعد خشبية صغيرة جداً ليس لها ظهور أو أيدٍ، وإنما هي تشبه الكراسي التي تكون في الحمامات ترفع المرء عن الأرض وهي قريبة من الأرض بحيث لا يحتاج من يجلس عليها إلى مائدة يضع عليها قهوته.

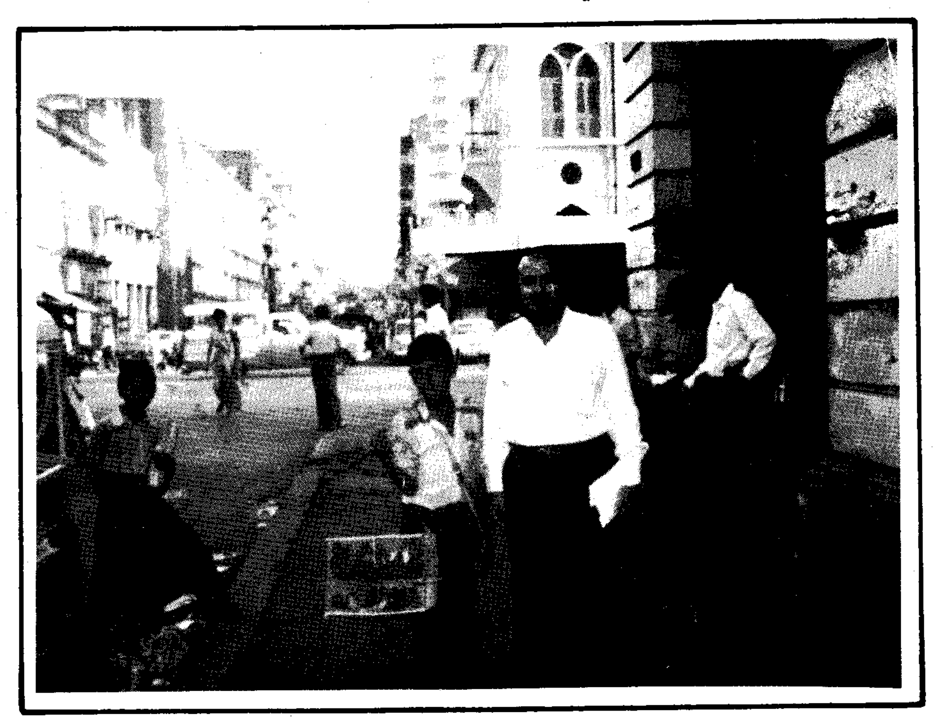
وطلبنا منه أن يأتينا بكوبين من القهوة الساذجة (السادة) وطلبنا منه ألا يضيف إليها أي شيء من الحليب لأننا لا نثق بنظافة حليبهم ولكنه جاء بابريق كبير معد من قبل قد خلطوا قهوته بحليبه، وربما كانوا قد طبخوها منذ مدة وسكب لنا منه في أكواب صغيرة لا تبعد نظافتها عن نظافة ثيابه التي لا تقل حالتها سوءاً عن حالة الرصيف التي ذكرتها. ويكفي أن تعرف أن هذا الرصيف تمر منه القناة الصغيرة المعتادة التي تخرج من خلالها فضلات المياه المستعملة من البيوت وقد تكسرت بعض أغطيتها فانكشف سترها، بل بان سرها.

وكانت المتعة ليست في القهوة نفسها وإنما في الاطلاع على حالتها ومن ذلك ما لاحظته من أن بعضهم يجلس ويطلب شيئاً من العامل في القهوة فيحضر له شيئاً مقلياً يشبه أن يكون حلوى أو عجيناً مقلياً ويضعه في الصحن أمامه فيأكل منه ما يريد. وهو على هيئة الأصابع الغليظة

المتساوية في المقدار، ثم يأخذه العامل بعد ذلك ويقدمه لغيره. ويتركه عنده حتى يفرغ منه ويحاسبه على ما اكله وهكذا تتناول الأيدي ذلك الصحن. وقد تتلمس ما فيه، ويتناوله معها طائفة قليلة من ذات الحظوظ من الذبان التي لا يعوزها ما تقع عليه في هذه البلاد. ولذلك لم نشرب القهوة وفوجيء صاحبها بمن يدفع إليه النقود ويعيد إليه الكأس مترعة.

الحرية التي بهرتهم:

بينما كنا في المقهاة نتفرج برؤ ية الناس وإذا بصبي معه قفص فيه طيور ملونة أكثر ألوانها الحمرة وهي صغيرة في حجم العصافير وهو يبيعها ووقف علينا يتفرج برؤ ية هؤلاء الغرباء الذي لهم لحى خلاف الشبان الذي يراهم من أهل بلاده فاشتريت منه واحداً بتشاتين اثنين اي حوالي ربع دولار بالصرف الرسمي وعشر دولار بالصرف الحر.



الشيخ علي عيسى بجانبه بائع العصافير في رانقون.

وكانت مفاجأة الجميع وأولهم الصبي البائع حين فرغت من تأمل هذا الطائـر الصغير المسكين فاعطيته حريته وأطلقت جناحيه فطار ولا أقول كأنما أفلت من قفص لأنه قد أفلت من القفص حقيقة لا تشبيهاً وربما لم أر في حياتي عصفوراً يطير بسرعة طيرانه.

وذهل الصبي والذين معه فقد كانوا يرون في ذلك الطائر الذي طار غير ما أراه من كونه مخلوقاً صغيراً يطلب الحرية فحصل عليها من دون سعي منه إلى ذلك وإنما ينظرون إلى (تشاتين) اثنين من عملتهم، وكأنما طارا بجناحين، وقد يعجبون من هذا الغريب الذي إن لم يقولوا: إنه مجنون مصاب في عقله فإنهم ربما يقولون: إنه أخرق مصاب في جيبه، ولم يدروا أن ثمن جميع ما في القفص من الطيور يعد شيئاً غير مذكور. لقاء ما منحنا ربنا من خير كثير، ومال وفير وأن عتق جناحي هذا الطائر ولا اقول رقبته من العبودية هو من الأعمال التي يبتغيها أهل الخير.

العودة إلى مكتب السياحة:

عـدنا إلى مكتب السياحة، وقد بدأ صباحه بوجه غير صبيح، من امرأة ولا أقول: غانية، لأن الغانية عند العرب إنما سميت بذلك لأنها غنيت بجمالها المطبوع عن ابتغاء الجمال المصنوع من حلي أو تطرية.

فأحالتنا هذه المرأة البورماوية التي كانت معاملتها مرضية إلى رجل أعلى رتبة. فتفحصنا بعينيه كلتيهما أولاً، ثم طلب جوازات السفر، وتفقد (تأشيرة) الدخول إلى بـورما، بصفة خاصة وما بقي لنا في البلاد من أيام، ثم قارن بين الصورة في الجواز والصورة الحقيقية. ولم يخف عجبه من هذه الجوازات العربية التي تنطلق الكتابة فيها كما تنطلق صفحاتها من اليمين إلى اليسار عكس كتابة الجوازات التي يحملها السياح الغرباء عن بـلاده وكلهم أو أكثرهم من البلدان الغربية.

وأخبرنا أنه لم ير الجوازات العربية كثيراً من قبل.

وكان من الأشياء التي وقف عندها خاصة وأولاها أهمية خاصة أوراق الجمرك التي توضح إحداها ما أدخلناه إلى البلاد من نقود ما صرفنا منها وما بقي.

ثم أخذ يدقق في بيانات عنده وأخيراً كتب ورقة إلى موظف آخر، في مكتب آخر، وأعطانا الورقة وقال: يمكنكم الآن أن تشتروا تذكرة السفر إلى (ماندلي) من ذلك الموظف.

ولم يضع هذا وقتاً كبيراً لأن المسئولية في سفرنا داخل البلاد تقع على عاتق غيره. وإنما هو مكلف بالاطلاع على أوراق العملة فطلب منا مائة وخمسة عشر دولاراً أمريكياً قيمة تذكرة الذهاب فقط وقال: إنه ليس مخولاً أن يبيع لنا تذكرة العودة وإنما يمكننا أن نشتريها من (ماندلي) من مكتب السياحة هناك وليس من رانقون.

ولم يـرض أن يأخذ المبلغ بالعملة المحلية رغم كوننا نحمل مقداراً كافياً منها واننا جميعاً قد صرفنا مقادير قليلة منها قبل ذلك.

وبينما كنا ننتظر منه أن يعطينا التذاكر مقابل ما دفعناه من دولارات اعطانا صورة ورقة تشبه الايصال أو شهادة الصرف من البنوك. وقال: هذه تكفي أروها مكتب السياحة في المطار وهو يعطيكم التذاكر.

وكان المسئول الأول قد أخبرنا أنهم سيرسلون حافلة المكتب إلينا في الفندق لتوصلنا إلى المطار في رانقون. ثم ينقلنا مكتب السياحة من مطار (ماندلي) إلى فندق (ماندلي) وهو الذي عرضه علينا للسكن فيه هناك وطلبوا أن نكون مستعدين في فندقنا في العاشرة والنصف.

خرجنا من عند مكتب السياحة بعد أن أنفقنا فيه جزءاً غالياً من

وقتنا وسببنا للموظفين عملاً متعباً لأن كل شيء فيه كان يتم بطريقة يدوية مثل كتابة البيانات.

وقد رأيت إعلاناً عن بيع بعض الأوراق السياحية التعريفية هنا فسألتهم عن بعضها فلم أجد إلا بطاقات بريدية قليلة غير مهمة.

ولكن الذي ينبغي أن يسجل لهم أن معاملتهم لنا كانت جيدة رغم كوننا قد شعرنا بأننا سببنا لهم تعباً ربما يخفف منه أننا لم نر أي شخص آخر غيرنا في المكتب.

ذلك بأن السياحة في بورما يقف في طريق توسعها ما تتخذه حكومتها من إجراءات صعبة في الدخول والتنقل وأكثر السياح يقدمون على هيئة جماعات بواسطة شركات سياحية تكفيهم مؤونة العمل بأنفسهم ما يحتاجون إليه.

ثم أسرعنا إلى فندقنا فندق (ستراند) ودفعنا أجرة الليلتين الاثنتين اللتين قضيناهما في (رانقون) مائة دولار ودولارين أجرة مقدارها لليلة الواحدة خمسة وعشرون دولاراً امريكياً للشخص ولم يقبلوا من عملتهم البورماوية شيئاً.

ووضعنا حقائبنا الكبيرة في مستودعهم.

إلى مدينة ماندلي:

في العاشرة والنصف بالضبط حضرت حافلة السياحة وهي حافلة متوسطة من التي تحمل ٢٨ راكباً فحملتنا من فندق (ستراند) ولم يكن فيها غيرنا حتى وصلنا المطار الذي يبعد عن قلب مدينة رانقون واحداً وعشرين كيلومتراً. وكنا نظن أنها ستلتقط ركاباً آخرين من فنادق أخرى كما هو المعتاد في مثل هذه الأحوال.

ولكن السياح عندهم كما قلت قليل. والدليل على ذلك أن سائق الحافلة لم يطلب منا أن نريه الورقة التي أخذناها من مكتب السياحة كما لم يطلب غيرها ولم يتوقف في حملنا عند اعطائنا تذكرة من عنده مثلاً لأنه يعرف أنه لا يوجد غيرنا عنده في هذا اليوم من الذاهبين إلى (ماندلي) لأن عندهم لماندلي رحلتين اثنتين فقط احداهما في الصباح والأخرى في الظهر وهي رحلتنا هذه التي من المقرر أن تغادر مطار رانقون في الثانية ظهراً. ولا أدري لم أسرعوا في حملنا من الفندق.

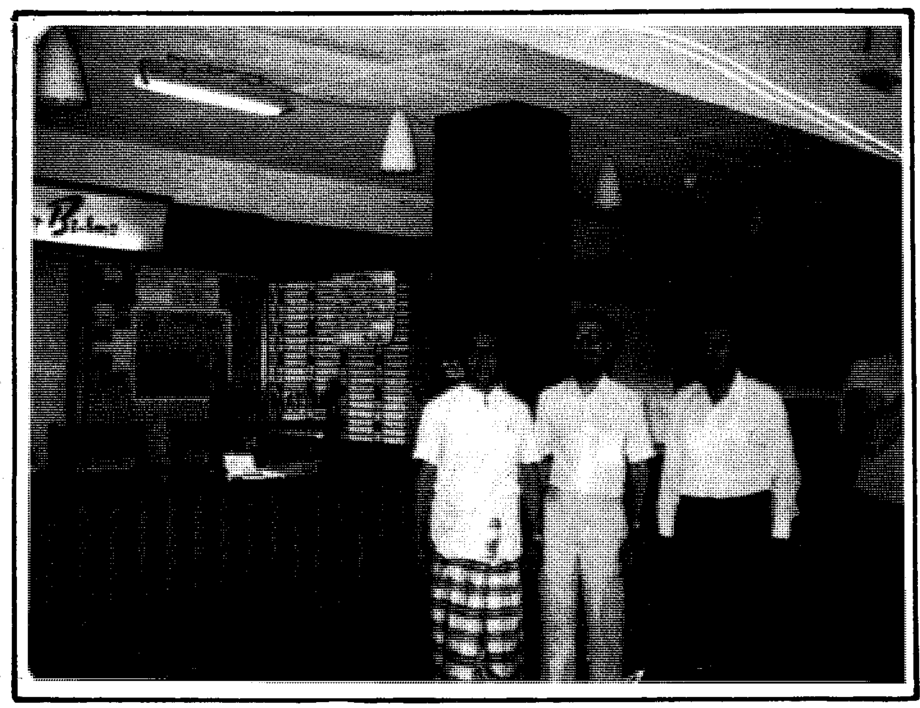
وصلنا المطار وقد بقي وقت طويل على مغادرة الطائرة لذلك لم نجد في مكتب السياحة أحداً من الموظفين مع أنه مهم لنا لأننا لا نحمل التذاكر التي دفعنا قيمتها وإنما سنأخذها منه كما أخبرونا.

وبينما كنا ننتظر في المطار رآءنا أحد الإخوة المسلمين فأسرع يسألنا قائلاً: عربي؟ أنا عربي في الأصل أنا اخوكم سليمان سيدات وذكرت بذلك مسلماً شهماً لقيته في زيارتي الأولى إلى مدغشقر اسمه (عبد القادر سيدات) كان قد ساعدني في الحصول على بعض المعلومات عن أماكن المسلمين هناك وذكرت ذلك في كتاب (مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين) اعترافاً بفضله.

فسألت الأخ سليمان سيدات عما إذا كان الأخر (سيدات) الموجود في مدغشقر قريباً له؟ فقال: إنه لا يعرفه وإنما أصل اسرته من كجرات في الهند وإن كان هو مولوداً في بورما. فقلت: وكذلك أخبرني الأخ عبد القادر سيدات (المدغشقري) أن أصله من كجرات في الهند، فقال الأخ سليمان: إن (سيدات) اسم قديم أصله: سادات بالعربية، وهذا ما يجعلنا نظن أن أصلنا من العرب.

ثم دعانا إلى شراب في مقهاة المطار واحضر مع القهوة شيئاً من

الشطائر (الساندويش) وقال: لا تخشوا شيئاً، هذا حلال، لأن هذا العامل الذي ناولنا إياه هو مسلم والرجل المسئول عن الطعام في هذه المقهاة مسلم، وهذا العامل أيضاً وأشار إلى شخص كان يقف بعيداً هو مسلم.



في مطار رانقون قبل السفر إلى ماندلي بين الأخ سليمان سيدات والشيخ علي عيسى.

ثم أخذ يحدثنا حديثاً مفيداً عن أحوال المسلمين في هذه البلاد وهو من الأشخاص الذين يجمعون بين الذكاء وحسن التقدير وقد أخبرناه أننا قد قدمنا إلى هذه البلاد بصفة السياحة. ولكننا نرغب الإطلاع على أحوال المسلمين من شعورنا الإسلامي وبخاصة في مدينة (ماندلي) التي لم نكن قد حصلنا على عنوان احد من المسلمين فيها. وكنا رغبنا إلى الشيخ المفتي محمود في أن يساعدنا في ذلك، فوعد به ولكنه لم يرسله.

فقال الأخ سليمان: سأتصل حالما أصل إلى رانقون بأحد الإخوة النشطين في العمل الإسلامي هناك وأطلب منه أن يحضر إلى فندقكم،

ويعمل على اطلاعكم على المساجد والمدارس في (ماندلي) فشكرنا ذلك، وقد وفى إذ وعد.

وذهبنا لمكتب السياحة في المطار بعد أن فتح ابوابه قبل قيام الطائرة بساعة فاعطانا ورقة واحدة وقال: هذه تذكرة للإثنين. وهي ورقة معتادة ليس فيها مما يكون في التذاكر شيء.

وعند الدخول إلى قاعة المغادرة أخذها المسئول منا واعطى كل واحد بطاقة صعود إلى الطائرة معتادة إلا أنها خالية من الاسم أو من رقم الرحلة مثلاً أو من رقم المقعد، وإنما هي ورقة فيها البيان المطبوع المعتاد الذي يترك الحقول فيها فارغة حتى يملأها الموظف المختص وقال: هذه تكفي، ثم إنهم عند باب الطائرة تسلموها منا ولم يتركوا معنا في الطائرة أي شيء من التذاكر أو البطاقات. . .

وقد مررنا بتفيش سهل عند الدخول إلى القاعة وذلك أمر أصبح معتاداً في كل مطارات العالم حذراً من حمل أسلحة أو متفجرات إلى الطائرة. ودخلنا قاعة المغادرة الداخلية فوجدناها ليست قاعة وإنما هي رواق متسع مفتوح من جهة المطار عليه مقاعد خشبية مصبوغة ظننت أنها مكسوة بقماش فآلمني الجلوس عليها لأنها من خشب صلب مثل المقاعد الموجودة في قاعة الترحيل وهي مستطيلة على طراز قديم يوحي بالفقر أو التقشف مع أن البلاد غنية بمواردها المتعددة من النفط والأخشاب والأحجار الكريمة إضافة إلى الأرز والأخشاب بل ربما صح القول بأنها غنية بأكثر ما تفتقر إليه الدول في العادة إلا في الادارة الصحيحة.

وقد لاحظت في هذه القاعة شيئاً لا يكون في العادة إلا في البلدان الصحراوية أو الشبيهة بالصحراوية و(بورما) ليست منها وهووجودذبابات خشنة ملحة.

ولا شك في أنها لا تعدم ما تعيش عليه ومن ذلك على سبيل المثال الحمام القذر الموجود بقرب هذه القاعة.

وركبنا في الطائرة البورماوية وهي صغيرة ذات محركين مروحيين تتسع لأربعة وأربعين راكباً ما لبث الطيار أن حرك أحدهما قبل اكتمال ركوب الركاب وإغلاق الباب.

والركاب في الطائرة هم مجموعة من السياح اليابانيين من كبار السن وبعض الأوروبيين أو الأمريكيين ولم أر بينهم راكباً واحداً من أهل البلاد (بورما) وليس فيها من السمر غيرنا نحن الأثنين.

وليس في هذه الطائرة أي أوراق أو بيانات من التي تكون في جيوب المقاعد عادة في الطائرات في أنحاء العالم حتى الأوراق التي قد يضطر الراكب إلى استعمالها في حالة اصابته بالدوار غير موجودة. وإنما الإعلان الوحيد جاء من مكبر للصوت في الطائرة وهو مختصر عن مدة الطيران وارتفاع الطائرة وهو بالانكليزية فقط دون لغة أهل البلاد لأنه ليس في الطائرة من مواطنيها أحد من الركاب.

وتحركت الطائرة فأصبح لمحركها صوت مزعج لأننا في بلادنا قد بعد عهدنا بالطائرات ذات المراوح.

بدأت الطيران في الموعد المحدد وهو الواحدة والربع ظهراً. وعندما نهضت مباشرة صارت فوق ضواحي مدينة (رانقون) وكان أوضح المناظر في هذه الضواحي من المدينة منظر معبد بوذي ضخم واسع حول بيوت متطامنة قديمة ذات سقوف حائلة الألوان كئيبة المنظر.

ثم بحيرة صغيرة حولها احواض من الأرز الذي بذر حديثاً غارقة في المياه، وبقربها أحواض أرز أخرى خضراء لأنها مزروعة قبلها.

وهكذا يكون الأرز عندهم على أنواع في الزراعة بحيث يكون بعضه يحصد وبعضه يبذر غير أن هذا الوقت بالذات وهو الذي يسمونه فصل الصيف لأنه فصل الجفاف اكثر الأرز فيه حصيد بمعنى أنهم يتوقفون عن الزراعة قليلاً حتى يحين وقت الأمطار في شهر تموز (يوليو).

وليس معنى ذلك أن البلاد تشكو من شح في المياه ففيها الأنهار والبحيرات. بل وحتى المستنقعات التي أرى الآن تحنى من الطائرة بعضها وقد اخضرت مياهها من طول المكث وإن لـم تكن واسعة المساحة.

وفي ضاحية بعيدة من العاصمة رأيت خطاً ازفلتياً جيداً أحسن من طرق العاصمة التي رأيتها ولا أدري السبب.

ثم تكرر منظر الأراضي التي تبدو كأنها جافة وأكثرها ذات اعشاب هامدة تنتظر فصل الأمطار أو بقايا فصول من الأرز الحصيد.

وبعد قليل من الطيران. وبعد أن غابت العاصمة عن الانظار وارتفعت الأرض من تحتنا قليلاً أو قل: بدأت الطائرة تحلق فوق أراضٍ مرتفعة عنها صارت الأشجار في الأرض اكثر وصار لون التربة أحمر أو يميل إلى الذهبي كما هو لون الأراضي في المناطق الاستوائية المطيرة. مع أن هذه البلاد ليست من البلاد الاستوائية. وإن كانت من البلاد المطيرة.

وفي هذه الطائرة مضيفان والضيافة قطعة صغيرة من (الكيك) الذي هو الكعك اللدن وفنجان من القهوة أو الشاي. مع أن الرحلة طويلة والوقت وقت غداء، وأجرة الطائرة مثل المعدل العالمي للطيران الداخلي أو أغلى.

مرت الطائرة فوق بلدة صغيرة لا نعرف اسمها لأنه ليس لدينا أوراق توضح ذلك ولا حتى توجد مكتبات تبيع تلك الأوراق، وإنما كل

شيء لدى مكتب السياحة فيما قالوه لنا، وعندما ذهبنا إليه لم نجد عنده ما نبحث عنه.

ثم وصلت الطائرة إلى أرض جبلية ذات أشجار كثيرة ورأينا نهيراً صغيراً أو جدولاً كبيراً ينساب من هذه الجبال حيث تقع على مجراه بعد مسافة بعيدة قرية قليلة البيوت. وقد رأينا ما يدل على أن المنطقة خصبة من نيران موقدة بالحشائش يرتفع دخانها ليطاول قمم الجبال ولكنه يرتد خاسئاً وهو حسير.

وغالباً ما يكون إحراق الحشائش في الأراضي الخصبة بالنبات التي تلتف فيها الأعشاب الضارة والطفيليات من النبات فيحرق الزراع هذه الأعشاب والنباتات من أجل تهيئة الأرض للزرع. إلى جانب ما يتخلف عن حرقها من سماد ينفع الأرض.

فوق منطقة الجبال الوسطى:

أخذت الطائرة تطير فوق منطقة جبلية عالية ذكرتني بالمنطقة القريبة من جبال الهملايا من كشمير ونيبال، أو على الأدق تلك الجبال التي تقبل اقدام جبال الهملايا العملاقة وتركع أمامها.

وهذه الجبال نفسها في بورما ليست من الهملايا التي تبعد عنها بمسافة ستمائة كيلومتر وإنما هي مثل تلك.

فالهملايا العملاقة، بل أعتى جبال العالم لا تنتصب في فراغ (جبلي) وإنما هي تمتطي ظهور جبال أخرى ضعيفة لا تقدر مثلها على الارتفاع فتكون لها بمثابة الأعتاب للدرج أو للأبواب. وزاد المنظر شبهاً بالجبال القريبة من الهملايا أن بعضها هو بمثابة الأكوام وليس على هيئة سلاسل من الجبال المستطيلة وقد أعاد ذلك إلى ذاكرتي أيضاً منظراً بل

مناظر عالية في أماكن أخرى من العالم النائي عن هذه المنطقة وهي جبال الانديز في كل من تشيلي وبيرو والإكوادور من أمريكا الجنوبية. وقد ذكرت ذلك في الكتب التي ألفتها عن رحلاتي هناك ومنها «إلى أقصى الجنوب الأمريكي» و«على قمم جبال الأنديز» و«رحلات في امريكا الوسطى» وكلها مطبوع.

ومما لاحظته هنا وعجبت له أن كثيراً من هذه الجبال تكون جهاتها الشمالية الغربية عارية عن الأشجار بالنسبة إلى كثافتها في جهاتها الأخرى ولا أدري السبب في ذلك إلا أن يكون هبوب رياح بادرة جافة عليها في فصل الشتاء في تلك الجهة. أو أنها تكون واقفة، بحيث تجرف الأمطار التربة عنها فلا تنبت فيها الأشجار.

والعمارة من المساكن والزراعة في أعالي هذه الجبال البورماوية قليلة أو معدومة وإنما رأيتها في الأماكن المتسعة بينها.

في مطار هي هو:

لا بد أن يلاحظ العربي تطابق هذا الإسم (هي) بإسكان الياء (وهو) باسكان الواو الذين يدلان على ضمير المذكر والمؤنث فهذا هو اسم هذه البلدة التي لن ندخلها وإنما ستنزل في مطارها وهي فيما بلغنا ـ ذات أهمية سياحية لأن فيها آثاراً من المعابد البوذية القديمة. وأول ما لفت انتباهي إلى المدينة ليس اسمها وإنما هو موقعها فهي تقع في متسع من الأرض بين أكوام الجبال عندما رأيته من بعيد خيل إلي أنه المتسع الوحيد بين الجبال الصالح للسكنى والزراعة في تلك المنطقة.

وهو ذو تربة حمراء ذهبية جميلة ويفيض فيه نهر ثر المياه على جانبي مجراه تكونت بحيرة بل بحيرات متعددة ممتدة.

وكان منظرها بديعاً ولذلك جاءت يابانية تستأذن في الجلوس في مقعد خالٍ في جهتي هو المقعد الوحيد الخالي في الطائرة وذلك لأنها لا تستطيع مشاهدة المنظر بوضوح من الجهة اليسرى التي كانت فيها.

والمنظر يستحق ذلك لأنه منظر هذا المتسع الخصب الجميل تحيط به التربة الحمراء البهيجة بين الجبال العالية. ورأيت الطرق في هذه الأرض الخصبة ترابية حمراء لا أثر للزفت فيها مما جعل منظرها من الطائرة يبدو منسجماً في الروعة مع ما يحيط بها من جمال وجلال.

وقد كثرت الزراعة في سفوح الجبال التي كانت تتطامن بتدرج إلى أرض المتسع الخصيب.

ثم منظر غريب آخر وهو منظر تلال رمادية اللون بقربها قرى صغيرة، ذات بيوت متفرقة سقوفها من الصفيح الأبيض.

وقد أخذت الطائرة تضطرب لأنها تهم بالنزول من سماء التلال الجليلة. واتسع الوادي في المنظر وأصبح النهر أخضر الحواشي، وصارت البحيرة عدة بحيرات على ضفافه.

ووصلنا مطار بلدة (هي هو) في حوالي الثالثة وكان قيام الطائرة من رانقون في الواحدة والربع وإذاً استغرق الطيران الى (هي هو) ساعتين إلا ربعاً.

وهو مطار صغير كمطارات البلدان الصغيرة عندنا في الماضي وقد ذكرني بمطار سلمون في جنوب المحيط الهادىء لصغره وضيق مكتبه مع أن بورما دولة غنية بمواردها. ومدرجه مزفلت زفلتة رديئة. إلّا أن الهواء فيه عندما وصلنا إليه كان عليلاً قد خلا من الرطوبة التي يحس بها المرء في (رانقون) وإن كان هواء رانقون أكثر جفافاً وأقل رطوبة من الهواء في بانكوك. وترتفع مدينة (هي هو) أربعة آلاف قدم عن سطح البحر.

وجميع عمال المطار هنا يرتدون الزي الوطني الذي هو فوطة مشدودة تضرب إلى الكعبين فوقها قميص حتى الرجل الفني المختص بالكشف على محرك الطائرة كان يرتدي هذا الزي وليس عليه سروال.

وقد أسرع ركاب كانوا مستعدين في المطار إلى الصعود بالطائرة وهم مجموعة من السياح الذين يتكلمون الألمانية حتى امتلأت الطائرة بهم وركب رجل من البورماويين فيما يدل عليه مظهره ودليلة سياحية حكومية مرافقة للمجموعة السياحية الألمانية.

وأعلن مكبر الطائرة بالانكليزية دون الوطنية أن الطيران إلى مدينة (ماندلي) سيستغرق نصف ساعة. وإنه يمنع التدخين خلال تلك المدة. وذلك لأن المنطقة جبلية وقد أبقوا إشارة ربط الحزام في الطائرة مضاءة.

حديث سياحي:

جلست بجانبي الدليلة السياحية الحكومية التي كانت مرافقة للسياح الألمانيين ورأتني أكتب بالعربية فقال: أأنت عربي؟ قلت: نعم، من أين عرفت؟ قالت من الكتابة انني رأيتها على كتب ونقود قبل ذلك.

وسألتها بهذه المناسبة عن السياح من العرب أيأتون إلى هنا؟ فأجابت: إن ذلك قليل جداً.

فسألتها عن السبب فلم تعرف مع أنها مثقفة وقوية الشخصية ومطلعة اسمها (ايستهر) وتلبس الفوطة والقميص وهي كما نقول في الرابعة والأربعين لديها ثلاثة أولاد. وهنا تبادر في ذهني أنه ربما كان السبب عدم وجود ما يرغب بعضهم هنا مما هو موجود في تايلند فقلت لها: أيوجد في بلادكم ما يوجد في تايلند من الأشياء المبتذلة؟ فقالت بحزم واستنكار: أبداً، إن ذلك ممنوع، لقد سألني بعض الألمانيين الذين معي هذا اليوم عن

هذا الأمر فأخبرتهم بأن المرأة في (بورما) ليست للسائح، وكثيراً ما تكرر ذلك مع السياح الذين يقدمون إلى بلادنا من تايلند، والتايلنديون بوذيون ولكنهم لا يؤمنون بالبوذية ايماناً صحيحاً وإلا لما سمحموا بمثل هذه الأمور في بلادهم.

ومن الحديث معها تبين أنها متحمسة لوطنها إلى درجة التعصب وقد تمثل ذلك في جوابها على سؤال عن ديانتها فقال: إنها بوذية مثل الأكثرية. فقلت: كم نسبة البوذيين في البلاد؟ فأجابت بقوة، وتأكيد ٩٧٪ و٣٪ مسيحيون وأديان أخرى، ولما كان هذا مغالطة في الحقيقة لأنه ينكر نسبة المسلمين العددية سألتها: والمسلمون؟ عددهم؟ فسكتت ولم تستطع الاجابة. وإنما حادت عن الجواب بسؤالي عن الغرض من قدومنا إلى ماندلي؟ فقلت: إنه السياحة.

فقالت: إنكم تحتاجون إلى دليل أو مرشد. فقلت: إن معنا عنوان أحد أصدقائنا هناك. وسيساعدنا بسيارته على رؤ ية معالم المدينة.

في مطار ماندلي:

قبل الوصول بخمس دقائق كان مما يميز المنظر هنا منظر نهر يتلوى في أرض مزروعة إلا أن أكثر الحقول فيها هامدة لأنها مزارع أرز حصيد كما أخبرتني الدليلة وقالت: إننا الآن في فصل الصيف الجاف. ومنظر المعابد البوذية الكثيرة التي بعضها يبدو ضخم البناء، وواسع المساحة، قد غالوا في ترتيبه وتأنيقه وبخاصة أبوابه العالية الذهبية اللون رغم كوننا نراه من الجو، وهي كثيرة كثرة ملفتة للنظر.

أما طبيعة المنطقة التي فيها المدينة فإنها تبدو من الجو جميلة بقربها تلة جبلية خضراء، تتناثر فيها معابد بيض وشوارع المدينة مستقيمة. وهي في أرض اكثر خضرة من رانقون وأبهج منظراً، وحتى منازل القش أو البامبو

الكئيبة المنظر الموجودة بكثرة في ضواحي رانقون وما حولها موجودة هنا ولكن بقلة، ربما كان ذلك لقلة السكان نسبياً (فماندلي) يقدر سكانها بثلثمائة وثمانين ألف نسمة وإن كانت المدينتان تشتركان في كون كل واحدة منهما كانت عاصمة فرانقون هي العاصمة الحالية وهي حديثة لا يزيد عمرها على مائة وثمانين سنة و(مندلي) كانت عاصمة قـديمة لمملكة بورما وهي قديمة الإنشاء لذلك توجد فيها آثار عديدة من المعابد والمباني وغيرها.

والموظفة السياحية المسلمة:

هبطت الطائرة في مطار ماندلي وهو صغير رديء الزفلتة، ضيق المدارج، قليل الأبنية يقع في منطقة ريفية لا عمارة فيها إلا بمساكن خشبية كالأكواخ.

وانصرفت الدليلة البوذية إلى عملها مع الالمانيين الذين تخدمهم، ونزلنا نبحث من مكتب السياحة في المطار لأنه هو الذي سينقلنا إلى الفندق الذي حجزنا فيه في المدينة وهو فندق ماندلي، وذلك أمر مهم لنا لأن أخانا (سليمان سيدات) الذي قابلناه في مطار رانقون قد أبرق لأحد الإخوة من المسلمين أن يلتقي بنا في هذا الفندق ونريد أن يحجز لنا هذا المكتب السياحي في المطار فيه. لأن أهل رانقون كانوا قد اعتذروا بعدم وجود إمكان الاتصال به من هناك. وقالوا: إن مكتب السياحة في مطار مندلي سيتولى كل ما يتعلق بأمركم.

فرأينا في المكتب وهو صغير ضيق فتاة وحيدة مشرقة الوجه يتضح من وجهها أنها ليست من العنصر الذي منه سائر أهل البلاد لأنها ذات مظهر عربي. فلما رأت اسمي في الورقة محمد، قالت باهتمام: انتما مسلمان؟ فقلنا: نعم والحمد لله، فقالت: والناس يسمعون: وأنا مسلمة مثلكم. ثم

حجزت لنا في الفندق بالهاتف. وقالت اسمي (موميخان جان) وأبي اسمه (جان) ولكنه مسلم. وانطلقت تتقدم بعض الـركاب الـذين هم من الأجانب كما قدمت إلى حافلة صغيرة حكومية وصارت تحدث الجميع عن معالم البلدة ثم قالت إنها سترسل والدها إلينا في الفندق لأنه مسلم ولديه سيارة يمكنه أن يرينا المساجد ومعالم البلدة ثم نزلت عند بيتها قبل الوصول إلى الفندق.

وتبين بعد ذلك أن والدها اسمه (جان) وجان هنا: اسم موجود في بعض الأسر التي تنتمي إلى الهند وتركستان في الأصل من أهل الحرمين الشريفين كما أنها موجودة في أسماء الإندونيسيين. وقال الرجل كما قالت ابنته: إن أصلهم من العرب ولكن ذلك منذ عهد طويل، إلا أن الحق يقال أن مظهرهم شبيه بالمظهر العربي وان كان الرجل تغلب السمرة على لونه والبنت يغلب على لونها اللون العربي الأصيل وهو القمحي. ولكن حظ الرجل ليس جيداً معنا إذ سبقه إلينا الأخ المسلم الذي هاتفه سليمان سيدات من رانقون.

مدينة ماندلي:

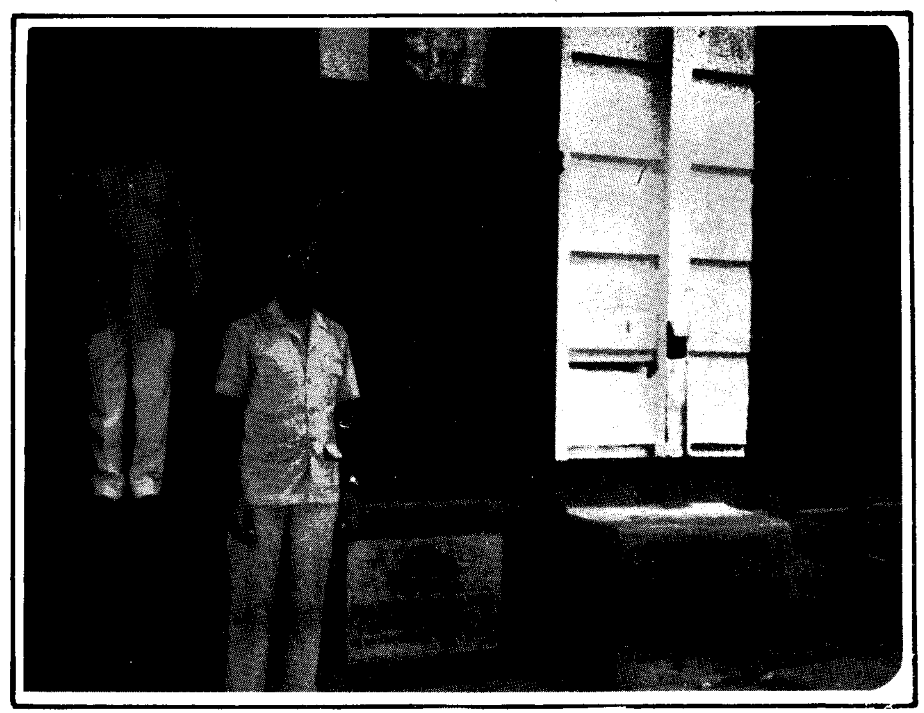
ماندلي مدينة أثرية قديمة وكانت عاصمة لمملكة بورماوية كان على رأسها ملك بورماوي قوي.

نزلنا في فندق (مندلي) وهو فندق سياحي في مستوى الدرجة الثانية رخيص الثمن إذ الغرفة فيه بثمانية عشر دولاراً وهذه إذا صرفت من السوق الحرة نقصت إلى سبعة دولارات إلا أنهم لا يقبلون في مثل هذه الحالة إلا بالعملة الصعبة إلا إذا أبرز السائح ما يثبت أنه صرف مبالغ كبيرة بالعملة المحلية.

ولم نكد نستقر في الفندق حتى حضر إلينـا الأخ (شمس الدين

شيناوي) وقال: **أنا** الذي هتف بي (**سليمان سيدات**) من **رانقون** وقد احضرت معي سيارة اجرة (تاكسي) **لأخ** مسلم وإذا بها سيارة جيب قديمة قال الأخ: شمس الدين إنها من زمن الحرب العالمية الثانية ولكن هكذا سيارات الأجرة في مدينتنا أغلبها من هذا النوع.

في مطعم مسلم صيني:



على باب المطعم الصيني في ماندلي.

وكانت أولى المحطات في هذه المدينة التاريخية القديمة الوصول إلى مطعم مسلم صيني وتناول طعام الغداء فيه الذي يصح أن يقال فيه: إنه عشاء لأنه بعد الرابعة.

والمطعم صاحبه مسلم صيني اسمه حاجي (محمد حسين) **ومطعمه** اسمه (مطعم بكين المسلم) أو بالانكليزية كما كتب عليه: (بيكنج مسلم رستورانت) وعليه لافتة واضحة باللغتين البورمية والانكليزية بمعنى واحد

وهو أنه يمنع شرب الخمور واحضارها منعاً باتاً إلى هذا المطعم. وتتوج البسملة الكاملة بكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم) اسمه المكتوب عليه، وليست بالأرقام كما اعتاد بعض المسلمين هنا على كتابتها بذلك.

وبهذه المناسبة مناسبة تحريم شرب الخمور أو احضارها للمطعم سألت الأخ (شمس الدين شيناوي) مرافقنا الكريم عن غير المسلمين أيأكلون في مطاعم المسلمين؟ فقال: إنهم يرتادونها كثيراً، وإن بعضهم يفضل الأكل فيها رغم كونها لا تقدم الخمر، وذلك لنظافة مآكلها ورخص بعضها.

وأهم ما يميزها أكثر أنه لا يقدم فيها لحم الخنزير وان جميع اللحوم فيها وبخاصة من البط والدجاج يكون مذبوحاً بأيدي المسلمين. وهذا أمر مهم هنا لأن أهل البلاد ليسوا من أهل الكتاب الذي تحل ذبيحتهم.



داخل مطعم بكين في ماندلي صاحب المطعم في أيمن الصورة فالشيخ علي عيسى فالأخ الشيناوي.

ورغم بعد العربية عن هذه المدينة البعيدة عن العاصمة (رانقون) فإن اللوحات واللافتات واللوحات المعلقة على جدرانه كلها بالعربية وهي لـوحات إسـلامية فـواحدة كتبت عليهـا سورة الفـاتحة وثـانية الآيـة الكريمة: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء، رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب» وثالثة «إنا أنزلناه في ليلة القدر» الخ السورة وهي تحيط بصورة للحرم المكي الشريف في قلبه الكعبة المعظمة.

وعندما حاولت تصوير لافتة المطعم ورأى طائفة من الأطفال المصوِّرة معي أخذوا يصيحون علي ويتوسلون بما لا أفهم حتى ناديت الأخ (شمس الدين) فأفهمني انهم يطلبون أن أصورهم وهم من سكان الحي وليسوا كلهم من أبناء المسلمين. وعندما برق نور المصورة في أعينهم جن جنونهم وطربوا حتى رقصوا فذكرت بذلك فعل بعض الأفارقة في محبتهم للتصوير وكذلك بعض سكان جبال الإنديز في امريكا الجنوبية.

وهذا يدل على عدم شيوع المصورات (الكاميرات) في هذه البلاد.

الأذان يصدح في الآذان:

وبينما كنا ننتظر الطعام كان الأذان يصدح في الآذان ويلج القلوب بدون استئذان من مكبر للصوت في هذا الشارع الهام من شوارع عاصمة بورما القديمة.

وحدثونا بما كنا سمعنا به فأبدوا القول وأعادوه عن مجد غابر كان للسلمين، وقوة مالية وتجارية كبيرة كان من أثرها أن شادوا المساجد وأقاموا المدارس واقترنت اسماؤهم بالمؤسسات التجارية المهمة.

ومن ذلك أن في مدينة (مندلي) وحدها على أقل الأقوال ثمانية وخمسين مسجداً مع أنها صغيرة بحيث لا يزيد سكانها على ثلثمائة وثمانين

ألف نسمة ونسبة البوذيين فيها ٨٤٪ والبقية مسلمون إلا قلة لا تكاد تذكر من المسيحيين.

وكان صوت المؤذن وهو يتردد في هذا الشارع الذي يعج بالحركة فيظهر عليها صوت المؤذن حتى ينفذ إلينا في داخل المطعم مشيراً إلى وجود مسجد قريب وقال الإخوة: إننا سنزور هذا المسجد بعد تناول الطعام.

المسجد السورتي:

كان الطعام الصيني بطبيعته شهياً، وسرورنا بتناوله في مطعم هذا الأخ المسلم جعله هنيئاً مريئاً.

وكان سرورنا مضاعفاً عندما انطلقنا إلى جامع ليس بالبعيد منه يسمى كما كتبوا ذلك عليه (سورتي سني مسجد) أي: المسجد السورتي لأهل السنة والسورتي: نسبة إلى سورت من بلاد الهند لأن الذين قاموا على بنائه هم من أهل تلك الجهة كما سبق في مثيله في رانقون. وكلمة (سني) نسبة إلى أهل السنة والجماعة له مدلوله أيضاً لأن هناك طائفة من الشيعة يكون لها مساجد وهناك طوائف منحرفة، كالقاديانية والإسماعيلية الأغا خانية الذين هم من الباطنية يكون لهم معابد قد يسمونها مساجد.

وقد وصلنا إلى المسجد والقوم ينصرفون من صلاة العصر لأنهم من الحنفية الذين يؤخرون صلاة العصر قليلاً بالنسبة إلينا نحن الذين اعتدنا على أن نصليها في أول وقتها.

فكانت رؤيتهم وهم يخرجون من المسجد بكثرة ومع بعضهم أولادهم الذين حضروا للصلاة في المسجد أو للدراسة في مدرسة إسلامية هناك ملحقة بالمسجد مما يبهج النفس لولا أننا رأينا بناءً في مؤخرة المسجد مؤلفاً من قبة مرتفعة تشبه المظلة ظننتها قد بنيت على بركة الوضوء كما كان يفعل بعض الأثرياء من أهل الهند الذين يبنون المساجد ولكنهم

أخبرونا أنها على قبر باني هذا المسجد واسمه (اسماعيل الملا) وأنه قد توفي بعد بناء المسجد بمدة طويلة كما أن قبره ليس من جهة القبلة بل ولا في المسجد نفسه، إنما في ساحته الشرقية المقابلة لجهة القبلة.

وقد التف علينا المصلون وأطفالهم الذين تركوا دراستهم بمعنى أنهم لم يذهبوا إليها احتفاء بهذه المناسبة التي لا تستغرب من فضول أهل بورما وكأنما جئنا إليهم من عالم آخر. والواقع أننا من عالم إقليمي آخر ولكننا أخوة لهم في الدين جئنا إلى هذا المسجد لنراه ونصلي فيه كما يصلون ولكن ندرة وصول الأجانب إليهم. وبخاصة من ذوي اللون العربي الذي لا يرونه يبعد كثيراً عن اللون الأوروبي.

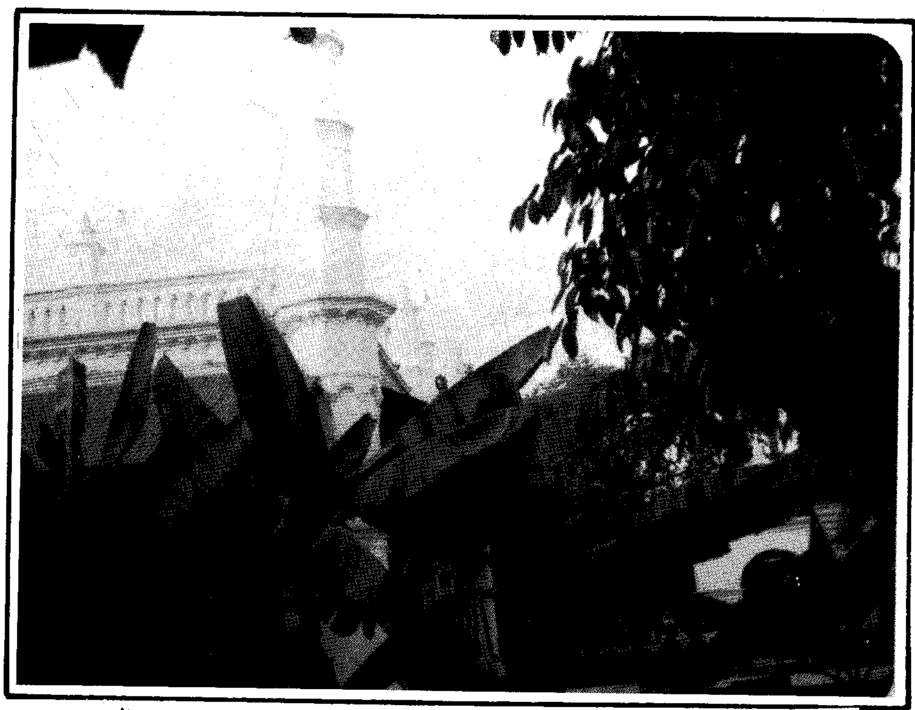
ولن أنسى حينما أردت الوضوء وكانوا يتوضؤ ن من بركة قد اجتمع فيها الماء يغترفون منها بأيديهم والبركة كبيرة ونازلة عن مستوى الأرض. ويدل مظهر بنائها على أنه لم يجدد منذ فترة، فكرهت أن أتوضأ منها وبحثت عن صنبور المياه الذي يصب فيها فأخذت أتوضأ ولكن القوم اقبلوا إلي يضحكون يظنون انني جاهل احتاج إلى تعليم وهم يشيرون إلى الماء ويغترفون بأيديهم من البركة يريدون أن أفعل فعلهم مع أن الماء موجود في الصنبور، وهو لم يستعمل ولم يركد مثل ماء البركة. وعندما لم استجب لعذل العاذلين في استعمال ماء الصنبور أسرع أحدهم وهو شيخ ابيض اللحية والثياب وأخذ يغرف بيديه من ماء البركة ويصب على يدي ورجلي ليريني كيف أفعل وأفسد ذلك علي ما قصدت من الوضوء من ماء الأنبوب مباشرة.

دخلنا المسجد فرأيته ذا محراب محلى باللون الذهبي كما هو اللون المختار في هذه البلاد التي رأيتهم في اعلاناتهم السياحية قد أطلقوا عليها اسم (بورما الذهبية).

وقابلنا إمام المسجد (اسماعيل بن يوسف) يعرف قليلاً من العربية تعلمه في الهند.

ومن لطيف ما رأيته في المسجد مكتبة عربية في رفوف محيطة بواجهة المسجد وهي كتب متنوعة بين العربية والأوردية، وليس فيها كتب بالبورماوية لغة البلاد لأن المسلمين بأكثريتهم هنا هم من أصل هندي.

ووجود المسجد قديم حدثونا أنه يرقى إلى اكثر من مائة سنة لكن عمارته الحالية القوية هذه كانت في عام/١٣٥٨ هـ كما هو مكتوب عليه وفرشه جيد وسقفه بالخشب لا بالاسمنت المسلح ولكنه مطلي بطلاء بهيج. وهو نظيف مكتمل المرافق تقوم عليه جمعية تنفق على صيانته مما تجمع من المسلمين ومن أوقاف موقوفة عليه. ورأيت فيه أواني مياه الشرب على هيئة القدور إلا أنها مرفوعة عن الأرض فوق رف بمقدار المتر ربما لكي ترتفع عن الأطفال.

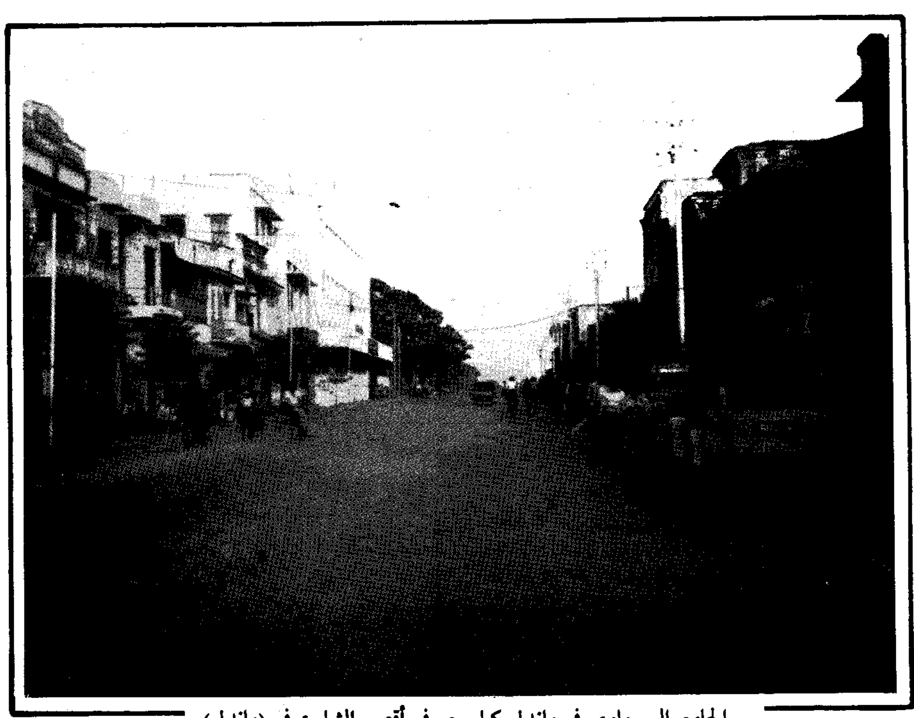


منارة المسجد السورتي في ماندلي حالت حديقته دون أخذ صورة كاملة له بسبب نقص الضوء

مفتاح العلوم:

على عادة الإخوة من أهل الهند وغيرهم من الذين يأخذون الأسماء العربية تقليداً وهم لا يعرفون معناها وجدناهم قد أسموا مدرسة ملحقة بالمسجد (مدرسة مفتاح العلوم) مع أنها بمثابة الكتاب، وان احد مدرسيها الذي يدرس اللغة العربية فيها لا يستطيع التحدث بالعربية. والسبب في ذلك هو عدم تمرسه بالحديث بها.

وهي في بناء جيد من طابقين ملاصق للمسجد ويقع في فنائه، تظلله أشجار باسقة كالتي في فناء المسجد والتي تشبه الحديقة. والأشجار التي غرست في هذه البلاد منذ مدة قديمة تلفت النظر بضخامتها ونضارة أوراقها وغصونها رغم ذلك.



الجامع البورماوي في ماندلي كما يرى في أقصى الشارع في (ماندلي).

وقالوا: إن المدرسة تضم مائة وخمسة من الطلاب ما بين ذكور وإناث.

وبينما كنت اتفقد المسجد وباحاته افتقدت رفيقي الشيخ علي عيسى وانتظرته عند السيارة فلم أجده فقيل لي: إنه في المسجد ووجدته قد عقد حلقة لبعض الطلبة الذين يحفظون القرآن الكريم يدرسهم القرآن ويختبرهم في التلاوة وقال: إنه انسجم معهم حينما رأى تحصيلهم في حفظ القرآن الكريم جيداً وحرصهم على المحافظة عليه.

تركنا هذا المسجد الجميل الجليل الواقع على شارع اسمه رقم (٨٤) ذلك لأن الشوارع في القسم الحديث من هذه المدينة مرقمة بالأرقام التي غدت أسماء لها. لأن أكثرها شوارع متقاطعة وعند تقاطع هذا الشارع مع شارع هام آخر أقاموا نصبا يشبه المنارة على البعد وهو في الحقيقة يشبه برج المعبد البوذي وبخاصة في أعلاه.

وبينما كنا نسير في شارع آخر متقاطع مع الشارع المذكور لمحت مسجداً في نهايته ابيض المنارة ظاهراً في هذا الشارع المهم، يرى على البعد كما يرى على القرب فالتقطت صورة للشارع من أعلى إلا أنه لم يظهر في الصورة كما كان يظهر في الرؤ ية لبعده وهو للمسلمين البورماويين بمعنى ان الذين قاموا على بنائه هم من البورماويين المسلمين الأصلاء وليسوا ممن أصولهم من الهند كالذين بنوا الجامع السورتي. ويسمى (توم بو مسجد).

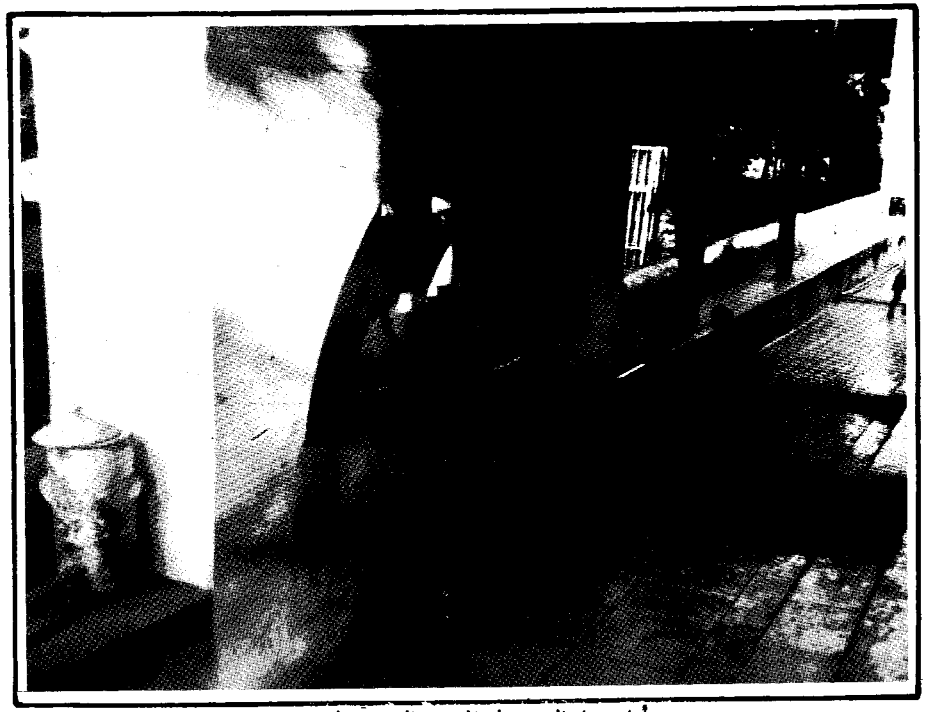
مسجد مياو تاون:

هذا مسجد بورماوي أيضاً، والنسبة هنا للتعريف لا للتمييز فالذين قاموا عليه هم من أهل بورما، الأصلاء، وهم في المذهب مثل القادمين من **الهند، ولذلك يصلي الجميع فيه والمسجد هذا بجانبه صومعة كبيرة وله منارتان اخريتان دقيقتان وقد كتبت على واجهته الشهادتان بخط نسخي جميل.**

ثم انطلقت سيارة الأجرة وهي من طراز جيب الذي قال عنه مرافقنا: انه من الحرب العالمية الثانية.

ولكن الجهات التي ننطلق فيها الآن من مدينة (ماندلي) هي جهات حديثة نوعاً وان تكن حداثتها نسبية فهي كلها قبل الاشتراكية التي توقف بناء المنازل عند ما حلت في البلاد فضلاً عن تخطيط المدن وتنظيمها، لأنه قد أصبح الهم الأكبر للقائمين عليها هو أن يثبتوا أنفسهم في الحكم وأن يردوا عنهم كيد من يريد أن يصدهم عن طريقهم.

والشوارع هنا اكثرها جيد الاستقامة غير أن الأرصفة لا توجد إلا في بعضها والزفلتة فيها جيدة أيضاً.



أواني مياه الشرب في المسجد السورتي في ماندلي.

وقد لاحظت في هذه المدينة وجود طائفة ذات ملامح مشتركة ما بين البنغاليين وبين البروماويين وهم ليسوا من المسلمين وقد قدموا في الأصل من الحدود المشتركة ما بين الهند وبورما وأهم ما يميزهم سواد البشرة بالنسبة إلى لون البورماويين الأصلاء الذي هو بياض مع صفرة في الحقيقة وليس بياضاً خالصاً.



مسجد مياو ثانٍ في ماندلي.

المسجد الصيني:

وللمسلمين من الصين هنا تميز واضح بين المسلمين فمطاعمهم شهيرة لكونها تقدم الوجبات الصينية من اللحم الحلال وأغلبهم يشتغلون بالتجارة.

وقد بنوا مسجداً خاصاً بهم بمعنى أنهم الذين انفقوا على بنائه واعطوه مظهراً رمزيا من مظاهر طراز الصين في البناء. وهو المسجد الصيني الوحيد في (ماندلي).

والسبب في هذا أنهم بنوه في حي يسكنه كثير من الصينيين مسلمين وغير مسلمين.

وأهم ما يميز هذا المسجد الصيني في المظهر قبة صينية ظاهرة يعلوها شاهد بمثابة المنارة ولكنهم لم يقتصروا عليها بل بنوا إلى جانبها منارتين عربيتين مستدقتين.

والمسجد أو المصلى الرئيسي مرفوع عن الأرض يصعد إليه بدرج وهو مفروش بالمشمع حول محرابه نقوش وتزيينات صينية باللون الذهبي وفوقه الشهادتان بخط عربي جيد والآية الكريمة ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾.

ووجود المسلمين الصينيين هنا قديم ربما يرقى إلى قرنين من الزمان.

وهذا المسجد بالذات كتب عليه تاريخه في لوحة عند مدخله باللغتين الصينية والبورماوية انه منذ مائة واحدى عشرة سنة مضت.



المسجد الصيني في ماندلي.

وقد التف علينا طائفة من ابناء الصينيين من مسلمين وغيرهم وكانت زيارتنا اشبه بالمظاهرة لأن سيارة الجيب التي معنا دخلت إلى نقطة عميقة في الحي الذي يسمى (تشاينيز مسلم كواتر) أي ركن المسلمين الصينيين وهو في حي كبير يسمى (مياوتان).

ويظهر على المسلمين هنا الشبه الكبير ما بينهم وبين التركستانيين فلعل بعضهم من هناك أو أنهم ممن اختلطوا بالتركستانيين.

وهذا المربع أو الركن من الحي معظم سكانه من المسلمين الصينيين.

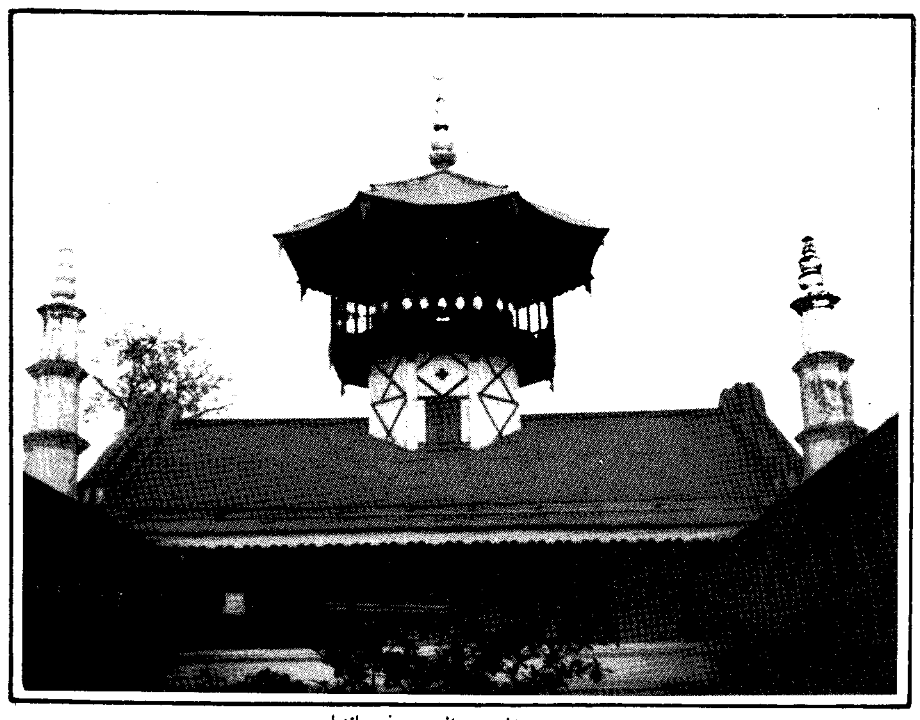
ومعظم البيوت فيه من الخشب، وبعضها من البامبو الذي هو نبات كالقصب إلا أنه قوي نوعاً ما ويرتفع عالياً. والغريب أن هذه البيوت تكون من طابقين ويتعبون في التأنق ببنائها وتزيينها مع أنها معرضة للحريق أكثر من غيرها بطبيعة الحال، وأنها تبلى بعد سنوات بسبب عوامل الجو ولا سيماتعاقب الرطوبة والجفاف.

ولكن السبب في كون معظم الأبنية هنا بالخشب والبامبو هو وفرة الأخشاب في البلاد، وكثرة نموها وغلاء المستورد من الاسمنت.

وقد حضر إلينا مع من حضروا وبدون سابق موعد رجل قال: إنه مدرس وقال: إنه يدرس في مدرسة اسلامية صغيرة ملحقة بالمسجد خاصة بأطفال المسلمين.

هذا وكنت أتحرك لأرى الحي والسيارة واقفة وجماهير الفضوليين من أطفال وكبار يتبعونني وهم ككرة الثلج التي كلما تدحرجت كبرت. وبعضهم يضحكون من أي شيء أفعله وبخاصة عندما أردت تصوير بيت قديم من البامبو المفتول البالي.

وقد ذكرني منظرهم وهم يتبعونني بل يحيطون بي وأنا أحمل المصورة (آلة التصوير) بيدي ما كنت أنا نفسي أفعله مع الأطفال والفضوليين من أهل بلدتي (بريدة) عندما كان يفد إليها - على ندرة - بعض البيض الذين كنا نسميهم النصارى ولا نفرق فيهم بين أوروبيين وأمريكيين وكان أكثرهم يحمل معه آلة التصوير. وكنا نرصد حركاتهم وسكناتهم ونضحك منها وأذكر هنا أنني لأول مرة في حياتي رأيت منديل القماش مع أحد البيض هؤلاء يخرجه الرجل من جيبه لينظف أنفه فكان هذا مدعاة لتندرنا ولتناقل هذا الأمر فلم يكن الناس في بلادنا في ذلك الحين يعرفون المناديل التي ينظف بها المرء أنفه، بل كانت الأرض والحيطان هي المناديل الكبيرة.



منارات المسجد الصيني في ماندلي.

ولم أكن أتصور أن الأمور ستمضي بنا إلى الحد الذي نصل فيه في النظافة وفي استعمال أدواتها في بيوتنا مثلما وصل إليه الأوروبيون

والأمريكيون وإلى الحد الذي نخرج فيه سياحاً مستطلعين إلى البلدان البعيدة الغريبة فيأتي أهلها يتفرجون برؤيتنا، ويرصدون حركاتنا كما كنا نفعل مع الأجانب البيض من قبل. بل ربما كانوا يسخرون منا كما كنا نسخر من أولئك الأغراب و (كما تدين تدان).

دار أيتام المسلمين:

لم يبق على غروب الشمس إلا القليل ولذلك أسرعنا لزيارة مكانين مهمين قبل غروب الشمس أحدهما بجانب الآخر وهو ملجأ للأيتام من أبناء المسلمين قام عليه أهل الخير في البلاد من المسلمين الذين أصلهم من الهند. وهم من أنشط المسلمين في المهاجر للعمل لدينهم. وقد رأيت ذلك واضحاً في مهاجرهم البعيدة في البحر الكاريبي وامريكا الجنوبية كما في (غيانا) التي كانت تسمى غيانا البريطانية، وفي افريقية وحتى في جزر المحيط الهادىء مثل جزر فيجي ونيوزلندا.

وفي الملجأ ما يزيد قليلاً على مائة يتيم كما أخبرونا وقالوا: إن الانفاق على الملجأ تتولاه جمعية تسعى في جمع التبرعات من المسلمين وانفاقها عليهم.

المدرسة العربية القاسمية:

والثاني هو المدرسة العربية القاسمية رأينا اسمها مكتوباً عليها بالعربية (مدرسة عربية قاسمية). وقالوا: إنها أسست قبل إحدى وسبعين سنة وقد تجمهروا حولنا اكثر مما فعله أهل الحارة الصينية لأن سكان هذه المنطقة، من ذوي الأصل الهندي وهم ـ بطبيعتهم ـ أكثر فضولاً من الصينيين.



أمام مدخل المدرسة القاسمية في ماندلي.

وقابلنا في المدرسة الشيخ (محمد سعد) مدرس العربية فيها يتكلم شيئاً من العربية بصعوبة.

وبجانب المدرسة منارة ضخمة لمسجد تابع لها ومنارتان اخريتان عاليتان منعني عدم وفرة الضوء اللازم من تصويرهما.

وتحيط بالمدرسة العربية القاسمية وملجأ الأيتام أماكن كلها للمسلمين من بيوت اسمنتية برتقالية الطلاء ومن أماكن عامة. وفيها اشجار عالية من أشجار الظل منها شجرة من العمبة (المانقو) سامقة ضخمة.

وقد اختلطت هذه البيوت الاسمنتية القوية بالبيوت الوطنية التقليدية التي هي من الخشب وأعواد البامبو المشقوقة التي تشق وتضفر كما يضفر الخوص الذي تعمل منه الحصر ولهم في صنعتها أمر عجب.

ولا يقتصر استعمال البامبو في البيوت على اتخاذ الغرف والمنازل منها بل أنهم يجعلون أسوار الأحواش اي: الأفنية الخارجية للبيوت منه مع أنها ليست قوية بل يمكن للرجل القوي أن يدفعها أو حتى يكفي لمن يريد بها الضرر أن يشعل في طرف منها ثقاباً يأتي عليها وعلى البيت المجاور لها، ولكنها في الحقيقة رمزية للستر عن العيون، ولتحديد أرض البيت لأن البلاد آمنة كما أخبرنا إخواننا المسلمون فيها.

بل قالوا: إن بورما هي من أكثر بلدان المنطقة أمناً لأن الشعب البورماوي الأصيل الذي يؤلف الأغلبية من السكان ويدين بالديانة البوذية من الشعوب المسالمة المحبة للغريب. كان هذا هو الأمر إلى ما قبل عشرين سنة عندما ظهرت النزعة الوطنية التي تنادي بأن تكون ثروات البلاد بأيدي المواطنين وأصبح ذلك دعاية ضد من يسمونهم الأجانب المستغلين. ولكن أهل البلاد لم تكن لديهم الخبرة الكافية في إدارة الأعمال كما أنهم بتحصيل الأموال لبسوا كالأجانب مما جعل الحكام المتعصبين الحاليين يسرعون إلى الاشتراكية يتخذون منها ستاراً لنزع أموال ذوي الأموال، وتقييد حريات الذين يحسنون إدارة الأعمال وكسب الأموال.

وهو أمر تضرر منه هؤلاء ولم يستفد منه أولئك المواطنون البورماويون الأصلاء كما تسمعهم بذلك يعترفون، غير أنهم إن فإتهم الغنم من هذا الأمر فإنه لم يفتهم التشفي من أولئك الأجانب الذين أثروا في بلادهم مما يزعمون أنه من أزوادهم، أو حتى من أزواد أولادهم.

وعندما كنا نغادر المكان وأفواج المتطفلين يتبعوننا حتى النساء اللاتي اكثرهن من المسلمات كن يتطلعن إلى هؤلاء الغرباء رأيت نخلة مجاورة في هذه البلاد الغريبة البعيدة عن النخيل وأرض النخيل وإنما الذي ينبت فيها

بكثرة مما يشبه النخيل هي أشجار النارجيل التي تشبه على البعد نخلة التمر العربية لولا أنها انحف عوداً وأرشق قواماً.

ويوجد هنا بقلة شجر التار وفيه شبه من النخيل العربية غير أنه أبعد عنها في الشبه من النارجيل وإنما يقرب مما يسمى بنخل الزينة أو النخل الهندي.

وسألت أحد سكان الحي من المسلمين عن هذه النخلة التي يبدو في فرعها بعض التمر فقال: إنها نخلة حقيقية ولكن تمرها ليس لذيذاً. وربما كان السبب في ذلك أنهم لا يلقحونه أو أن الجو غير مناسب لها.

التمشية على الخندق:

عدنا إلى الفندق وصرفنا الأخ الكريم المرافق (شمس الدين) ومعه سائق سيارة الأجرة المسلم الذي نقدناه أجرة سيارته كما طلبها للساعة ثلاثون تشاتاً مع أنها في رانقون خمسة وعشرون لسيارة أفضل من سيارته. وربما نقصت عند المماكسة (المفاصلة) إلى عشرين وبعد صلاة المغرب والعشاء جمعاً خرجنا في تمشية على الأقدام فيما قرب من فندق ماندلي الذي نسكنه ويقع على شارع تحف به ترعة عظيمة هي في الحقيقة كانت خندقاً يحيط بقلعة كبيرة، ربما يأتي الحديث عنها غداً عند زيارتها.

وبعد الخندق يرى المرء سوراً محكماً يشبه أسوار المباني في القصور والمساجد الهندية في العهد المغولي.

وكانت المشكلة عند الخروج من باب الفندق إذ اجتمع علينا طائفة من الفضوليين وبعضهم من المنتفعين وأخذوا يوجهون السؤال المباشر إلي أين تذهبون؟ ويلحون في ذلك فنهرتهم عن ذلك نهراً شديداً، لم ير رفيقي الشيخ علي حاجة إليه ولكني لا أطيق التطفل بهذه الطريقة وتبين أن بعضهم اصحاب سيارات أجرة، وبعضهم ممن يتاجرون في العملة في

السوق الحرة. وبعضهم يريد أن يدل السائح إلى ما قد يتطلع إليه مما يظهره الليل وقد اخفاه النهار هكذا فهمنا من حالهم وهكذا قالوا إنهم يريدون أن يوصلونا ألى ما نريد.

وكانت التمشية على رصيف الشارع الجميل الممتد ما بين الترعة أو الخندق شمالاً وقسم حديث غير متراص المباني شرقاً.

وبخاصة عندما اخفانا الظلام عن عيون الطفيليين المنتفعين ولكن التطـفيل جاء من نوع آخر من حشرات صغيرة لاذعة تريد أن تشبع قرمها إلى دم آدمي غريب كما يريد أولئك المتطفلون أن يطفئوا ظمأهم إلى المال من مال سائح أجنبي غريب. وقد حرمنا ذلك من مواصلة المسير في ذلك الجو المعتدل الذي هو كجو الربيع غاب نحسه إذ غابت شمسه كما قال الأدباء الأقدمون.

فعدنا ولكن من الجانب الآخر فكان التطفل هذه المرة من صوت نسائي يتصنع الرقة وما هو برقيق. ويظهر الصداقة وما هو بصديق. وعندما تفحصناه وجدناه من عجوز شهربة. ترضى من اللحم بعظم الرقبة، كما يقول الرجز العربي الجاهلي. وقد رفعت عن رأسها قبعة من الخوص كانت قد اخفت معالمه، وإن لم تكن لها بذلك من حاجة غير ذلك لأن الشمس قد غابت ولا مطر، وقالت: أنا صديقتكم أنا مستعدة لكي أُيَسِّر لكم ما تريدون.

فغلبني حب الاستطلاع لأسألها مثل ماذا؟ فقالت: مثل الموجود في أسواق الليـل أو (نايت ماركت) على حد لفظها بالانكليزية.

فقلت لها: إنك تتحدثين الانكليزية بطلاقة فمن أين لك هذا؟ فأجابت: إنها مدرسة وإنها قد طلقت التدريس لكي تصبح صديقة للسياح.

فقلنا لها: بئس ما اخترت وبئس ما يختار من يختارك صديقة، فهي

في الحقيقة. قد جاوزت الأربعين، وربما كانت مصابة بمرض أو أمراض لأن صوتها يبدو كالأنين الحزين.

وتمنيت لو كانت الدليلة السياحية التي حدثتني عن باطن الحياة البورماوية. لكن تسمع هذه العاهر. وهي تقول: إنكم تجدون كل شيء في (نايت ماركت). ولا شك في أنها ستخفي الأمر الحقيق بالتعليق كما أخفت في تعداد أهل البلاد وجود المسلمين.

يوم الأحد: ٢/ ٦/ ١٤٠٤ هـ ٤/ ٣/ ١٩٨٤ م:

قررنا أن يكون أول هذا الصباح للسياحة التي تتضمن رؤية معالم البلاد السياحية غير الإسلامية على أن نستأنف الجولة على المساجد والمؤسسات الإسلامية بعد ذلك.

وهكذا استأجرنا سيارة أجرة (جيب) أيضاً بثلاثين (تشاتا) في الساعة وقال سائقها وهو شيخ في حدود الستين اسمه (جان): إن ابني هو الذي يشرح لكم ما تريدون لأنه دليل سياحي بالفعل.

وانطلق بسيارة الجيب المخصصة للسير في الأماكن الوعرة مع شوارع مهملة وكان ما يميز الجو في هذا الصباح الباكر هو البرد الظاهر بالنسبة إلى ما كان عليه ظهر أمس مع أنه ليس حاراً فهو افضل من الجو في رانقون. لأن (مندلي) شمالية وهي أيضاً مرتفعة عن سطح البحر.

وكان الشيء الذي يلفت النظر بشكل متكرر هو أن جميع الناس من ذكور واناث وكبار وصغار يرتدون الفوط يلفونها على أوساطهم بشدة وعلامة التأنق في اللباس أن يكون الشد أقوى فترى الشابات من النساء والشبان من الرجال يشدونها بقوة بحيث تكاد تكون المرأة وهي تمشي منها في قيد لأن الفوطة تكون إلى شدها بقوة طويلة تصل إلى الكعبين.

كما يلفت النظر في هذه الساعة التي يذهب فيها كثير من الناس إلى اعمالهم وهي السابعة والنصف كثرة عربات الركشا التي هي دراجات تسير بالمحرك ووجود عربات الركشا التي هي دراجات هوائية معتادة لكن لها ثلاث عجلات إحداها أمامية واثنتان خلفيتان فوقهما كرسي يتسع لراكبين اثنين. وهناك نوع شائع من هذه وهو ذو العجلتين فقط كالدراجة الهوائية المعتادة وبجانب السائق كرسي واحد له جهتان يركب فيه شخصان أحدهما مستند إلى الآخر.

أما سيارات الأجرة الصغيرة المعتادة في بلادنا فغير موجودة.

وأما حافلات نقل الركاب فإنها موجودة بقلة وأكثرها غير كبير. وإنما الموجود الذي يستعمله الناس هو نوع من سيارات الشحن الصغيرة يركبون في ظهره وهي رخيصة وشائعة.

وهذا كله إضافة إلى الدراجات المعتادة الخاصة التي يركبها اصحابها ولا يؤجرونها. وكان هذا الشارع الذي نسلكه الآن من الشوارع التي أسماؤ ها بالأرقام وهي الشوارع المستقيمة هو جيد في جانبيه رصيف لا بأس به يحيط به قليل من العشب. ولكن وجود الأشجار العالية على جوانب الشوارع القديمة، أو في أفنية البيوت هو الشائع هنا نظراً لخصوبة المنطقة وقرب مستوى الماء في أرضها بحيث لا تحتاج اكثر هذه الأشجار إلى سقي وإنما تشرب من الأرض أو لنقل كما قال بعض الظرفاء: (انها تتغذى على ضرع الأرض) وهذا كله بسبب تغذيتها من ضرع السماء التي كثيراً ما يكون ضرعها في غير هذا الفصل من السنة سخياً كثير الغذاء.

في حي كوازان:

وصل بنا السائق حياً (شعبياً) جمع البيوت فيه من الخشب القديم أو من البامبو المضفور مع كثرة الأشجار العالية فيه التي يبدو وكأنه منها في

حديقة عامة كبيرة.

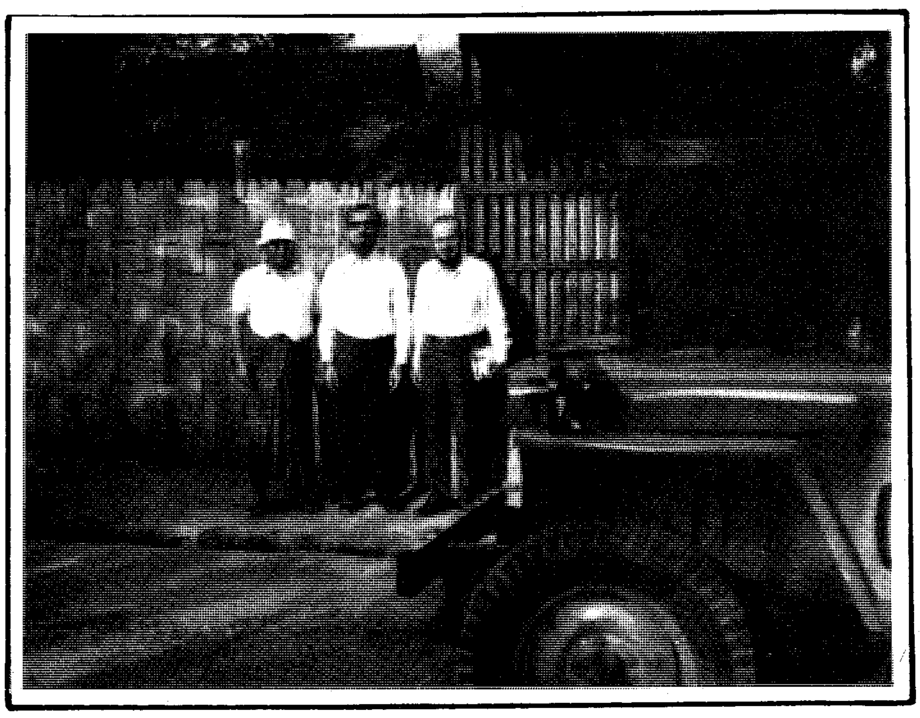
ومع ذلك فإن حالته العامة سيئة، فشوارعه ترابية غير مزفلتة ومجاري مياه الفضلات تسير في قنوات مكشوفة فيه وبعضها يبدو راكداً، أو كالراكد ويـزيد قبحها إذا شاهدها المرء مكشوفة خارجة من البيوت لتصب في قناة قذرة. اضافة إلى وجود اعداد من كلاب الهمل أو الكلاب الضالة كما يعبر عن ذلك بعض عوام الكتاب. والأهالي مظهرهم مظهر العوز سواء في أبدانهم أو ثيابهم. ومع ذلك فإنك ترى الفتيات فيه وهن قد تزين - على حد زعمهن - بالزينة الشائعة في بورما وهي مسحـوق أبيض بياضاً غير ناصع مما يسمى (بالبودرة) يضعنه على وجوههن فلايمتصه الجسم وإنما يبقى فوق الوجه كأنه الرماد الأبيض أو الطحين غير النقي، أو قل: كأنه رمال شاطيء البحر.

والتزين بهذا المسحوق شائع في كل انحاء المدينة بل أنحاء البلاد ولقد رأيته فعجبت منه أول الأمر في رانقون وظننته دواء لبعضهن حتى رأيته على وجوه أكثرهن يكاد يخفي الوجه وهو في الحقيقة يشينه ولا يزينه ولكنه الزينة الوحيدة المتيسرة هنا.

والمرأة إذا حرمت من الزينة الحقيقية تزينت بأي شيء تعتقد أن فيه شيئاً من ذلك هذه هي طبيعة المرأة ولكن عدم وجود الزينة في بورمـا جعل بعضهن يبقين على وجوههن عاطلات غير حاليات فيصح أن يقال في الجميلات منهن: أنهن غانيات لأن الغانية في أصل التسمية في الفصحى هي التي غنيت بجمالها الطبيعي عن التزين أو التحلي.

ووقف السائق عند باب مفتوح في سور من البامبو وكأنه الحصير من القش الصقيل وقال وهو يشير إلى البيت: هذا هو بيت ابني ثم نادى امرأة عجوزاً كانت في المدخل فنادت له ابنه وهو شاب نشيط يتقن

الانكليزية ولا شك في أنه بالفعل دليل سياحي متمرس.



عند بيت سائق سيارة الأجرة في ماندلي المؤلف في الوسط على يمينه السائق وعلى يساره الشيخ علي عيسى.

وعندما كنت أهم بأخذ صورة للسيارة التي استأجرناها وللسائق معنا أسرع الابن ينادي امرأة من الداخل فجاءت شابة بورمية أصيلة من ذوات المظهر ما بين الملايوي والصيني اللاتي يتميزن باستدارة الوجه وضيق العينين، وارتفاع الوجنتين.

وقال: ها هي زوجتي أتريدون أن تأخذوا لها صورة معكم أو منفردة فاعتذرت له بعدم كفاية الباقي من شريط (المصورة) بعد أن التقطنا صورة لمدخل البيت.

المعبد البوذي الكبير:

قال الدليل الابن ووالده يوقف السيارة وكان يقودها الأب بنفسه: هذا هو المعبد الكبير في هذه المدينة إنه (مها منى باقودا) ومها منى

تعني الكبير وباقودا تعني المعبد البوذي وأصلها يعني (بوذا) بلغة (بالي) وهي اللغة البوذية القديمة وقد أصبح اسم (باقودا) خاصاً بالمعبد البوذي كما صارت كلمة كنيسة تعني معبد النصارى ومسجد تعني مكان العبادة للمسلمين وقال: إن هذا اعظم معبد مشهور في (بورما) كلها.

أول ما فعل السائق أن خلع نعليه ولم يكن عليه جوارب فأصبح حافياً مثله في ذلك مثل كل الناس الموجودين في منطقة هذا المعبد الكبير سواء أكانوا في المعبد نفسه أم في محلات البيع والشراء الملحقة به.

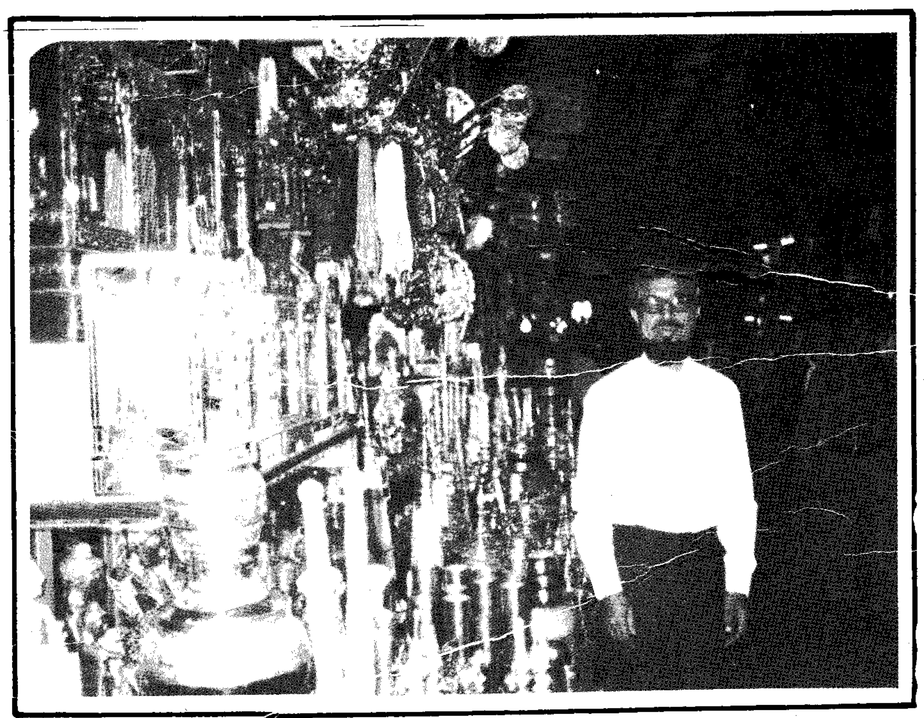
فالحفاء في الديانـة البوذية أمر مهم وهو مظهر من مظاهر التعبد القديمة حتى إن بعضهم يترك لبس النعال تدينا وتعبداً. وليس المراد من خلع الأحذية في هذا المعبد وأمثاله مجرد المحافظة على نظافة المكان كما يفعل من يدخل المسجد عندنا، لأننا لم نمر بمكان مفروش وليس في هذا المعبد مكان منفصل يحافظ على نظافته من أن تلوثها الأحذية.

ودخلنا مع ممرات واسعة مبنية على طراز قديم ولكنها محاطة بحوانيت البيع والشراء وهي طويلة. أو قل إن الممر الذي تقع فيه هو طويل والحوانيت متصلة والناس يشترون من هذه الحوانيت وكأنهم في سوق عام للبيع والشراء.

ولا مظهر من مظاهر العبادة فيه إلا صوت وعظ من المكبر عرفت ذلك عندما وصلت إلى قاعة في المعبد ورأيت المتكلم راهباً من الرهبان البوذيين.

وأكثر ما في هذه السوق بل الأسواق الملحقة بالمعبد ملون باللون الذهبي أي: مطلي بطلاء الذهـب الذي هو الطلاء التقليدي للمعابد المزخرفة وكذلك لتماثيل (بوذا). وهي تبيع أشياء دينية أو لها علاقة بالديانة البوذية مثل تماثيل معبودهم (بوذا) في أوضاع مختلفة وفي مراحل متعددة من

مراحل حياة من كونه شاباً إلى تمثاله بعدما صار كهلاً ذا بطن بارز إضافة إلى أدوات التعبد مثل السبح ـ جمع سبحة ـ وهو التي تنتظم الخرز، وبعضها لا يكاد يختلف عن السبح التي تتخذها المتصوفة أو من يقلدونهم عندنا إلا بكثرة عدد الخرز فيها.



المؤلف داخل السوق الذي التذكارات والتحف في داخل المعبد البوذي الكبير في ماندلي.

وكذلك أشياء كثيرة من الخشب المخروط والمنقوش مما يرمز أكثره إلى رمز ديني في ديانتهم البوذية وصناديق صغيرة بمثابة نماذج لبعض الأشياء او المخلفات الدينية ومحاريب صغيرة (نماذج) بمثابة التحف، وأواني أطعمة الرهبان في المعابد. وامشاط متعددة كلها ذات لون ذهبي. ومصابيح قديمة وزهور مختلفة.

وقد أخبرني الدليل أن الحوانيت (الدكاكين) التي في مدخل المعبد يزيد عددها على مائتي حانوت.

يسجدون لغير الله:

وصلنا المعبد الرئيسي فرأينا الراهب الذي كنا قد سمعنا صوته في المكبر وهو يلقي موعظته وطائفة من الناس أمامه عددهم قليل بالنسبة إلى ضخامة المعبد وكون اليوم هو الأحد يوم العطلة الاسبوعية. وفي صدر القاعـة تمثال ضخم لبوذا ذو لون ذهبي وكان أحد الرهبان يخدم التمثال بالصاق رقائق ذهبية اي: ذات لون ذهبي على التمثال فوجدت أن حجم الرجل يكاد يعادل حجم يد هذا التمثال. وقال الدليل: إن على هذا التمثال طبقة من الذهب تعادل سبع بوصات كذا قال. ورأيت الناس أول ما يدخلون إلى هذه القاعـة وهـم يحملون زهوراً بأيديهم يومئون بهذه الزهور أو بأيديهم لتي تحملها أمام التمثال ثم يطبق الواحد منهم يديه إحداهما على الآخر بينهما الزهور ثم يضعها على الأرض وهو ينحني كمن يريد أن يسجد على الأرض ولكنه لا يفعل ذلك وإنما يسجد على يديه سجوداً يشبه سجود الصلاة لولا أنه يكون على الكفين.

ولا يطول هذا السجود بل إنه لا يكاد يستغرق ربع الدقيقة.

وأخبرني الدليل أن الذي يأتي لمجرد التعبد في المعبد وهو حضور الموعظة فإنه يسجد سجدة واحدة. أما الذي يأتي بدافع أن تتحقق له رغبة خاصة كما يريد الداعي بشيء أن يستجاب دعاؤه فإنه يسجد ثلاث سجدات.

ولم نطل البقاء أمام هذا الوثن الذي يعبدونه وهم الذين اقاموه كما قال تعالى: «أتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وما تعملون» فخرجنا نتجول في هذا البناء الضخم الواسع القديم الذي يستحق الزيارة لهذا السبب وليس لكونه معبداً فذلك قد تكفي عنه زيارة معبد بوذي آخر.

ويكفي أن تعلم أن ما سماه الدليل (برج الساعة) يعادل ارتفاع

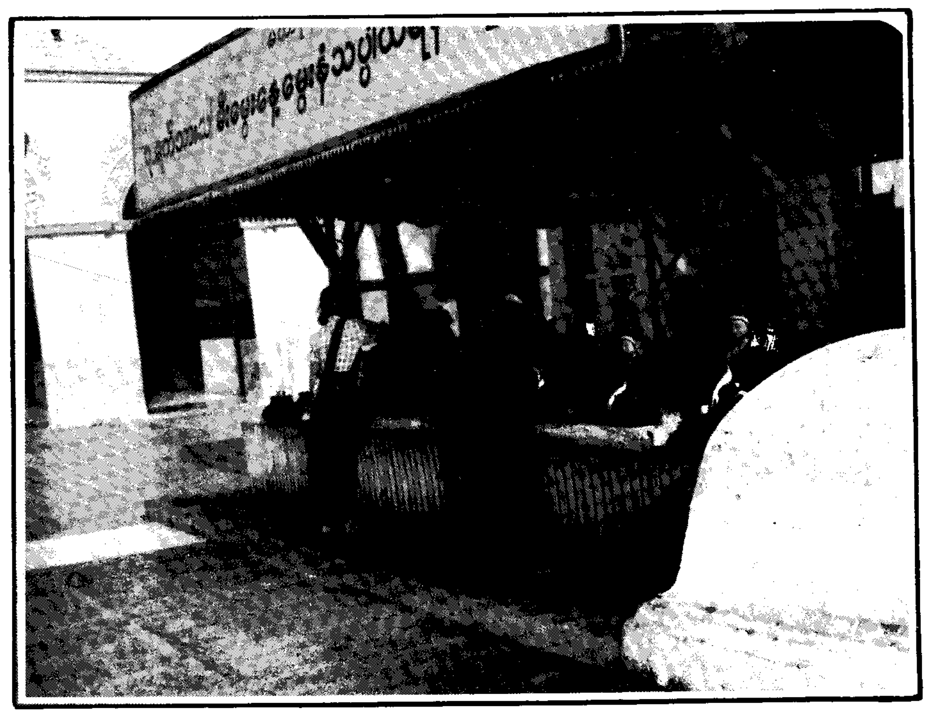
منارة كاملة، أو برجاً من الأبراج الدقيقة في إحدى القلاع.

وهو في الحقيقة ليس برجاً للساعة كما أسماه الدليل. وإنما هو برج لطيل ضخم يعرفون الساعة أو الوقت بالضرب عليه. لأن صوته من ذلك الارتفاع ينطلق بعيداً في الفضاء وحتى الآن لا يزال الطبل الضخم موجوداً في أعلاه. ولكنني لا أدري ما إذا كانوا يضربونه الآن أم لا.

الخرافات البوذية:

ليس هذا المكان من الكتاب مكان ذكر الديانة البوذية. وبطلان عقيدتها وبخاصة عبادة الأوثان فيها وهي تماثيل (بوذا) على الأكثر وبيان أنها مع أنها دين وثني هي اقل وثنية من الهندوكية التي يعتنقها أكثر أهل الهند في الوقت الحاضر ولا يعتنق البوذية في الهند إلا عدد قليل بالنسبة إلى المتدينين بالأديان الأخرى مع كون البوذية نشأت في الهند ومنها انتقلت إلى عدة أقطار في جنوبي آسية الشرقي والهند الصينية بل الصين نفسها. فالحديث عن ذلك يطول وليس محله هذه المذكرات اليومية السريعة التي تعتمد على المشاهدات والملاحظات العاجلة.

وإنما أذكر هنا ما رأيته من خرافات بوذية يفعلها الناس عند هذا المعبد. فمن ذلك انهم قد وضعوا عدة تماثيل صغيرة لبوذا على مكان مرتفع وبجانبها أوان فيها ماء وقد رأيت الناس يغترفون بإناء صغير من هذه الأواني التي تشبه القدور من الماء ويصبونه على تماثيل بوذا هذه. وقال الدليل: إنهم يفعلون هذا دفعاً للخوف والرعب. وإن من يشعر بالخوف أو بعدم الإطمئنان منهم ما عليه إلا أن يأخذ من هذا الماء فيصبه على هذه التماثيل فيزايله خوفه.



تماثيل بوذا في المعبد الكبير في ماندلي والمتعبدون يصبون عليها الماء.

ولما كان الدليل نفسه بوذياً ابن بوذي فقد سألته عما إذا كان يعتقد بصحة ذلك؟ فأجاب بالايجاب.

وخرافة ثانية أرانيها الدليل في مكان آخر من هذا المعبد الواسع وهي تماثيل حديدية أو نحاسية صدئة لرجل وأسد وفيل، أما تمثال الرجل فله خاصية إزالة الوجع وشفاء المرض قال الدليل: إن الشخص الذي يشكو من عينه عليه أن يلمس عين هذا التمثال فيزول ما يحس بها من ألم وإذا كان يشكو من بطنه فما عليه إلا أن يمس بطن هذا التمثال فيذهب ما يحس به من مرض في بطنه.

ولقد رأيت أثر المس الكثير في هذا التمثال الذي يكاد يتسخ بل اتسخ من مس الأيدي على مر السنين.

قال: وأما الأسد فإنه فيه خاصية الشجاعة فمن كانت تنقصه الشجاعة ومس تمثال هذا الأسد فإن جبنه أو عدم شجاعته يزول، وينقلب ذلك إلى شجاعة. والفيل معروف أنه للقوة فهو يمنح القوة لمن يمسه بهذه النية.

وكان الدليل يقول ذلك وهو كالمقرر له بمعنى أنه لا يستحيي ولا يستخفي مما يقوله.

أما أنا فقد حمدت الله سبحانه وتعالى وشكرته على نعمتي العقل والدين.

ثم أرانا الدليل مكتبة فيها خزائن أنيقة تعج بالكتب وقال: هذه كتب دينية قديمة بلغة (بالي) البوذية القديمة التي لا يعرفها الناس في الوقت الحاضر، قلت له: على هذا لا يستفيد منها الناس فأجاب: نعم، لا يعرف تلك اللغة إلا من تعلمها تعلماً.

صغار الرهبان يجمعون الطعام:

غادرنا هذا المعبد الكبير بأبنيته الحافلة بالخرافات الوثنية القديمة مجددين الحمد لله تعالى على أن وفقنا للدين الإسلامي الحنيف الذي يحارب الوثنية، ولا يجعل بين المرء وخالقه واسطة. وسارت السيارة (الجيب) مع شوارع (ماندلي) التي ازدحمت بالمارة بالفعل وفي هذه الساعة من الصباح التي يسعى فيها الحيوان في رزقه وبخاصة الطيور رأينا أفواجاً كثيرة لم نعدم رؤيتها في اي شارع من الشوارع التي سلكناها وهي شبان من شبان الرهبان أو العاملين في الرهبانية البوذية بملابسهم البرتقالية أو الصفر غير المخيطة التي هي على هيئة فوطتين سفلى وعليا اشبه ما تكون بلباس الإحرام إلا أنها ليست بيضاء ورؤوسهم الحليقة ومع كل واحد منهم إناء من الفخار عليه غطاؤه وهو يطوف على أهل البيوت يجمع منهم ما يجودون به

عـليه من طعام غالباً ما يكفيه لسائر يومه وطعامهم الرئيسي هنا هو الأرز الذي يتناولونه في وجباتهم الثلاث.

ولو كانوا في بلاد مثل بلادنا لأنف الناس من رؤ يتهم إن لم يأنفوا هم أنفسهم من ذلك إلا إذا كان للقوم اعتقاد في هذا الأمر كأن يكون واجباً من واجبات المعبد يقوم به هؤلاء الشبان من المتسبين للدين ليشاركوا فيه من لا يستطيع القيام بذلك من الرهبان الكبار لأنني لم أر راهباً كبير السن يفعل ذلك.

غير أن الدليل الذي هو بوذي ومن أهل البلدة لم يقـل إلا أن هؤلاء يمرون على البيوت يجمعون منها ما يعطيهم أهلها مـن أرز أو خضروات طعاماً لهم.

ورأيت الحافلات الصغيرة وقد امتلأت بالركاب وتعلق بعضهم بابوابها من الخارج وفي خلفها لفرط الزحام عليها.

وفي شوارع أخرى من المدينة كانت العربات التي تجرها الجياد تمر بكثرة ولحوافرها وقع موسيقي منسجم مع عراقة هذه المدينة في التمسك بالقديم سواء في ذلك ما كان من الدنيا وما كان من الدين.

ولكن هذه العربات التي تجرها الجياد لا تجري إلا في شوارع خاصة من أحياء خاصة.

وكذلك رأيت هنا ما استرعى انتباهي من كثرة راكبات الدراجات المعتادة من الفتيات اكثر مما عليه الأمر في مدينة (رانقون) العاصمة.

باندو أو القلعة الكبيرة:

(باندو) قلعة ضخمة أثرية هي التي رأيت الخندق من المياه الذي يحيط بها وهي أشبه ما تكون بالقرية لذلك يصح أن توصف بالقرية اكثر من وصفها بالقلعة لأنها واسعة جداً وفي داخلها مرافق متعددة.

وفي الوقت الحاضر هي في قبضة الجيش وتستعمل لإسكان الجنود وأسرهم إلى جانب الأغراض العسكرية الأخرى. وكانت مقراً لأحد الملوك الكبار من أهل بورما.

ولذلك وجدنا عليها حراسة عسكرية مشددة تمنع الأغراب عنها سواء أكانوا من المواطنين أو الأجانب من دخولها. ومع ذلك فإن الدليل أوقف السيارة في موقف جانبي. بينما كانت السيارات العسكرية تدخل فيها وتخرج وتكلم مع جندي مناوب أحاله إلى ضابط ما لبث الدليل أن حضر وهو يقول مبتهجاً: لقد أذنوا لنا بالدخول.

دخلنا مع بوابة ضخمة كأبواب القلاع القديمة الحصينة في سور منيع لا يـزال رغم القدم كأنما نزل منه بانيه أمس وهو يشبه الأسوار المغولية التي خلفها ملوك المغول المسلمون في الهند. وبعد هذا السور من الخارج خندق مائي، اي خليج مليء بالمياه يشبه النهر الصغير أو الترعة الكبيرة.



منظر من قلعة باندو في ماندلي.

سرنا مع طريق ازفلتي داخل هذه القلعة فلا يمكن السير فيها والإلمام بما تحتويه إلا بالركوب على السيارة لاتساعها وتشعب نواحيها.

ولكن المفارقة جاءت من كون الجديد فيها من المنازل سيئاً إلى درجة لا تكون حتى في الأحياء المتوسطة التي رأيناها من المدينة فالطرق فيها مزفلتة ولكنها قد غدت سيئة بحيث تكسر الإزفلت فيها. والمنازل خشبية قديمة. يظهر عليها عدم الترميم وقد حال لونها حتى أصبح رمادياً وبعضها أصبح لونها أسوأ من لون الرماد.

ورأينا مدفعين هائلين في ميدان واسع فيها فأردت أن أصورهما فأخبرني الدليل بأن التصوير هنا ممنوع.

وهذان المدفعان لا تستطيع تحريكهما العصبة من الرجال وفي وقت صنعهما لا توجد الآلات الرافعة التي تستطيع تحريكهما فضلاً عن حملهما فقال الدليل ووالده السائق: إنهما كانا يجران بالأفيال، وإن كل واحد منهما يحتاج سحبه إلى أكثر من فيل واحد.

ومن المؤسف أننا لم نجد في هذا المكان ولا غيره مماهو داخل هذه القلعة أي أوراق أو مطبوعات توضح ما يوجد فيها.

متحف الملكة.

ثم دخلنا إلى متحف من الخشب كله على هيئة قاعة واسعة أعمدتها من الخشب الضخم الأسود الذي أظن أن سواده ناشيء عن كونه صبغ بمادة سوداء وأسود مع القدم.

وقال الدليل ونحن ندخل للمتحف: إن هذا هو متحف الملكة لأن كل ما فيه إنما هو من مخلفات الملكة زوجة الملك (مندون) ملك بورما القوي الذي خلف هذه القلعة الضخمة الواسعة. وكان يقيم فيها هو

وأفراد اسرته وحاشيته وقد صنع هذا الخندق المائي خلف السور المنيع لكي يحمي القلعة من الثوريين.

وأكثر محتويات هذا المتحف نماذج للبيوت البورماوية القديمة بعضها على طراز صيني خالص وبعضها على طراز وطني يظهر فيها التأثير الصيني واضحاً جلياً.

وفيها نماذج لبيوت مبنية على الطراز الهندي المتأثر بطريقة البناء المغولية التي هي نتاج ما بين الحضارة الهندية والحضارة الإسلامية التي كانت مزدهرة في بلاد فارس وخراسان دخل إلى الهند من بخارى وأفغانستان وأكثر الذين أشاعوا استعماله بل ملأوا شمال الهند به حكام الهند من سلاطين المغول وملوكهم الكبار.

ويرى المرء ملامح الفن العربي في هذه النماذج من الفن الإسلامي الذي كان في الأصل نتاج ما بين الحضارة الإسلامية القديمة وبين الحضارة القديمة في خراسان وفي بلاد الأفغان التي يؤلف جزء من خراسان جزءاً منها في الوقت الحاضر.

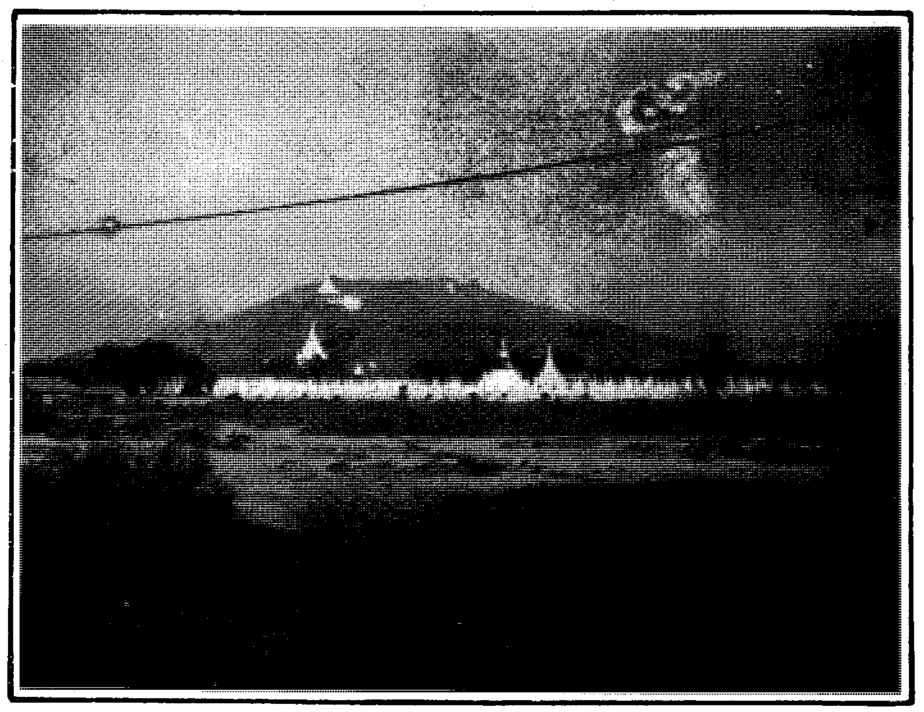
والشيء الخالص لبورما في هذا المتحف هو لوحة من الخشب مكتوبة باللغة البورماوية قبل مائة وخمسين سنة، ويعتبرونها تاريخية ثمينة القيمة من هذه الناحية لقلة الوثائق القديمة الموجودة بلغتهم.

وغادرنا هذا المتحف الصغير غير معجبين فقادنا الدليل إلى قبر باني هذه القلعة الذي جعلها على هذه الصفة وهو الملك البورملوي (مندون) وقد حكم البلاد من عام ١٨٥٢ م حتى عام ١٨٧٨ م ميلادية وذلك قبل حكم الانكليز للبلاد.

وقبر الملك (مندون) أو ضريحه بناء غير كبير ولكنه مزخرف تعلوه أبراج صغيرة تشبه الأبراج التقليدية للمعابد البوذية في هذه البلاد.

وقد أفهمونا بأن التصوير هنا ممنوع منعاً باتاً مع أنه لا توجد في هذا المتحف ولا غيره كتب أو حتى صور كالتي تكون في البطاقات البريدية ولم نجد ذلك حتى في داخل المدينة.

جبل ماندلي:



التقط المؤلف هذه الصورة لمنطقة المعابد البوذية في ماندلي.

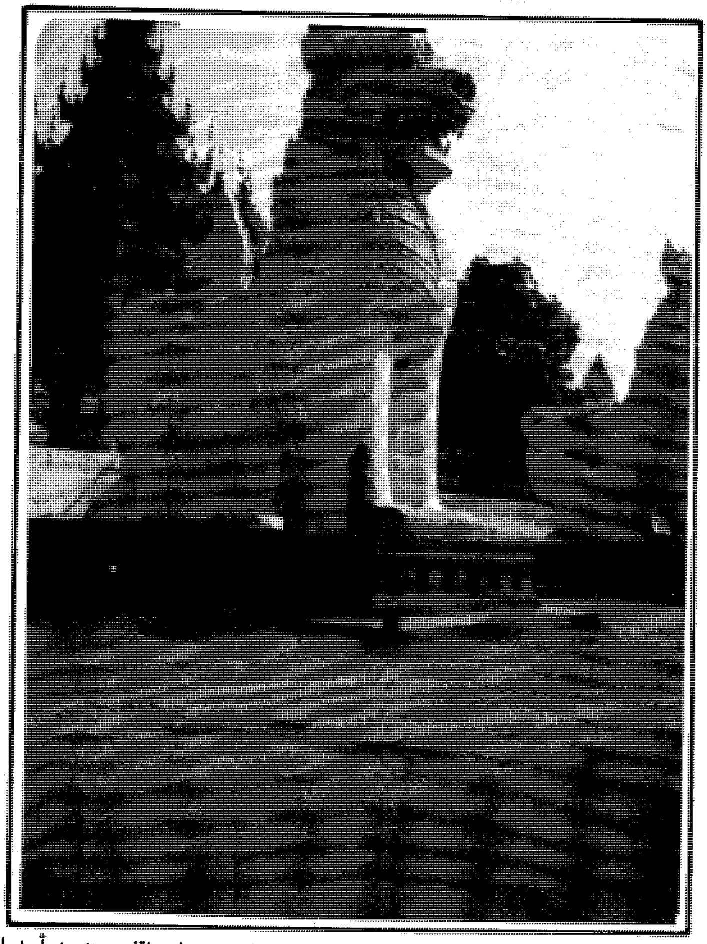
هذا الجبل هضبة جبلية صغيرة، أوهي تل جبلي كما يدل عليه اسمه بالانكليزية. (ماندلي هل) وهو الجبل الوحيد في المدينة وإن لم يكن في وسطها.

وقد اصبح مشهوراً بل معلماً من المعالم السياحية للمدينة بسبب كثرة ما أقيم عليه من معابد بوذية حتى بالغ بعضهم فقالوا ومنهم الدليل: إن عدد المعابد على هذا الجبل الصغير وفي سفوحه يزيد على الفي معبد. وهذا أمر عجيب ولكن العجيب حين يذكر المرء أن في سائر بورما وبخاصة

بلدانها القديمة من المعابد الكثيرة ما يخيل أليه في بعض الأحيان أنه يفوق عدد المنازل حتى ليحار المرؤ في أن يقول: إن في القرية الفلانية منازل بين المعابد أو معابد بين المنازل.

ومن أضخم المعابد فيها ـ وكلها بوذية ـ واحد على مدخله تمثالان هائلان لأسيرين يبلغ ارتفاع التمثال الواحد ما يعادل بناء من خمسة طوابق.

ولقد سارع الدليل للوقوف عند قدم تمثال ذلك الأسد ليبين حجمه بالمقارنة مع حجم الرجل المعتاد فكان حجم الرجل عنده لا يذكر كما في هذه الصورة التي التقطتها له. ومن الطريف في أمر هذا المعبد الذي كلف



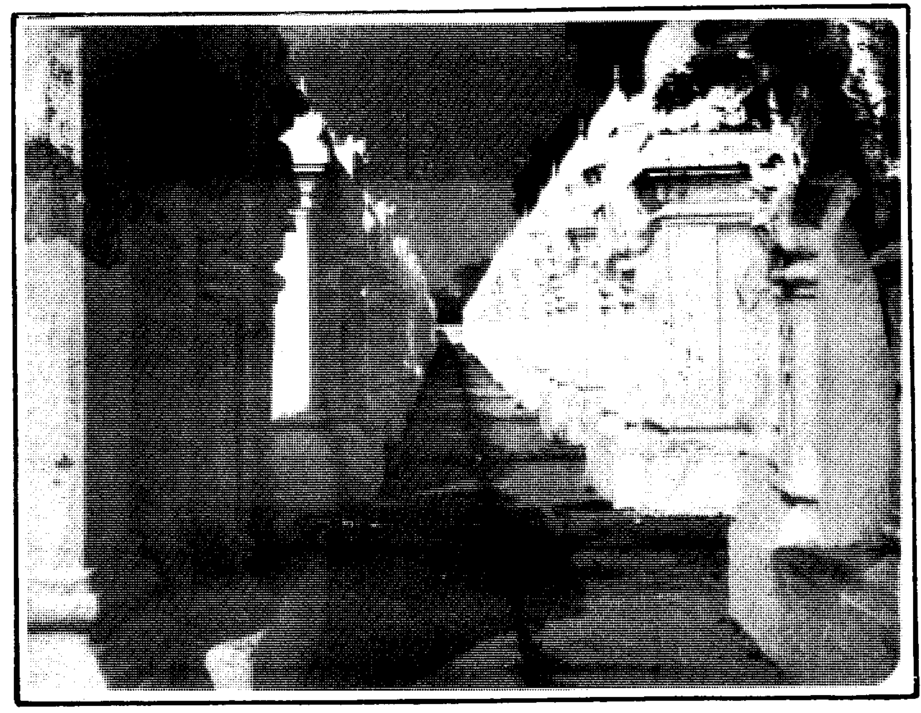
تمثال الأسدية على مدخل المعابد الكثيرة البوذية في جبل ماندلي، ورجل واقف عند يد أحد التمثالين.

بناؤه مبالغ مالية ضخمة وجهوداً بشرية هائلة أني رأيت بعض السقاة يدخلون إليه وهم يحملون الماء في صفائح كل صفيحتين يحملهما عود موضوع على الكتف مما ذكرني بالاستقاء لمنازل الحجاز قبل أربعين سنة مثلاً وقبل أن تدخل أنابيب المياه إلى البيوت.

وعجبت من كون هذه الحكومة الاشتراكية التي تدعي التقدمية لم تستطع أن تؤمن دخول المياه لهذا المعبد المعظم عندهم ولأمثالهم

ثم انتقلنا بالسيارة إلى زاوية أخرى من سفح الجبل فيها معابد متعددة يجمع بين عدد منها مدخل واحد ومكتوب على المدخل أنه يمنع منعاً باتاً الدخول عليها لمن يرتدون الأحذية أو يتخذون المظلات أو يركبون الدراجات مع أن أفنيتها ليست نظيفة، وفيها قش كثير مما يدل على أنها بعيدة عهد بالتنظيف.

ولم أر فيها أحداً وقلت للدليل: أكل هذه المعابد تجد من يتعبد فيها



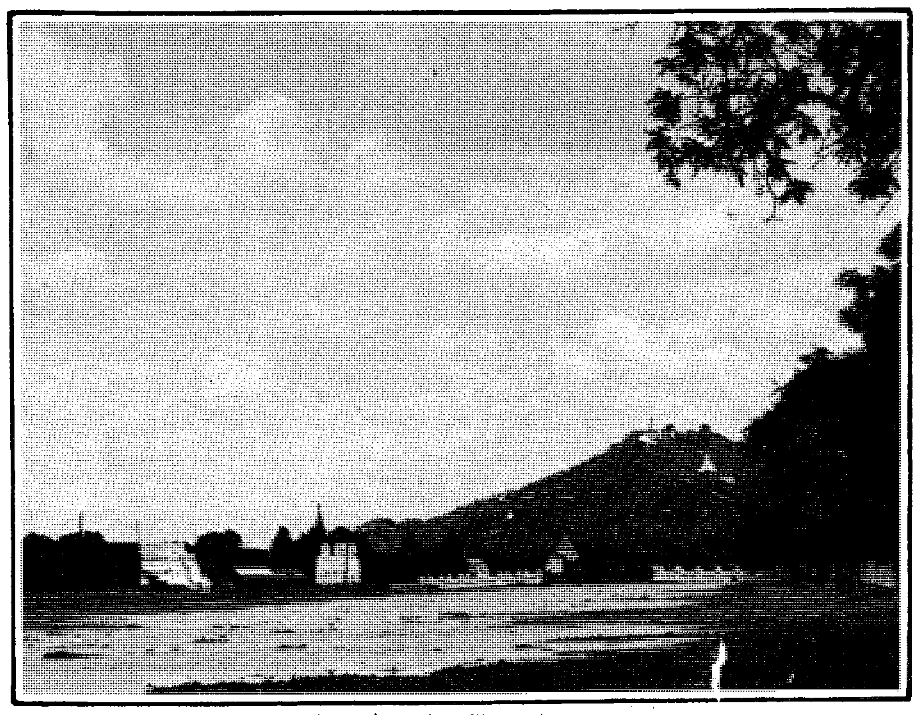
صفوف المعابد في جبل ماندلي كما التقطها المؤلف.

على كثرتها؟ فقال: نعم غير أنني لم أعتقد صحة قوله لأنني لم أر اناساً فيها رغم كونها مفتوحة وأن اليوم هو يوم الأحد. وهي كثيرة كثرة تفوق التصور كما قدمت.

ثم سار الدليل بالسيارة التي يقودها والده ووقف في السهل غير بعيد من منطقة المعابد في سفح التل تفصل بينهما مسافة من الأرض المزروعة بالخضرات زراعة قليلة لقربها من المدينة. وقال وهو بشير إلى بناء هائل من الخشب القـوي القديم مؤلف من خمس طبقات ويصعد إلى الطوابق العليا منه بدرج خشبي قوي، قال:

هذا هو قصر الملك (مندون) قبل أن ينتقل إلى سكنى قلعة (باندو). ويظهر على هذا القصر الخشبي العظيم أثر القدم ولا غرو حينما يتذكر المرء أن بانيه الملك (مندون) قد مات قبل اكثر من مائة سنة.

ولا يزال القصر صالحاً للسكنى بحيث أخبرنا الدليل أن عمدة مدينة (ماندلي) يسكن فيه الآن.



موقع القصر الملكي القديم في ماندلي.

وقبل نهاية الجولة التي استغرقت ساعتين طلبنا من السائق ضن يوصلنا إلى (مطعم بكين الإسلامي) لنتناول طعاماً كان هو طعام الافطار والغداء وذلك قبل العاشرة بقليل وعندما نقدنا السائق أجرته كان ابنه الدليل يسأل ويلح في السؤال عن العملة الصعبة من الدولار أو غيره يريد أن يصرفها بأكثر مما تصرفها به الحكومة مرتين. فلم نجبه إلى ذلك لكوننا لم نثق به. ولكوننا نعرف أنها تساوي أكثر من ذلك في السوق الحرة.

عودة إلى الجولة على الأماكن الإسلامية:

ركبنا دراجة ركشا (رِجْليه) بكسر الراء واسكان الجيم نسبة إلى رجل الشخص الذي يسيرها بها وهي دراجة هوائية معتادة يضع سائقها بجانبه كرسيين متظاهرين بمعنى أن الذين يركبان فيهما يكون أحدهما وجهه إلى الأمام والآخر وجهه إلى الخلف وذلك لضيقها عن أن تتسع لشخصين يجلسان أحدهما بجانب الآخر.

وأسرعنا قاصدين فندق (ماندلي) لمقابلة الأخ الكريم الذي كان مرافقنا أمس في الجولة على المساجد والمدارس وذلك لاستكمال رؤية ما تبقى منها.

فوجدناه قد حضر وأحضر معه الأخ المسلم صاحب سيارة الأجرة (الجيب) الذي كان معنا بعد عصر أمس.

فرع جمعية علماء الإسلام:

فكانت أول زيارة لمكتب (جمعية علماء الإسلام في بورما) فرع (ماندلي). ولم يكن المكان يحتاج إلى تعريف من المرافقين لأنه قد كتب عليه اسم الجمعية بلافتة واضحة نصها بالعربية (بسم الله الرحمن الرحيم، جمعية علماء الإسلام بورما، المكتب الفرعي) وبعد ذلك كتب اسم الجمعية بالانكليزية والأوردية.



مقر جمعية علماء الإسلام في ماندلي.

ولم نجد في المكتب أحداً ويقع في غرف من مسجد يسمى مسجد منقالا وهو غارق في أشجار عالية خضر منعتني من تصويره كاملاً كما أنه تحيط به بيوت سكنية أكثرها اسمنتية تمنع من التصوير.

وقابلنا في المسجد أخاً مسلماً تاجراً اسمه الإسلامي (محمد عيسى) واسمه البورماوي (باجي بورا) وكثير من الأخوة المسلمين في بورما يكون للواحد منهم اسمان اسلامي وبورماوي وقد اخبروني أن الحكومة لا تلزمهم بأن تكون لهم أسماء بورماوية ولكنهم هم يفضلون ذلك في بعض الأحيان تسهيلاً لأمورهم ولأن هذه هي الأسماء التي يسهل فهمها على عامة أهل البلاد مع أنه لو كانت لهم قوة لتمسكوا بأسمائهم الإسلامية وحيدة ولكان المواطنون هم الذين يسعون إلى تعلم النطق بها نطقاً صحيحاً.

وقد اطلعنا على المسجد الذي وجدناه نظيفاً ذا مئذنة ضخمة عالية

جداً. قالوا إنه بني هذا البناء القوي قبل خمسين سنة، وأبوابه الداخلية من الزجاج الملون. وأساقل الحيطان والأعمدة مكسوة بالخشب، ومحرابه يعلوه شكل قبة مغولية تحتها الشهادتان بخط عربي جيد.

ومن هذا المسجد المشرف البناء ومكتب جمعية العلماء الخالي ذهبنا إلى سوق تجارية صغيرة مع الأخ الكريم المرافق (شمس الدين شينالي) وكنت أظنه سيرينا سوقاً شعبية أشاهد فيها المنتجات المحلية من الخضرات والفواكه والمصنوعات المحلية الصغيرة غير أننا وجدناه دخل سوقاً مسقوفة فيها حوانيت متلاصقة صغيرة اكثر ما فيها من البضائع الأقمشة وأرانا الأخ (شمس الدين) حانوته نفسه فوجدنا فيه امرأته الحاجة (خديجة بنت موسى) ونوه بصفة (الحاجة) مكرراً ذلك ذاكراً أنها قد حجت معه في العام الماضي كما وجدنا ابنه معها في الحانوت. واكثر ما يبيعونه تلك الفوطة التي تؤلف مع القميص لباس بورما الوطني للرجال والنساء. وكنت أتوقع أن تكون مصنوعة في بلادهم ولكن تبين أنها مصنوعة في تايلند التي يرمونها بأنها رجعية وليست تقدمية مثلهم على حد قولهم مع أنه تبين أن كثيراً من البضائع التي يبيعونها في حوانيتهم قد استوردوها من تايلند حيث صنعت هناك مثل المسنوجات والقرطاسية، من الكتب والدفاتر والكراسات والأقلام.

ونوهوا بقولهم سنريك قسم الذهب في السوق. فرأيناه نزراً قليل الحوانيت. ومع ذلك نوهوا أيضاً بأن الذهب هذا هو من إنتاج بلادهم (بورما) وهم يريدون صنعته وأصله. وأردت أن أعرف قيمته عندهم فلم استطع لأنهم لا يستعملون (الغرام) في وزن الذهب كما نفعل نحن ويفعل أكثر العالم معنا وإنما يزنونه بالشيكل ولا أعرف قدره ولم يستطع الذين معي أن يعرفوا قدره بالغرام.

ورأينا حوانيت عدة للمسلمين يعرف ذلك من وجود رسم الكعبة المشرفة معلقاً فيها أو من الأدعية بالعربية، والبسملة فتعرف أنها حوانيت

للمسلمين من دون أن تحتاج إلى السؤال عن ذلك. أما الأسماء أو اللافتات فإنها لا توضح لك ذلك لأن بعضها إذا وجدت تكون أسماء بورماوية لا تعرف منها انتماء صاحبها إلى الإسلام.

مسجد بيت الفيل:

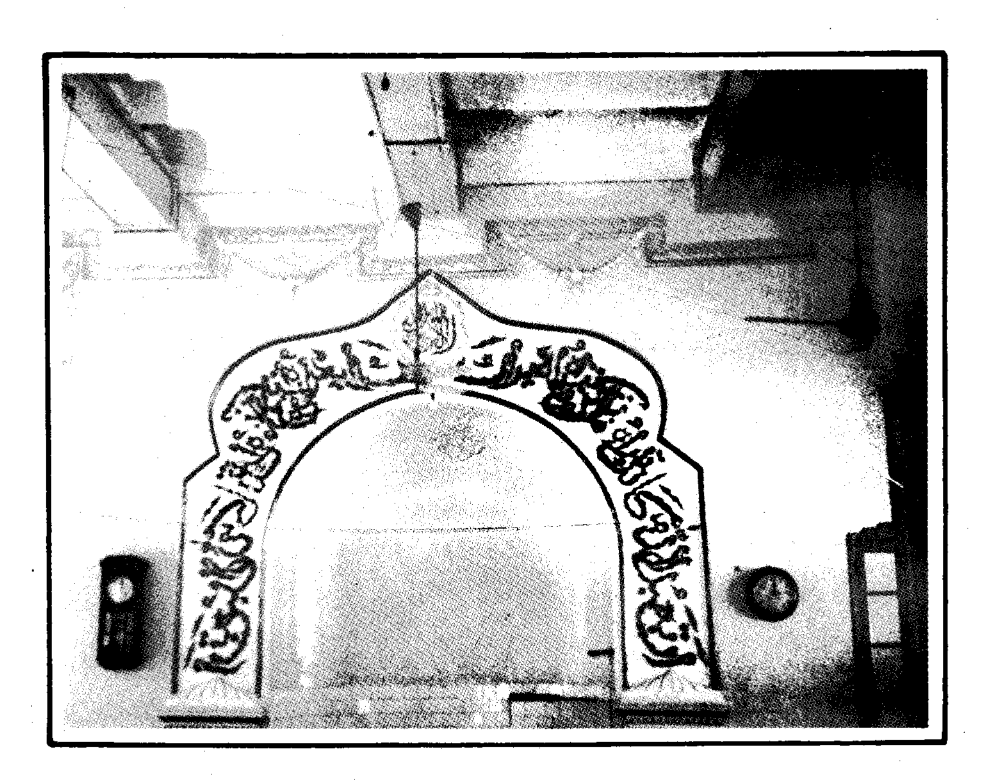
وإضافة المسجد إلى بيت الفيل، من إضافة اسم المحلة التي يقع فيها إلى الفيل لأنها كانت قبل اتخاذها محلة للسكنى مكاناً لأفيال الملك واسمها كما يلفظون به الآن (تاون سن جو) فتاون: محلة وسن جو: تعني منزل الفيل، لأن سن: في اللغة البورمية: الفيل، وجو: منزل.

والمسجد ليس له علاقة بالفيل ولا بأصل التسمية إلا وقوعه في هذه المحلة.

وجدنا عند باب المسجد الأخ (محمد الياس) مؤذن المسجد وأشار إلى بيت خشبي مجاور للمسجد وقال: هذا بيتي على حين أن المسجد مبني بالاسمنت المسلح أو بلبن الاسمنت بناء قوياً، ومطلي طلاء قشيبا)جميلاً بحيث صار شكله مميزاً بين منازل هذا الحي التي أغلبها مبني بالخشب الذي تغيرمن الرطوبة وتعاقب الفصول.

وللمسجد محراب واسع كتب على جانبه الأيمن جزء من الحديث الصحيح: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وكتبت هذه الجملة على الجانب الأيسر أيضاً معكوسة.

وفوقها الشهادتان مكتوبتان بلون ذهبي اتباعاً للون الشائع أو المفضل في بورما وهو اللون الذهبي.



وللمسجد منارات صغيرة متعددة بدلاً من المنارتين الكبيرتين أو المنارة الواحدة كما هو المعتاد في أكثر البلاد. وعددها ثمان عشرة منارة صغيرة منها أربع في الأركان أكبر من سائرها.

والمسجد محاط ببيوت معظمها للمسلمين وهي بيوت خشبية تقليدية من النوع الشائع في هذه البلاد. وقد رأيت طائفة من نساء المسلمين ينظرن من خلال بيوتهن إلى الجمهور الذي التف حولنا وتبعنا وبخاصة عندما رأونا نصور في تلك المنطقة.

وقد صورنا واجهة المسجد التي ظهرت فيها الكتابة التي كتبوها عليها وهي الآية الكريمة: ﴿واركعوا مع الراكعين﴾. وتحتها ترجمتها باللغة البورماوية وفوق ذلك لفظة الجلالة (الله) واسم الرسول ﷺ (محمد) كل

ذلك بخط ذهبي صقيل بهيج المنظر. وقيل مغادرة هذا المكان المحبب إلى النفس جاء إمام المسجد الشيخ (مولوي محمد هارون) ومولوي: يدل على أنه متخرج من مدرسة دينية. يعرف شيئاً من العربية لا بأس به من أمثاله قال: إنه تعلمه في المدرسة القاسمية في (ماندلي). وقال: انه أمين جمعية علماء الإسلام في (ماندلي).

مولانا كبير العلماء:

سألنا الأخوة المرافقون الكرام وقد انضم منهم الينا من انضم وآخرون قالوا ذلك وهم يودعوننا: هل رأيتم مولانا؟ هل سلمتم على كبير العلماء؟

وأجبنا بالنفي وبأننا حريصون على لقائه لا لكونه (مولانا) فذلك أمر لا يهمنا ونحن لا نقول لمن هو أعلى رتبة علمية منه في بلادنا (مولانا)بمعنى أننا نجعل ذلك أمراً لازماً يعرف به.

ولكن كونه رئيس العلماء الذي يراد به أنه رئيس فرع جمعية علماء الإسلام في ماندلي أمر مهم لنا فنحن نريد التعرف إليه والبحث معه في أمور الإسلام عسى أن نجد عنده من المعلومات، ومن الحلول للمشكلات التي يعاني منها المسلمون في هذه البلاد ما نعتبره جديداً غير معتاد. وقالوا: إنه يسكن خارج مدينة (ماندلي) على بعد اثني عشر كيلاً فقلت: إن هذا سهل. فانطلق سائق سيارة (الجيب) من وسط (ماندلي) إلى ريف غير بهيج المنظر تكثر فيه البيوت الخشبية القديمة، وبيوت البامبو الكئيبة المنظر، ووصلنا إلى مقر (مولانا) في منطقة تسمى (تاومن) أشبه بالقرية الصغيرة أو بالضاحية البعيدة من المدينة لأن المنطقة كلها ريفية فيها مساكن ولكنها غير متقاربة وذلك فيما بين هذه الضاحية ومدينة (ماندلي).

لم يكن عند أخينا كبير العلماء علم سابق بوصولنا إلى المنطقة لذلك

رأيناه على البعد جالساً في شرفة منزله التي يظلها سقف من البامبو.

فأسرع الشيخ عندما رآنا إلى الدخول في البيت ثم الخروج وقد وضع على رأسه قلنسوة (طاقية) لأنه لا يجوز لأمثاله من العلماء عرفا أن يقابلوا من يحتشمونهم أو من يلتمسون منهم الاحترام من دون غطاء للرأس.

سلمنا عليه وأنا أتكلم العربية على أمل أن يكون لديه علم بقدر كاف منها ولكن تبين أنه لا يستطيع أن يفهم الكلام المتصل ولا أن يتكلم بجمل متصلة من العربية، وإنما هي كلمات منفصلة لأنه لم يمرن على التحدث بالعربية ولا على الاستماع إلى المتحدثين بها وإلاّ فإنه قد تعلم قدراً وافياً منها في الكتب وعلى المشايخ.

واسمه (مولانا برهان الدين بن إبراهيم) ومولانا اسم لقب مكتسب يعني المتخرج من مدرسة رفيعة المستوى نسبياً. فسألته عن هذا المكان أهو من ماندلي)؟ فأجاب: من مضافات ماندلي وهذه من الجمل العربية القليلة التي سمعناها منه وإنما كان بقية الحديث عن طريق الترجمة من الانكليزية إلى البورمية لأنه لا يحسن التكلم بالانكليزية.

أجلسنا الشيخ إلى مائدة خشبية في هذه الشرفة التي كان جالساً عليها عندما وصلنا إليه وهو يستقبل فيها ضيوفه في العادة الذين كثيراً ما يكونون من المستفتين المسترشدين وتتصدر تلك المائدة الخشبية أدوات التنبول الأحمر والشيخ نفسه رأيناه عندما وصلنا يتنبل وقد أصبح فمه كأنه المصبوغ بحمرة قانية، وكأنه فم من أكل كبداً نية.

وظهر من وضع التنبول على المائدة أنه كان يتحف ضيوفه بتقديم ذلك مجاناً إليهم.

أما نحن وهو يعرف كما يعرف غيره أننا لسنا من (المتنبلين) فإنه كرم

وأسرع يقدم إلينا البسكويت والشاي الهندي الأصيل الممزوج باللبن ومع ذلك لم ينس أن يقدم التنبول لمرافقينا ومن باب استكمال مظاهر التكريم.

وتحدثنا معه حديثاً يتعلق بجمعية العلماء ومن ذلك قوله لنا: إن أعضاء جمعية علماء الإسلام في (ماندلي) تسعة وعشرون.

وقال: إن هذه الأرض التي نحن فيها قد سمحت الدولة للمسلمين بأن يبنوا فيها مسجداً ومدرسة ومساكن للامام والمؤذن. وان المسلمين قد جمعوا أموالاً من تبرعاتهم لبناء ذلك.

هذا مع العلم بأن بعض المنازل فيها يظهر عليه القدم ولعله يريد بذلك ما يتم انشاؤه فيها الآن وهو المدرسة الاسلامية مع ترميم المسجد القائم لأنه ظهر فيه عيب في البناء.

وقال: إن المسلمين لم يتلقوا مساعدة مالية خارجية، ولم يطلبوها من أحد.

ولما سألناه عن مدى احتياج المسلمين لتلك المساعدة؛ قال إننا نحتاج إلى الكتب الإسلامية.

ولم نستفد من الشيخ من المعلومات عن أحوال المسلمين في (ماندلي) ما كنا نرجوه وبخاصة أننا كنا نتوقع أن نبحث كيفية إيصال المساعدة التي قد ترسل من رابطة العالم الإسلامي للاخوة المسلمين في هذه البلاد.

وعندما طلبنا منه ان نلتقط صورة معه أمام المسجد تخليدا لذكرى زيارتنا له ولهذه البقعة الطيبة من أرض المسلمين في هذه الناحية امتنع عن ذلك وأظهر التورع منه.

وتبين أن بعض الأخوة المسلمين من غير العلماء، كان أنفع لنا منه من حيث ما نريد معرفته عن أحوال المسلمين وكيفية مساعدتهم في المستقبل.

وتفقدنا المسجد الذي هو أبيض الطلاء ظاهر الشعار عليه كتابة باللغة العربية نصها (هذا بيت الله، ١٩٦٧).

وإلى الشمال من المسجد توجد عشة من القش والأخشاب على هيئة كوخ هرمي الشكل قالوا: انه وضع من أجل أن يكون بمثابة مكان الاستراحة للمؤذن وغيره يستظل به من الشمس. وهو مرفوع عن الأرض التي هي ريفية غير نظيفة بأخشاب قوية مثل أكثر المنازل هنا اتقاء للرطوبة ولوفرة الأخشاب التي تنتجها بلادهم.



المؤلف أمام الكوخ الذي يستريح فيه المؤذن في جامع المحمدية خارج ماندلي، على يمينه أحد الإخوة المسلمين.

كما يوجد إلى الشمال منه ايضاً غرفة كبيرة واسعة من الخشب قال (مولانا) الشيخ: إنها المطبخ للمدرسة المحمدية.

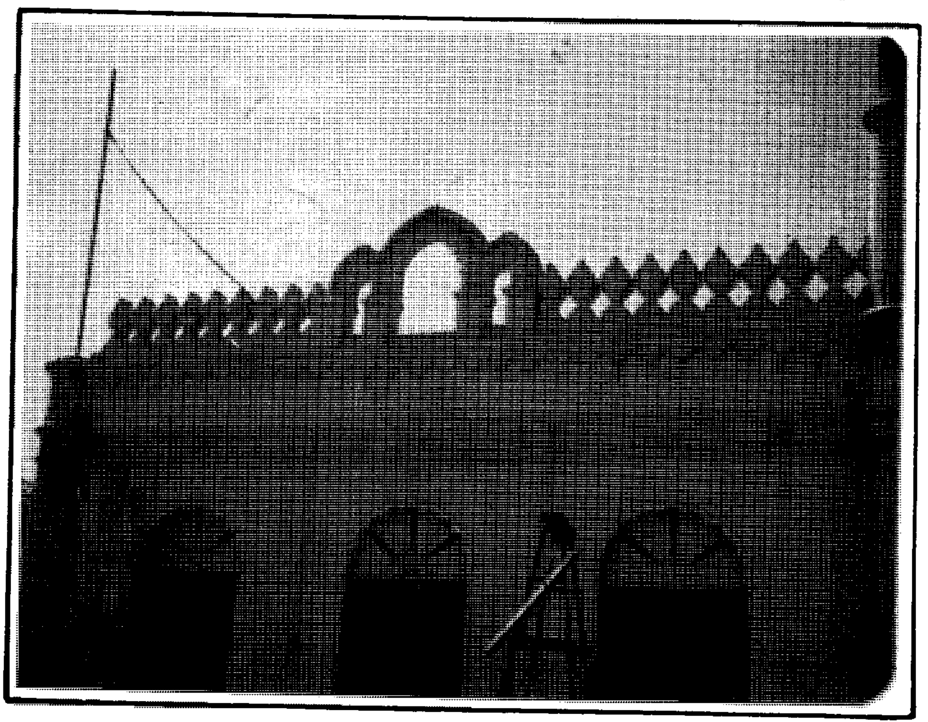
بجانب ذلك كله رأينا بناء جديداً جيداً يقام من الاسمنت المسلح ولبن الفخار ويكاد يكون البناء الجديد الوحيد الذي شاهدته في طول هذه

المدينة وعرضها وكما كان منظره بهيجاً أنيقاً في العين فإن معناه كان أبهج وأكثر أناقة في النفس لأن الأخوة الموجودين هنا قالوا: ان هذا بناء جديد للمدرسة المحمدية وهي مدرسة اسلامية، أو لنقل كتابا - بتشديد التاء - فهذا هو شأن المدارس الإسلامية هنا.

وقالوا: إن مقر المدرسة كان في السابق من الخشب والبامبو مثل سائر البيوت في هذه المنطقة، ولكن المسلمين جمعوا من التبرعات ومن الأوقاف ما استطاعوا به ان يشرعوا في هذا البناء الحديث.

وكان هذا مدعاة للفرح والسرور بل والإعتزاز بالإخوة المسلمين الذين لم يمنعهم تحديد مواردهم المالية بعد أن كانت كثيرة متعددة عن أن يستمروا في تحسين مؤسساتهم الإسلامية.

وحتى المسجد المبني بالاسمنت رأيناهم يعملون على ترميمه لأنه ظهر في أحد حيطانه بعض الخلل.



واجهة جامع المحمدية خارج ماندلي.

وقد أخبرونا وهم يشيرون إلى بيوت متعددة محيطة بما يصح أن يسمى بالمجمع الإسلامي هنا وهم يقولون: جميع هذه البيوت للمسلمين وبعضها من طابقين رغم كونها من الخشب والبامبو. والعجيب أن لهم طريقة في التأنق بنوافذ هذه البيوت المتخذة من البامبو بحيث تبدو جميلة ذات شكل جذاب مع أنها تفتح وتغلق باستمرار ولا يؤثر ذلك عليها.

وتزخر المنطقة بالأشجار الكبيرة العالية بعضها من أشجار الظل، وبعضها من أشجار العمبة (المانقو) ورأينا شجرة كبيرة في ظلها أخثاء كبيرة من أخثاء البقرة فسألتهم عما إذا كانوا مثل أهل الهند يحرصون على الانتفاع بها في الطبخ؟ فقالوا: إن الخشب والفحم موجود هنا بكثرة ويستعمله الريفيون لأنه رخيص.

جنازة بوذية:

اسرعنا في العودة إلى الفندق استعداداً لمغادرة (ماندلي) إلى المطار فقابلنا موكباً لجنازة من البوذيين رأينا أمامها سيارة صغيرة مكسوة بالزهور بحيث تبدو على البعد كأنها سيارة عرس وفيها مكبر للصوت يذيع بصوت عالٍ ما لا نفهمه إلا أن أحد الأخوة قال: إنه من الترانيم الدينية البوذية أو من الدعاء. وتلي السيارة الأمامية التي تتقدم موكب الجنازة سيارة نقل صغيرة في صحنها الميت، في مثل التابوت الصغير المغطى بالزهور وقد ركب معه في سيارة النقل عدد قليل من الأشخاص حوالي الخمسة أو الأربعة. يتبع ذلك سيارات من سيارات الشحن سبع كلها مليئة بالراكبين الذين كانوا وقوفاً فيها. وهؤلاء هم المشيعون للميت.

والقوم أكثر تمسكاً بالبوذية من جيرانهم التايلنديين رغم عراقة التايلنديين في هذه الديانة مثلما صار أهل نيبال أكثر تمسكاً بالهندوكية من جيرانهم في الهند رغم عراقتهم في الديانة الهندوكية.

ومظاهر تمسك البورماويين بالبوذية كثيرة من أهمها كثرة المعابد في القرى والأرياف فضلاً عن المدن.

ومن الغريب في هذا المجال الذي ورد فيه ذكر نيبال أن هذا الريف البورماوي يشبه ريف نيبال من حيث مظهر البيوت، وغلبة اللون الرمادي عليها وعلى أرض الريف ووجود الأرز فيه، بل كون الأرز هو الغلة الرئيسية فيه.

العودة إلى مطار ماندلي:

حاسبنا فندق (ماندلي) بالعملة الصعبة ولكنها سهلة علينا لأنها لا تزيد على تسعة عشر دولارا امريكيا للغرفة إلا أنهم لم يعطونا ما يثبت ما صرفناه.

والأهم في الأمر أننا اشترينا تذكرة العودة إلى (ماندلي) من مكتب للسياحة في الفندق نفسه ولكنه تسلم منا قيمة التذكرة وهي مائة وخمسة عشر دولاراً امريكية دون أن يعطينا تذاكر، وإنما اكتفى بإيصال واحد للاثنين كما فعل بنا أهل مكتب السياحة في رانقون. وقد تركنا حافلة السياحة تخرج للمطار لأنها بكرت قبل انتهاء جولتنا وخرجنا مع الأخوة المسلمين على سيارة الجيب التي استأجرناها في الجولة.

وقبل مدخل المطار الصغير وقفت السيارة كما تقف غيرها من السيارات التي لا تستطيع أن تصل إلى بناء المطار وإنما تقف قبله في ارض منخفضة حيث يضطر المسافر إلى صعود درج خشبي يفضي بعد ذلك إلى مكان مرتفع يقع فيه المطار ومكتب الترحيل الصغير الحقير فيه.

وقد وصلنا قبل موعد قيام الطائرة بساعة وربع فلم أجد في المطار أحداً من الموظفين وبخاصة في مكتب السياحة الذي سيرحلنا عندما نعطيه هذه الورقة الصغيرة.

ثم جاءت موظفة السياحة المسلمة (موميخان) وهي الموظفة الوحيدة في هذا المكتب فهي التي ترحل الجميع من دون مساعدة من أحد وقالت: إن والدها أسف على كونه لم يجدنا في الفندق أمس عندما حضر إلينا.

ثم جاء والدها وقال: عرفت مع الأسف أن بعضهم سبقني إليكم. فقلنا: إنه أحد الأخوة المسلمين، وقال: إنني مسلم أصيل وأهلنا يقولون: إن أصلنا من بلاد العرب، واسمي الكامل (محمد نصرة الله، بن محمد جان عارف).

وفي القاعة الصغيرة التي هي مكتب السياحة جلسنا قليلاً ونحن نشاهد البيوت القروية التي تشبه الأكواخ في ريف قريب خلف مدرج الطائرات وذلك لضيقه الشديد.

ومن خارج مبنى المطار من الجهة الأخرى التي تقف عندها السيارات كان (السوق) أو على الأدق العشش: جمع عشة التي تتألف منها (بسطات) أي بضائع صغيرة متدنية النوعية اكثر الباعة فيها من النساء. وكلها من الخشبي أو القشي.

إلى باقان:

في الساعة الثالثة من بعد الظهر أقلعت الطائرة الصغيرة ذات المحركين المروحيين وربما كانت هي التي حملتنا إلى (ماندلي) يوم أمس وإذا لم تكن هي فإنها مثلها. إلا أن الركاب لم يشغلوا إلا نصفها وأكثرهم من السياح الأجانب ولكن بينهم اثنان من البورماويين. وسوف تمر الطائرة مروراً عابراً ببلدة (باقان) الأثرية القديمة مثلما مرت طائرتنا أمس على بلدة (هي هو).

وعندما كانت الطائرة تقبل على مطار (باقان) صارت تطير فوق نهر

دبير رملي الضفاف رمله أبيض اللون في أرض مزروعة مليئة بأحواض الأرز الحصيد.

واتضحت طبيعة هذه البلاد البورماوية الخصيبة رغم كون الوديان بين الجبال في هذه المنطقة ذات مظهر جاف كما تبدو من الطائرة بسبب فصل الصيف الذي يقولون إنه فصل الجفاف.

ولم يستغرق الطيران إلى بلدة (باقان) غير نصف ساعة. وهذه مدة قصيرة ولكن الأقصر منها هي مدة وقوف الطائرة في مطارها التي لم تستغرق أكثر من سبع دقائق، ما لبثت الطائرة أن أسرعت بالاقلاع وقد امتلأت مقاعدها بالركاب الذين هم من السياح الأوروبيين وأكثرهم يحملون أمتعتهم على ظهورهم.

كان عدد من هؤلاء السياح من الذين عرفنا أمثالهم في أماكن أخرى من العالم وهم أولئك الأوربيون الذين يحبون المعرفة والاطلاع بأنفسهم على أحوال العالم، ولكن طاقاتهم المالية لا توفر لهم ما يتوفر للسياح الأثرياء أو لرجال المال والأعمال التي تدر الربح بحيث يسكنون في الفنادق الراقية الغالية ويجدون في البلاد التي يحلونها من الخدم والحشم من يكفونهم كل ما يحتاج إليه السفر من تعب ونصب.

فترى مثل أولئك الأوروبيين الذين أكثرهم يكونون قد ادخروا الأموال القليلة ربما في أعوام طويلة حتى جمعوا ما استطاعوا به ان يرحلوا فيروا العالم، ويحصلوا على المعلومات الشخصية تراهم وقد جمع الشخص منهم متاعه كله على هيئة رزمة أو حقيبة من الجلد أو القماش ذات عرى ومعاليق تعلق على الظهر بحيث لا تحتاج إلى حمال يلزم له حلوان (بخشيش) ان لم يكن أجرة مفروضة وتكون مستطيلة الشكل بحيث تصلح أن تكون وسادة عند الجلوس الطويل أو الانتظار، كما يكون بعضها

بحيث يصلح للنوم عليه في محطات القطار أو حتى في الميادين العامة أو أرصفة الشوارع إذا قل النقد أو أعوزت أجرة الفندق. فتراهم يحملون هذه الأمتعة وكأنما هم حمالون محترفون طول رحلتهم.

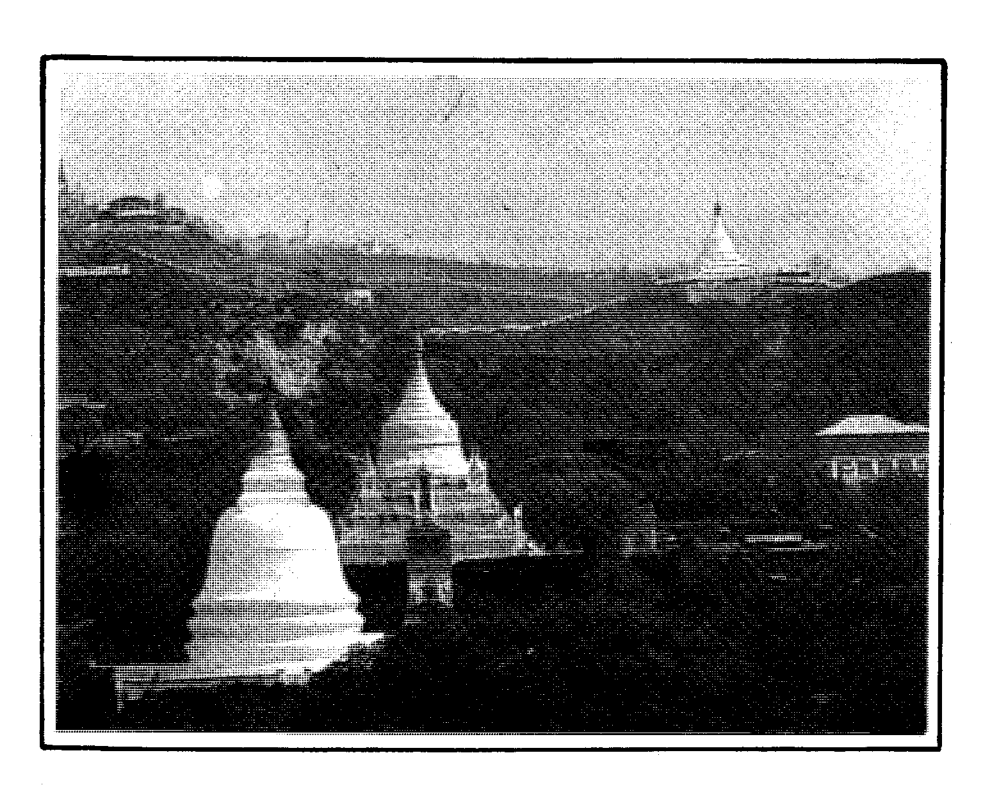
والأغرب من ذلك أنك ترى بينهم النساء الشابات وأحياناً الفتيات لم يمنعهن الصبا، ولا ترف الحياة من أن يحملن أمتعتهن على ظهورهن كما يفعل الأشداء من الرجال محبة في المعرفة، ورغبة في الاطلاع.

وقد كان بعضهم يجاهد وهو يركب الطائرة في التخلص من أمتعته التي على ظهره ثم يجاهد عند النزول منها في تثبيتها على ظهره مرة أخرى.

وتقارن بين هؤلاء السياح الأوروبيين وبين سياح أثرياء أو ميسورين من قوم اخرين تجدهم يحرصون على اقتناص متع لا يسمح لهم زمانهم ولا أوطانهم أن يقتنصوها أو بالسعي وراء ملذات مبتذلة آنية لا تلبث أن تعقب حسرات من أهمها تأنيب الضمير وهم يعودون إلى بلادهم بدون الاستزادة من المعرفة أو الحصول على العلم بما في بلاد الآخرين من الآثار والمباني أو من المخلفات الغريبة في المتاحف أو حتى في تجمعات الأهالي وطريقة حياتهم، و (كل ميسر لما خلق له).

العودة إلى رانقون:

قامت الطائرة مسرعة من مطار (باقان) فتجلت طبيعة البلدة أكثر في خصوبتها وكثرة مياهها وفي شيء آخر عجيب وهو كثرة معابدها حتى ليخيل اليَّ وأنا انظر إلى مئات المعابد البوذية بأبراجها البيض التي تكون في الغالب على هيئة محقن طويل القصبة أن المعابد أكثر في تلك الضواحي من البيوت.



وذلك كله يؤكد القول بأنه لا يوجد بلد بوذي آخر في العالم لديه من المعابد كثرة ما لدى أهل بورما، فلقد رأيت عدداً من البلدان البوذية وتجولت فيها مثل سيلان وتايلند فلم أر لديهم ما لدى البورماويين من هذه المعابد، بل ولا ما يقرب من ذلك.

وقد قال مذيع الطائرة وهو يرتفع عن الأرض بلغة انكليزية وحيدة مع أن الرحلة داخلية: إن مدة الطيران إلى رانقون ستكون ساعة ونصفاً.

وقدموا ضيافتهم النزرة المعتادة وهي قطعة صغيرة من الكعك (الكيك) اللين وفنجان من القهوة أو الشاي ليس غير، مع أن الوقت وقت غداء، وأن أكثر ركاب الطائرة من الأجانب، بحاجة إلى ذلك لأننا لم نجد في مطار (ماندلي) مقهاة ولا شيئاً من الأكل يباع. وعندما كانت الطائرة تهم بالهبوط في مطار رانقون اعلن مكبر الطائرة باللغة البورماوية

لأول مرة منذ فارقنا العاصمة، ثم بالانكليزية نبأ قـرب الهبوط.

وقد استغرق الطيران ساعة ونصفاً إلا خمس دقائق من (باقان) إلى رانقون. وكانت الساعة هي الخامسة عند وصول (رانقون).

لم نكن نحمل أية بطاقات عندما عدنا إلى مطار (رانقون) حتى نستطيع أن نقول لمكتب السياحة: إننا يحق لنا أن نركب في حافلة السياحة مجاناً لأنهم بالفعل قد أضافوا قيمة الركوب إلى الفندق من المطار كما أخبرونا. فسألت رجلاً كان معنا في الطائرة ظننته بورماوياً. فقال: إنهم يعرفونكم، وسيركبونكم إلى الفندق بدون أوراق. وهكذا كان.

يوم الاثنين: ٣/ ٦/ ١٤٠٤ هـ ٥/ ٣/ ١٩٨٤ م

البحث عن سفارة لاوس:

كان من هدفي الذي قررته قبل السفر إلى بورما أن أزور دول الهند الصينية الأخرى وهي لاوس وفيتنام وكمبوديا على أن تكون البداءة بلاوس لأنها أقرب إلى رانقون من عاصمتي الدولتين الأخريتين، وذلك من أجل الإطلاع على أحوال من بقي من المسلمين في البلدان الثلاثة، وما يمكن أن تقدمه رابطة العالم الإسلامي لهم فخرجنا من الفندق في صباح مبكر ندي نبحث عمن يرشدنا إلى سفارة لاوس والفندق - كما تقدم - يقع في الحي التجاري القديم الذي كان فاخراً من العاصمة وهو حي مزدحم أرصفته غاصة بالناس وشوارعه بالمركبات والسيارات على قلتها النسبية في(بورما)

وكان ما تكرر منظره منظر فتيات (بورما) اللائي أخذن زينتهن التي لا تزينهن، وهي وضع المسحوق الترابي أو الذي يشبه التـراب على الوجوه، وشد الفوط على الأوسـاط حتى وإن أدى ذلك إلى عـدم إطلاق الحريـة الكاملة للسـاقين في السير. وحقـائب القماش ذات العـلاقات الـطويلة التي تتدلى وهي تبـدو فارغـة في أكثر الأحيـان

ويعلقونها من رجال ونساء على أكتافهم فلا تكون في أيديهم كما تكون حقائب النساء في أكثر بلدان العالم. إلى جانب منظر الشبان من رهبان البوذيين معهم أواني الطعام الذي يجمعونه من البيوت في هذا الصباح الباكر وأكثرهم حليق الرأس، وحافي الرجلين.

ومن الأشياء المؤذية منظر آكلي التنبول وقد تلطخت أفواههم باللون الأحمر ورأيت من أحدهم فعلاً تتقزز منه النفس وهو أنه كان يقود سيارة أجرة وهي هنا سيارات الشحن الصغيرة مع مجموعة من الركاب فأخرج رأسه من ظهر السيارة وأطلق إلى الشارع بصاقاً أحمر كريهاً سيصبغ الرصيف إلى حين.

حصلنا من رجل في سفارة الهند على عنوان سفارة لاوس. ويذكر بهذه المناسبة أن سفارات الدول الإسلامية في بورما الماليزية والباكستانية والبنغلاديشية والمصرية. والاندونيسية. فأستأجرنا (تاكسياً) مثل غيره من سيارات الأجرة هو عربة ركوب صغيرة يابانية الصنع ركب أحدنا بجوار السائق وركب الثاني في ظهرها ليس معه أحد، وذلك أن مقدم السيارة ضيق لا يتسع إلا لشخص واحد مع السائق لصغرها.

سألت السائق عن ديانته؟ فأجاب: بأنه بوذي وأنه يعتز بذلك. فسألته عما إذا كان ذا أولاد؟ فأجاب: نعم لـي خمسة. قلت: ومن زوجة واحدة أم من زوجتين؟ فقال: بل من واحدة. ثم تكلم عن المرأة في بورما.

وصلنا إلى الباب الخارجي لسفارة لاوس التي تقع في دارة (فيلا) فوجدناه مغلقاً ولم يفتحه البواب إلا بعد لأي. ثم أقبل موظف قال بعد ذلك: إنه (السكرتير) الأول في السفارة فكلمه الشيخ علي عيسى بالتايلندية التي هي قريبة من لغة لاوس، فقال الرجل: إننا لسنا مخولين منح سمات الدخول. ولذلك تحتاج بعد ملء الاستمارات إلى أن نرسلها لحكومتنا

وذلك يحتاج ما بين اسبوعين إلى ثلاثة أسابيع. ولذلك أرى أن تطلبوها من سفارتنا في بانكوك لأن لديها جهازاً يمكن أن يتصلوا بواسطته بالحكومة في لاوس بسرعة وهو لا يوجد عندنا.

كان الرجل يتكلم وأنا أتأمل السفارة فأجدها عديمة الحركة بحيث أننا لم نشاهد أحداً غيره حتى في خارج المبنى في حديقة السافة وأفنيتها الخارجية لم نر إلا كلباً ضخماً للحراسة.

في جامعة بورما:

أوقفنا صاحب سيارة أجرة يعرف سفارة فيتنام التي قررنا أن نطرق بابها أيضاً التماساً لسمة الدخول عسى أن نستطيع بعد أن نحصل على سمتها أن نحصل من عاصمتها على سمة الدخول إلى لاوس رغم كون الطريق من لاوس أقرب.

فقال: إنه يحمل راكباً إلى جامعة (بورما) وهي الجامعة الرئيسية الوحيدة في رانقون وانها غير بعيدة من هنا فقلنا: إن هذه فرصة طيبة لكي نرى هذه الجامعة ولوكان ذلك من الخارج. وأخبرنا السائق والرجل الذي معه أنها هي الجامعة الوحيدة هنا لكن لها ثلاثة فروع.

ومن أغرب المناظر في فناء الجامعة أن الطلاب والطالبات تتشابه بل تكاد تتماثل ثيابهم وحقائبهم فكلهم يرتدي الفوطة فوقها القميص القصير الكمين. وكلهم يعلق على كتفه حقيبة من القماش ذات علائق طويلة.

وبعض النساء يحملن حقائب من الخوص ذات حمائل طويلة ايضاً مما ذكرني بالحقائب التي رأيت النساء يحملنها في بلد آخر غني بموارده الطبيعية مثل (بورما) ولكنه فقير بالتدبير الصحيح وهو مدغشقري وذكرت ذلك في كتاب «مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين» وهذا اللباس هو لباس

الأكثرية في بورما من رجال ونساء وربما صح القول بأنه لباس الجميع. . ويلاحظ أن الأحذية الإفرنجية المعروفة قليلة ونادرة وإنما أكثرالناس يضعون في أقدامهم النعال الشبيهة بالسبتية المسماة بالشبشب ويتميز هؤلاء الشبان والشابات من طلبة الجامعة بأنهم أنظف من غيرهم من سائر الناس وبعضهم أكثر نضارة من أولئك ولعل من أسباب ذلك أن أهلهم أكثر غنى. وبالتالي أحسن غذاء من غيرهم من سائر الناس.

أما الجنس فإنه البورماوي الأصيل الذي هو بين التايلنديين والصينيين، إلا أنه في المظهر أميل إلى الجنس الصيني. وفي المخبر من طيب المعاملة وسهولة التعامل مع الأجانب أميل إلى التايلنديين.

ولقد اجتهدت في أن أرى في الجموع المجتمعة من طلبة الجامعة رجلاً واحداً يلبس السروال الفرنجي الطويل أي (البنطلون) فلم أره. كما جهدت أن أجد فتاة تلبس القميص الافرنجي (الفستان) فلم أر واحدة.

والظاهر أن السبب في ذلك أمر فرضته عليهم إدارة الجامعة إن لم يكن فرضه المجتمع لأنني حتى في الشارع لا أكاد أرى من يرتدي الزي العالمي المسمى بالافرنجي.

وأما الجامعة من خلال ما رأيته من مبانيها وحدائقها وافنيتها الخارجية، فإنها مثل سائر الأبنية الخاصة والعامة قديمة.

وهذا أمر عام قد يكون مفهوم السبب، بعد أخذ البلاد بالاشتراكية وقضائها على المواهب الاقتصادية الفردية التي تحتاج في الظهور والبروز إلى جو الحرية ولكن الأمر غير المفهوم أن تكون أفنية الجامعة التي قالوا لي: إنها ا الجامعة الرسمية الكبيرة الوحيدة في العاصمة ضيقة نوعاً أو لنقل: إنها غير واسعة سعة أفنية الجامعات الحديثة مع ان سعه الأفنية في مثل هذه البلاد لا يكلف شيئاً حتى ولو احتاج الأمر إلى أن تكون في هذه

الأفنية حدائق شاملة.

ذلك بأنها بلاد مطيرة ندية اضافة إلى أن الأشجار موجودة بطبيعتها وقد رأيتها كثيرة مزدهرة في افنية الجامعة وساحاتها الخارجية، وأكثرها ضخم الجذوع. عظيم الفروع وذلك مهم ونافع بل ضروري في هذا الجو الذي هو ذو شمس حارة وبخاصة في فصل الصيف.

وتقع الجامعة على موقع مرتفع من تلة متدرجة الارتفاع غير عالية حسنة الشوارع وبخاصة الشارع الرئيسي فيها.

وفي هذه المنطقة عدد من السفارات الأجنبية منها سفارة كوريا الجنوبية. وقصة زيارة رئيس وزراء كورياالجنوبية مع عدد من وزرائه وكبار المسئولين في دولته إلى رانقون والإنفجار الضخم الذي أودى بعدد كبير من المسئولين الزوار ومنهم أربعة من وزراء كوريا الجنوبية هي قصة شغلت الإذاعات والصحف لفترة طويلة واستأثرت باهتمام الناس لغرابتها وجرأة الذين قاموا على تنفيذها إضافة إلى ما قيل من أن الذين نفذوها كانوا قد قصدوا بذلك أن يقضوا على رئيس بورما إذا ما حضر الاحتفال المقرر مع رئيس كوريا الجنوبية اكثر مما قصدوا الكوريين لأنهم من المواطنين البورماويين المعارضين للحكومة كما قيل.

وهذه المنطقة رغم اخضرارها وأهميتها في المدينة فإن الزهور فيها قليلة فخضرتها خالية من العناية، وزاد من سوء منظرها دخان كثيف تنفثه الحافلات الصغيرة ووسائط النقل غير النظيفة التي أكثرها قديم.

في سفارة فيتنام:

كان من الثقيل على النفس أن ننتقل من سفارة دولة تسمى نفسها شعبية ونحن نجر اذيال الفشل من الحصول على سمة للدخول إلى سفارة دولة اشتراكية أو شيوعية أخرى من أجل الغرض نفسه فقابلتنا الأخيرة بما

قابلتنا به الأولى ويقول لنا الموظف الفيتنامي وهو يتكلم الانكليزية بطلاقة، وقد كلمتاه بالانكليزية لأنه لا يعرف اللغة اللاووسية القريبة من التايلندية.

قال الموظف الفيتنامي بلباقة ظاهرة: إننا نأسف إذ نخبركم أن منحكم التأشيرة، أمر غير ممكن لنا، لأنه لا بد لنا من أن نرسل أوراقكم إلى حكومتنا ويحتاج الأمر إلى اسبوعين أو ثلاثة قبل الاجابة بلا أو نعم.

قلت له: إننا سنعود إلى بانكوك فما رأيكم فيما إذا تقدمنا لسفارتكم هناك أيكون حظنا أكثر؟ فأجاب: ذلك ممكن وعليكم أن تجربوه.

وخرجنا من عنده وكانت سفارته أيضاً مغلقة الأبواب عندما وصلناها، ولم نر فيها شخصاً غيره إلا واحداً هو الذي فتح لنا الباب ثم انصرف.

وتركنا هذا الحي الذي هو أحدث من وسط العاصمة ولكنه ليس تجارياً فليس فيه حوانيت وإنما أظهر ما فيه الفيلات الكثيرة الأشجار التي من أبرز الأشجار فيها ظهوراً النارجيل والعمبة (المانقو).

صورة اللبنانية:

وركبنا سيارة أجرة قد وضع السائق امام مقعده صندوقاً زجاجياً صغيراً داخله تمثال صغير لبوذا رمزاً لتمسكه بالديانة البوذية وألصق بجانبه صورة لفتاة تبتسم سألته عنها لأن شكلها ليس بأشكال أهل هذه البلاد؟ فقال: إنها صورة فتاة لبنانية أعجبته ابتسامتها. وهكذا يتجلى في اتباع الديانة البودية الحرص على التمسك بالديانة، مع المتع الدنيوية وهذا ظاهر في كثير من البلاد التي تعتنق البوذية إذا كان معتنقوها من الجنس الملايوي مثل أهل تايلند بخلاف ما إذا كانوا من الجنس الأسمر الهندي مثل أهل

سيلان. وإن كانوا في هذا الأمر يخالفون أهل الديانة الهندوكية في كونهم أسرع إلى اقتناص الملذات الدنيوية منهم.

وقد ذكرني هذا بما لاحظته في تايلند من وجود بيوت الأرواح التي هي على هيئة نماذج للمعابد في المحلات المهمة لديهم حتى على دور اللهو ومحلات الحمام والتدليك (المساج) وعقيدتهم فيها أنها تصلح لأن تكون محلاً لحلول الأرواح فيها التي تستطيع أن تحمي المكان وأهله من الشرور.

عملية ولادة التذكرة:

أسرعنا بالذهاب إلى مكتب الخطوط التايلندية لنحجز معها غداً إلى بانكوك غير أنهم آيسونا من ذلك قائلين: إنه لا توجد لديهم رحلة إلا في مساء هذا اليوم ويوم الخميس وإنما توجد طائرة بورماوية مسافرة غداً مساء. واضطررنا للذهاب إلى مكتب البورماوية ويسمونها (بورما ايروين) ووجدنا المكتب واسعاً تشترك معها فيه مكاتب لعدة شركات أجنبيـة لتطيران، وأن العمل عندهم ليس بالكثير. وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى كونهم لا يسرعون في الإذن لأهل بلادهم بالخروج من البلاد ولا يعطونهم عملة أجنبية لهذا الغرض وإذا أراد الشخص منهم أن يسافر كان عليه أن يشتري العملة الأجنبية بالسوق الحرة بأكثر من ثمنها المحدود من قبل الحكومة، ثلاث مرات وأن يحولها بطريقة ملتوية لأن الحكومة لا تسمح بخروج النقد الأجنبي.

وقالت موظفة في المكتب ما لبث أن انضم إليها موظف آخر ثم موظفة ثالثة تجمعوا ليروا ما عندنا من أجل قلة العمل عندهم، قالوا جميعاً: إن طائرتنا ليست فيها درجة أولى - وتذاكرنا في هذه الدرجة - فقلنا: هذا أمر سهل تركبوننا في الدرجة السياحية وتختمون لنا ورقة بذلك حتى نطالب باستعادة الفرق فتشاوروا فيما بينهم ثم ذهبوا بالتذاكر إلى

المسئول في داخل المكتب ثم عادوا يقولون: نأسف لأن نقول إننا لا نستطيع قبول تذاكركم وعليكم أن تشتروا تذاكر جديدة، كل تذكرة بسبعة وثمانين دولاراً وعليكم أن تدفعوها بالـدولار فلا نقبـل منكم العملة البورماوية.

وحجزنا المقعدين على أن نعود لقطع التذكرتين بعد ذلك.

وذهبنا إلى مطعم صيني مسلم جيد فأكلنا عنده أكلاً جيداً. ولاحظنا أن رجلاً خارج الباب من جهة الرصيف يشير إلى الطعام ويشير إلى بطنه فقلنا للخادم: اعطه هذا الصحن المليء ليأكله، فعاد الخادم وقال: إنه يريد أن يأخذه إلى بيتـه وأخذ الـطعام بـالفعل إلى بيتـه وحسب صاحب المطعم ما أكلناه وما تصدقنا به فصار ثمن الجميع خمسة وثلاثين (تشاتا) أي أقل من دولارين بالصرف الحر، ما أرخصه لهذا الطعام الصيني الشهي الذي كان أكثره خضرات وأعشاباً في الحقيقة وكانت اللحوم فيه قليلة.

المجلس الأعلى للشون الإسلامية.

هذا المجلس هو من المؤسسات المشهورة في بورما وهو معترف به من قبل الحكومة وسبق الكلام على بقية المؤسسات في الكلام على (الشئون الإسلامية) في بورما.

ورئيسه الشيخ غازي هاشم شخصية معروفة. ولدينا عنه معلومات وبه معرفة في رابطة العالم الإسلامي.

يقع المجلس في بناء من الأبنية الكبيرة القديمة التي يتألف منها قلب مدينة (رانقون) ويشغل طابقاً منه إلا أنهم جعلوا بعض أجزائه طابقين لارتفاع سقفه وحاجتهم إلى المكان. وأول ما يلفت النظر لافتته المكتوبة بالعربية: «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» وتحتها باللغة البورماوية الاسم نفسه.

دخلنا إليه من درج خشبي واقف مثل غيره من الأبنية المماثلة وذلك لارتفاع أسقفها لأنها قديمة ورأينا في المكتب عندما دخلناه صورتين بارزتين احداهما لرئيس المجلس الحالي الشيخ (غازي هاشم) وهذا أمر مفهوم ولكن الأمر الذي يسترعي الانتباه أمر صورة موضوعة لرجل عسكري ذي مرتبة عالية قالوا: إنه (الكاردينال) باشين وإنه مسلم وقائد من قواد الجيش البورماوي ووضعوا صورته هنا على اعتبار أنه من زعماء المسلمين مع أنه قد توفي منذ زمن.

ووجدنا في المكتب عدداً من الأخوة المسلمين.

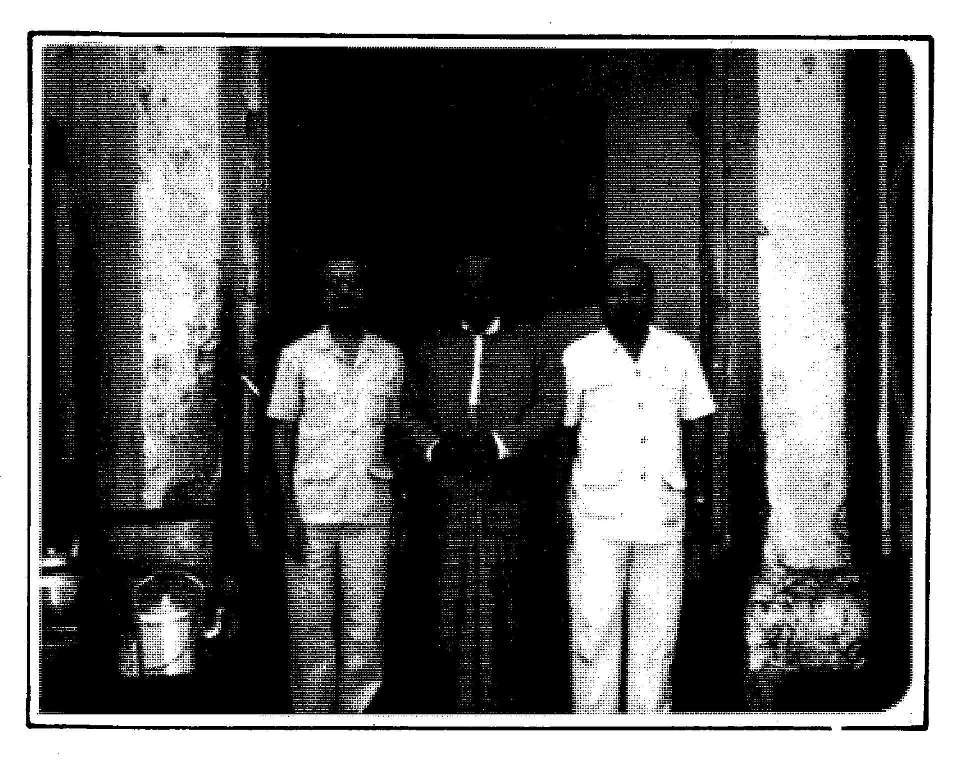
قالوا لنا: إن (مولانا) الشيخ غازي هاشم رئيس المجلس سيحضر بعد قليل لأننا أخبرناه بالهاتف بوجودكم فقال: إنه قادم.

وجاء الشيخ (غازي هاشم) بورماوي المظهر إلا أن صلته بالهنود البنغاليين لا تخفى على أحد بسبب سمرته وتقاسيم وجهه وهو شخصية قوية يتدفق حيوية ونشاطاً ويتكلم بحماس بالغ، وذكاء ملفت للنظر.

رحب بنا وأخذ مباشرة يتكلم بصوت قوي، وحماس شديد للدعوة الإسلامية ولكنه بدأ الحديث عن نفسه وأعاده عن نفسه أيضاً ومن خلال ذلك تحدث عن الأمور الإسلامية في هذه البلاد.

وهو يعرف العربية، ويتكلم بها جيداً. ويستخدم العبارات العربية القديمة التي تتضمن المجازات والتشبيهات فقد كانت صلته بالعربية الأصلية من الكتب (المراجع العربية) أكثر من صلته بالعربية التي يتحدث بها الناس في الوقت الحاضر مع أنه لا يجهل العربية الحديثة.

وقال لنا: إنه تعلم العربية في بورما وفي الهند ولم يتعلمها في أي بلد عربي. وكان مما قاله عن نفسه: إنه قابل عدداً من زعماء العرب ذكر منهم الملك فيصل ورئيس مصر السابق أنور السادات.



على مدخل المجلس الإسلامي في رانقون مع رئيس المجلس غازي هاشم على يمينه المؤلف وعلى يساره الشيخ علي عيسى.

وقال: إن عمل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية هو الدعوة ونشر الكتب الإسلامية، وإنه قد الف تفسيراً للقرآن الكريم بالبورماوية سماه (تفسير تبيان القرآن) وقال: إن الحكومة البورماوية السابقة الذي أثنى عليها كما أثنى عليها زعماء مسلمون آخرون قبله وهي حكومة الزعيم البورماوي العالي (أونو) قد ساعدت على إتمام مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة البورماوية مع تفسير للقرآن الكريم.

وقال: إن بعض علماء المسلمين وزعماءهم قد ساعدوا على العمل في هذا المشروع الكبير الذي صدر منه حتى الآن عشرة مجلدات ولم يكتمل بعد.

وقد عرفت بعد ذلك من غيره أن جهد الشيخ غازي منصب على

تأليف التفسير، أما ترجمة معاني القرآن ذاتها فإن علماء آخرين من أهل بورما قد عملوا فيها.

وقال: إن الحكومة البورماوية تعترف بهذا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كما تعترف بخمس جمعيات أخرى اسلامية. وقال: إنه يتعاون مع الدولة على ما فيه مصلحة المسلمين وإنه موضع ثقة من الجميع، إن الحكومة لهذا السبب تشاوره في بعض الموضوعات. وقال: إنه إذا أرادت رابطة العالم الإسلامي شيئاً يتعلق بالحكومة البورماوية فإنه يمكنها أن تستدعيه إلى مكة المكرمة لبحث الأمر معه وهو ينقل ذلك إلى الحكومة البورماوية، ويدافع عن وجهة نظر الرابطة لديها.

وعندما قلنا له: إننا نريد المزيد معه من البحث عن كيفية مساعدة المسلمين وعن موقف حكومة (بورما) الحالية من المسلمين أخرج الموجودين عنده في المكتب فخلا المجلس إلا من مرافقنا الأخ سليمان سيدات وقال الشيخ غازي هاشم: إنه لا يفهم العربية ولا مانع من وجوده بيننا.

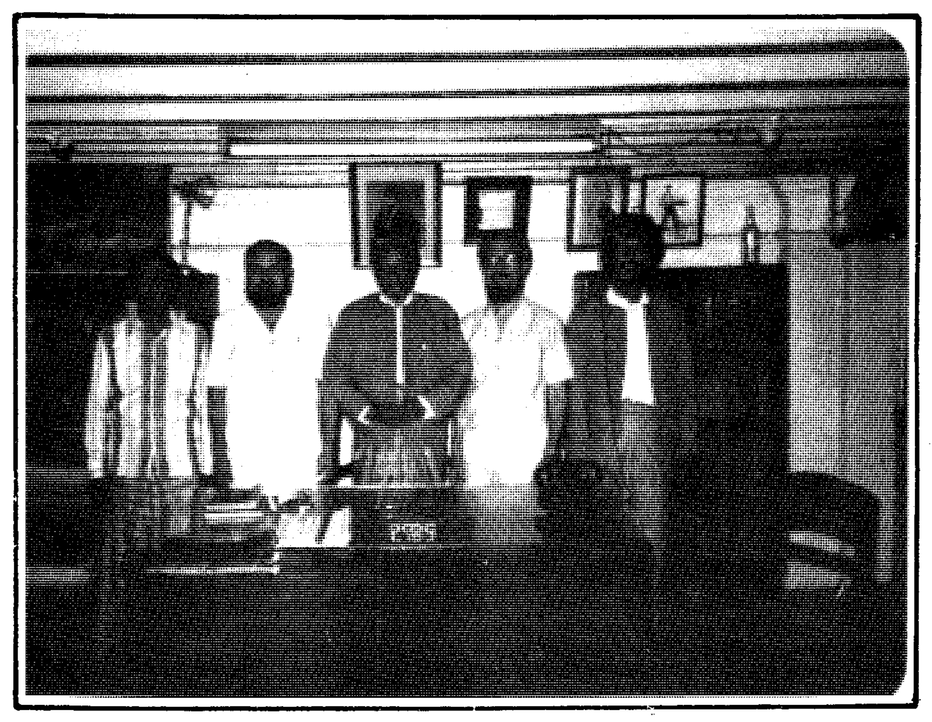
ثم أخذ يتكلم بالعربية. وأجرينا معه نقاشاً عميقاً في هذا الموضوع، تبين منه أنه رجل سياسي، وإن كانت السياسة لا مجال لها الآن بالنسبة له ولأمثاله لأن الحكومة الحاضرة حكومة اشتراكية قد حددت مجال العمل السياسي كما حددت مجال العمل الاقتصادي.

وكان من كلامه المفيد قوله: إن المسلمين كانت لهم المكانة العظيمة من ناحية السياسة والاقتصاد حتى كان لهم في الوزارة ثلاثة وزراء والآن لا يوجد في الحكومة منهم أي وزير.

وفي الاقتصاد كانت (رانقون) تكاد تعتبر مدينة إسلامية لأن معظم أبنيتها كانت مملوكة للمسلمين والآن أكثر هذه الأملاك صادرتها الحكومة. وأصبح المسلمون الآن من ناحية العاطفة درجة ثانية لا من ناحية القانون.

ولولا اعتبارات خاصة بحكومة بورما لكانوا أقل من ذلك.

كان الشيخ غازي هاشم يتكلم وكنت أتأمل مكتبه الذي هو في نفسه مكتبة عامرة تضم كتباً بالعربية والإنكليزية والأرودية والبورماوية وحتى بالفارسية.



الشيخ غازي هاشم في مكتبه وحضور بعض المسلمين.

والرجل يتكلم كلام القوي الشخصية الواثق من نفسه الذي يريد أن يجد مجالاً للعمل يبرز فيه مواهبه ولكن أنى له ذلك فهو كالذي يصيح في وادٍ أو ينفخ في رماد. لأن الزمان هنا الآن ليس فيه مكان لذوي الرأي والعرفان. وإنما هو لساسة جامدين قد جمدوا على المناصب، وجمدوا معهم مصالح الشعب والبلاد، حتى صارت (بورما) التي كانت ولا تزال بمواردها الطبيعية أغنى دول منطقة الهند الصينية. دولة فقيرة تتفوق عليها، بل تتصدق مما لديها دولة أقل منها موارد ولكنها أكثر منها حرية هي دولة تايلند

التي تجاورها. وكانت في القديم تتحارب معها كما يتحارب الجيران.

المستشفى الإسلامي المجاني:

غادرنا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قاصدين مستشفى كان المسلمون قد أنشأوه أيام عزهم وغناهم وكان يعتبر في ذلك الوقت أعظم وأكبر مستشفى أهلي في (بورما).

أهم ما يلفت النظر فيه عند الوصول إليه اسمه الذي يؤكد الغرض من انشائه وهو المستشفى الإسلامي المجاني أو بالانكليزية (مسلم فري هاسبيتال).

والتأكيد على مجانبة العلاج هي غير مقصورة على المسلمين بل على جميع المراجعين من كل الأديان فهم لا يسألون من يراجعهم عن دينه أو حتى عن فقره أو غناه - وإنما يعالجونه بقدر امكاناتهم.

فكان أولئك الأخوة المسلمون البورماويون، قد سبقوا الأوروبيين، أو هم قد جاروهم في تلك البلاد في اتخاذ التطبيب والمعالجة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الدين، أو القرب من المسلمين.

وكان أول تأسيسه في عام **١٩٣٧** م بمثابة المستوصف الصغير ثم وسع بعد ذلك حتى أصبح مستشفى وعند مدخله لوحة رخامية مكتوب عليها بأنه قد وضع الحجر الأساسي له الحاج سليمان قاسم خادها عام **١٣٥٩** هـ. وإن الحاج سليمان هذا هو تاجر ومالك أراض في رانقون. هكذا وصفت الكتابة على الحجر الحاج سليمان مؤسس المستشفى بأنه تاجر ومن ملاك الأراضي.

وهذا وصف ينطبق على أعداد كثيرة من المسلمين الذين كانوا يخدمون البلاد عامة والمسلمين خاصة عن طريق جهودهم في التجارة والزراعة والتعمير.

وذكر هذا المحسن الكبير في لوحة تأسيس المستشفى أمر له معناه من الوفاء والاعتراف بالجميل وهو أمر لم يقتصر على ذكر المؤسس وحده وإنما شمل المتبرعين الرئيسيين بالمستشفى فقد وجدناهم كتبوا في الفناء الداخلي للمستشفى قائمة طويلة بأسماء المتبرعين الذين أسهمت تبرعاتهم في إخراج المستشفى إلى حيز الوجود.

كما وجدناهم كتبوا في الطابق الأول لوحة بأسماء أعضاء الجمعية التي تقوم على إدارة هذا المستشفى في الوقت الحاضر.

وقد أخبرونا أن أكثر الأطباء في المستشفى هم من المسلمين وأنه يوجد فيه من غير المسلمين أطباء وموظفون. فهو وإن كان المسلمون هم الذين أسسوه وهم الذين يقومون على إدارته والإنفاق عليه فإنه ليس لهم وحدهم ولم يقيموه لهذا الغرض، وإنما كان الغرض منه الا يضطر المسلم إلى الذهاب إلى المستشفيات التي يديرها أعضاء التنصير وأمثالهم ويؤثرون على عقيدة المسلمين عن هذا الطريق.



منظر من داخل المستشفى الإسلامي في رانقون.

ثم تطور العمل فيه إلى أن يكون أيضاً رمزاً لتعاون المسلمين مع غيرهم من المحتاجين للعلاج من أبناء البلاد غير المسلمين الذين لهم الأكثرية العددية المطلقة.

ويشغل المستشفى ثلاثة أبنية أو بتعبير عوام الكتاب ثلاث عمارات كبيرة كل واحدة مؤلفة من عدة طوابق يصعد إليها بمصعد واسع جداً كأنه الغرفة الصغيرة المستطيلة.

وبينما كانوا يروننا الأبنية الثلاثة رأينا منظراً مجاوراً لها سيئاً جداً بل تتقزز النفس منه ذلك هو منظر أبنية عالية مجاورة تنهمر من الأنابيب الكبيرة التي تنزل منها فضلات المراحيض أو ما يعرف بالمجاري وهي تصب باستمرار من تلك الأنابيب وتؤلف بحيرة خبيثة ضخمة قد اخضر لونها وأسود حتى لا يطيق المرء تخيلها فضلاً عن رؤيتها فسألتهم عنها؟ فقالوا: إنها أبنية تابعة للبلدية، وليس للمستشفى علاقة بها.

فقلت لهم: إنها تؤذي المستشفى والمرضى فقالوا: هذا صحيح ولكن ماذا نفعل؟

والواقع الذي رأيته بعد ذلك أن هذه الأبنية المهملة ليست هي المثال الوحيد على سوء الادارة في هذه البلاد الاشتراكية، بل لاحظت في كثير من الأزقة الجانبية ما هو مهمل من المرافق العامة وبخاصة مجاري المياه.

ثم دخلنا غرف المستشفى لرؤية المرضى وكان أحدهم وقد نوهوا بوجوده شيخاً ذا لحية طويلة بيضاء قالوا: إنه (مولانا) إنه عالم وما بهم حاجة إلى ذلك القول لأن مظهره يدل على ذلك وقد خبرته وعرفته في غير هذه البلاد ولكن مظهر رجل مسلم من رجال العلم يعتنى به في مثل هذا المكان أمر له أهميته.

وقد قالوا: إن عمره يبلغ خمساً وتسعين سنة، ولا أظنه يصل إلى ذلك

واجتمع علينا بعض المسئولين في المستشفى وقالوا وبعضهم يعضد قول بعض: إن عدد المراجعين للمستشفى يبلغ قرابة الف شخص في اليوم الواحد منهم ثمانمائة هم مراجعون للكشف والعلاج ومنهم مائتان يرقدون في المستشفى.

ثم سلمنا على رئيس المستشفى وهو شخص وقور متزن يظهر التدين على وجهه سألته عن اسمه؟ فأجاب: اسمي الإسلامي عبد الرزاق عبد الله واسمي البورماوي (كم ماو لا), ويعمل في التجارة ولكنه لا ينسى نصيبه في الآخرة إذ يخصص جزءاً كبيراً من وقته لأعمال الخير في المستشفى وغيره.

ومن طريف ما صنعوا فيه لوحة تبين التبرعات الجديدة ومنها حقل خاص بشكر الحكومة المصرية على تبرعها بمبلغ خمسمائة دولار للمستشفى. وقد نوهوا بذلك وكتبوه ظاهراً في لوحة الشرف لمن يزور المستشفى مع أنهم ذكروا أن هذا التبرع هو لمرة واحدة، وليس تبرعاً شهرياً أو سنوياً.

ومما يذكر في هذه المناسبة أن السفارة المصرية في رانقون هي السفارة العربية الوحيدة في البلاد ولا توجد سفارة عربية أخرى فيها.

وبينما كنا نتجول في عنابر المرضى رأينا رجلاً في غرفة خاصة نوهوا بأنه طبيب مريض يعالج في هذا المستشفى.

وقال موظف في المستشفى بوذي يعمل في المحاسبة: إن هذا المستشفى الإسلامي هو أكبر مستشفى تديره هيئة شعبية وطنية في بورما.

وعقب على ذلك أحد الأخوة من المسلمين قائلاً: هذا صحيح لأن مستشفيات الحكومة والهيئات النصرانية اكبر منه أو قال: أكثر منه.

جمعية الحج:

ذخبنا لزيارتها فلم نر منها غير اللافتة لأننا لم نجد في مكتبها أحداً وذلك أننا لم نخبرهم بقدومنا وتقول اللافتة بالانكليزية: «سوشل ريبليك أوف يونيون بورما وهذه معناها: جمهورية اتحاد بورما الاشتراكية وفوق ذلك جملة (حج كوميتي) أي جمعية الحج.

وذهبنا من هناك لزيارة الشيخ المفتي محمود يوسف في منزله وذلك لرؤ يته بعد عودتنا من مدينة (ماندلي) ومررنا بالبحيرة الكبيرة التي رأيناها عندما قدمنا من طريق المطار إلى قلب المدينة ثم رأيناها بعد ذلك وتسمى (البحيرة الملكية) (رويال ليك) وقد أقيم عليها فندق سياحي في شاطيء منها تظله الأشجار الباسقة الضخمة وفي موقع جميل.

هذا والجو هنا أي في نواحي رانقون أقل تلوثاً بالابخرة الكريهة التي تنفثها السيارات القديمة، أوالحربة في داخل العاصمة.

وعلى ذكر السيارات القديمة أقول: إن المرء يلاحظ أنه لا يكاد يوجد بناء جديد في العاصمة وضواحيها فكل ما فيها من الأبنية إنما هو قديم وأكثره حائل اللون.

ومررنا بمعهد كتب عليه لافتة واضحة (المعهد النسائي الإسلامي قال الأخ سليمان سيدات: إنه معهد لتعليم المسلمات بعض الحرف اليدوية مثل الخياطة والتفصيل. وبمقبرة قال الأخ سليمان أيضاً إنها إحدى المقابر المخصصة لموتى المسلمين. بل قال: إنها أول مقبرة خصصت للمسلمين. وعندما حاذيناها بادر الأخ سليمان في السيارة يقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين.

ثم قصدنا النهر الذي تقع عليه مدينة رانقون وهو في الحقيقة ليس نهراً خالص المياه من الملوحة وذلك أنه نهر كبير يصب في البحر ولكن تختلط

مياهه بمياه البحر الذي يقع على بعد ثلاثة أميال من المدينة.

وقد رأيت منظر النهر الجميل، والحركة الدائبة فيه لأنه يقع عليه ميناء رانقون وفيه عبارات تنقل الناس من الضفة الشمالية التي عليها المدينة ولا تبعد كثيراً عن فندقنا: فندق ستراند إلى الضفة الجنوبية التي هي ريف فيه قرى وأماكن للسكن خارج المدينة.

فرأيت أن الوقت المتبقي من عمر النهار قصير لا يتعدى دقائق معدودة فاتفقنا مع الأخ الكريم النبيل. (سليمان سيدات) على أن يوافينا في الفندق غداً في الصباح الباكر لنمتع النظر بمرأى هذا النهر الذي يشبه البحر، ولنستجلي معالم المنطقة، ولدينا وقت كافٍ. وكان الموعد هو السابعة من صباح غد.

ولم يكن في هذا المساء ما يحسن ذكره هنا إلا كوننا تعشينا في مطعم إسلامي لم نعرفه من قبل وهو مطعم صيني بورماوي فسروا ذلك بأن صاحبه من أهل بورما الأصليين المسلمين غير أن الطباخين والعاملين فيه هم من الصينيين المسلمين.

وهذا مما يؤكد على أن غير المسلمين يرتادون المطاعم الإسلامية وإلا لما صارت بهذه الكثرة كما يدل على أن المسلمين لا يتناولون الطعام في غير مطاعم المسلمين. لأن أكثرية أهل البلاد هم من البوذيين الذين لا يحل طعامهم.

وقد اعتكفت في الفندق بعد ذلك لأنني أحسست بالتهاب في الحلق تطور إلى زكام وكان سبب ذلك أنني نمت الليلة البارحة تحت المروحة في الغرفة التي انزلونا فيها في الفندق لأنها ليس فيها مكيف. ومن البلاء أن هذا الزكام الذي نزل عليَّ في هذا الصباح بعد النوم تحت المروحة نزل في بلاد لا توجد فيها مناديل ورق يمكن أن ينظف فيها المزكوم ما يحتاج إلى

تنظيف. وهذا من البلاء الذين ذكرني بمثل عامي لأهل بلدتنا يقول: «حكة وقلة ظفور» اي: ما يفعل الشخص المصاب بالحكة في جسمه وليس له أظفار يستطيع أن يحكها بها.

وقد طلبت من الأخ سليمان وغيره أن يشتروا لي مناديل ورق بأي ثمن فذكروا انها لا توجد.

أما المطاعم فإنها لا تقدم مناديل الورق على موائدها وإنما تقدم بديلاً من ذلك مناديل من القماش تضع على المائدة الواحدة منديلاً واحداً ولو كان الذين عليها عدة أشخاص ليستعملوه مجتمعين والمشكل في الأمر انك لا تأمن أن يكون غيرك قد استعمله قبلك ما دام أن موضوع استعمال المنديل من اكثر من شخص أمر مسموح به.

وكانت هناك قضية تافهة أخذت جزءاً من وقتنا في هذه الأمسية وهي قضية (عود البخور) فقد أخبرنا ونحن في بلادنا أن بورما فيها نوع من البخور الذي اعتدنا على حرقه في الولائم والمآدب وفي البيوت فحاولنا منذ أن وصلنا الاستعلام عن ذلك من الأخوة المسلمين وغيرهم فكلهم أجمعوا أو كادوا على أنه لا يوجد تاجر يجرؤ على بيع العود لنا لأن الحكومة قد احتكرت بيعه في محلاتها التجارية وذهبنا إلى احد هذه المحلات في هذا الظهر فذكروا أنه لا يوجد عندهم وإنما قد يوجد في محل تجاري حكومي آخر كما ذكروا ما ذكره غيرهم من أن البيع في محلات الحكومة لغير البورماويين لا بد من أن يكون بالعملة الصعبة من امريكية أو نحوها. وجاء الفرج من اقتراح طرحه علينا أحد الأخوة ذاكراً بأن هناك تاجراً مسلماً يعمل في تجارة (العود) أي البخور وغيره اسمه عبد الجليل، وأنه سيطلب منه أن يأتينا الليلة لهذا الغرض، وجاء عبد الجليل، ولكنه تكلم بالتهديد والوعيد على من باع العود بغير إذن من الحكومة وقال: إذا اشتريتموه مني فانهم سيصادرونه منكم في المطار أما أنا فسيضعون الأغلال

في يدي ويدخلونني السجن وإنما الأفضل أن أرسله إليكم بالوسائل المناسبة إلى مكان آخر وتدفعوا القيمة إليّ هنا.

فشكرنا له قوله، وان لم نشكر له فعله الذي أضاع علينا وقتاً ثميناً بدون فائدة وقلنا: لا حاجة بنا إلى العود، ولا حاجة بك عندنا إلى القعود.

يوم الثلاثاء: ٤ جمادي الثانية ١٤٠٤ هـ ٦ مارس ١٩٨٤ م

على نهر رانقون:

ليس هذا هو اسمه لأنه يأتي من مسافات بعيدة وهو نهر خالص حتى يقترب من مدينة رانقون فتصطدم به مياه من مياه البحر أو هو يصطدم بها فيختلط الملح بالعذب وينشأ من اخلاطهما هذه المياه الضخمة التي هي نهرية في الأساس لأن موقع البحر من مدينة رانقون يبعد مسافة ثلاثة أميال.

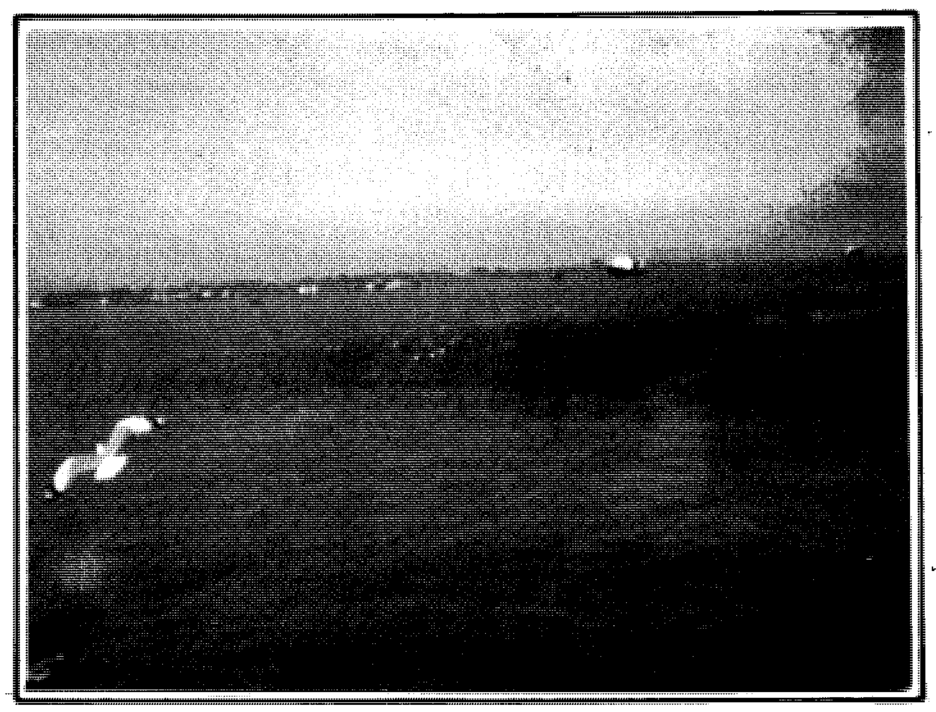
ويتمتع أهل رانقون بهذه المياه المختلطة ولا يتضايقون أو يضايقون غيرهم من ذلك فما بالهم تضايقوا ولا زالوا، وضايقوا غيرهم، ولا يزالون يفعلون ذلك عندما احسوا أن دماء مختلطة لأناس أصبحوا مواطنين ولكن دماؤهم غير خالصة لدماء البورماويين البوذيين، وبخاصة عندما رأوا أولئك القوم المختلطين ينجحون في تحصيل الأموال، وفي إدارة الأعمال التجارية فأشعلوا نار الكراهية ضدهم، واتهموهم بالاستغلال، بل الاستقلال بالمال دونهم. ولولا أن من المضايقين - بفتح الياء الأولى - بعض أخوتنا من المسلمين لما كنا معنيين بفعل أولئك البورماويين المتعصبين.

وعلى أية حال فإن لهذا الأمر مقالاً في غير هذا المجال.

مر بنا الأخ الودود (سليمان سيدات) في السابعة تماماً وكنا قد أفطرنا

مبكرين فذهبنا إلى النهر سيراً على الأقدام لأنه من فندقنا قريب فوقفنا على ميناء أو جزء من ميناء كبير. وقال لنا الأخ (سليمان سيدات): إنه من الأفضل أن نركب هذه العبارة الكبيرة إلى الضفة الأخرى الجنوبية من النهر فقلنا: ليكن ذلك مع الشكر.

ومن ألطف ما رأيناه هنا منظر أسراب من طيور النورس البيض وهي تتابع العَبَّارة التي كانت مقبلة إلينا بأعداد كبيرة حتى اختلط لون أجنحتها البيض بلون زبد المياه التي أثارتها العبارة الكبيرة من هذا النهر العظيم أو الخور الكبير كما كان أسلافنا العرب أو المغاربة منهم يسمون به الخليج البحري الصغير.



طيور النورس في نهر رانقون.

وتبين من متابعة هذه الطيور البحرية البيض للعَبَّارة التي هي سفينة قديمة من طابقين ان بعض الراكبين العابرين يلقون إلى تلك الطيور بفتات

من الخبز يبيعه باعة متجولون يركبون العَبَّارة لهذا الغرض أي لبيع الخبز لمن يأكله من الآدميين أو من يلقيه لهذه الطيور البحرية.

ركبنا العبارة بثمن زهيد هو ربع (تشات) فقط والدولار بالصرف الرسمي حوالي ٧ تشانات وذلك لرؤية الضفة الأخرى من هذا النهر أو من هذا الخور العظيم وكان أن أسرعنا إلى شراء بعض الخبز لهذه الطيور التي كانت تطير ترفرف بأجنحتها وكأنما هي أيدي السائلين الملحفين تمتد إلى أهل الخير والاحسان الذين اعتادوا على الاحسان إلى الفقراء والمساكين.

وكانت الغرامة التي دفعناها لاطعام الطيور تشاتاً واحداً وكان ما أخذناه ست قطع من كعك كالمكرونة اليابسة تفتته بيدك ثم تلقي به إلى الطيور التي تحوم حول العَبَّارة فيسارع بعضها إلى تلقفه من الماء وبقيتها تلتقطه قبل أن يبتل، ولقد رأيتها تتزاحم وتكاد تتلاحم عند التقاط هذا الفتات.



على ظهر العبارة في رانقون الشيخ علي عيسى على يساره المؤلف.

سارت (العَبَّارة) بعد أن امتلأت أو كادت بركاب كلهم من البورماويين الذي قد أصبحوا من الفقراء بعد أن محت الاشتراكية من بلادهم الغنى حتى أصبح لا غني فيها إلاَّ الحكومة وإن كانت بالنسبة إلى ما تقدمه إلى أهل البلاد أقل فقراً من كثير من الحكومات الفقيرة، ومع كوننا في المظهر والمخبر غرباء عنهم فإننا لا نراهم ينظرون إلينا شزراً أو يعتبرون أن وجودنا يعنيهم أصلاً. فكانت معاملتهم معتادة.

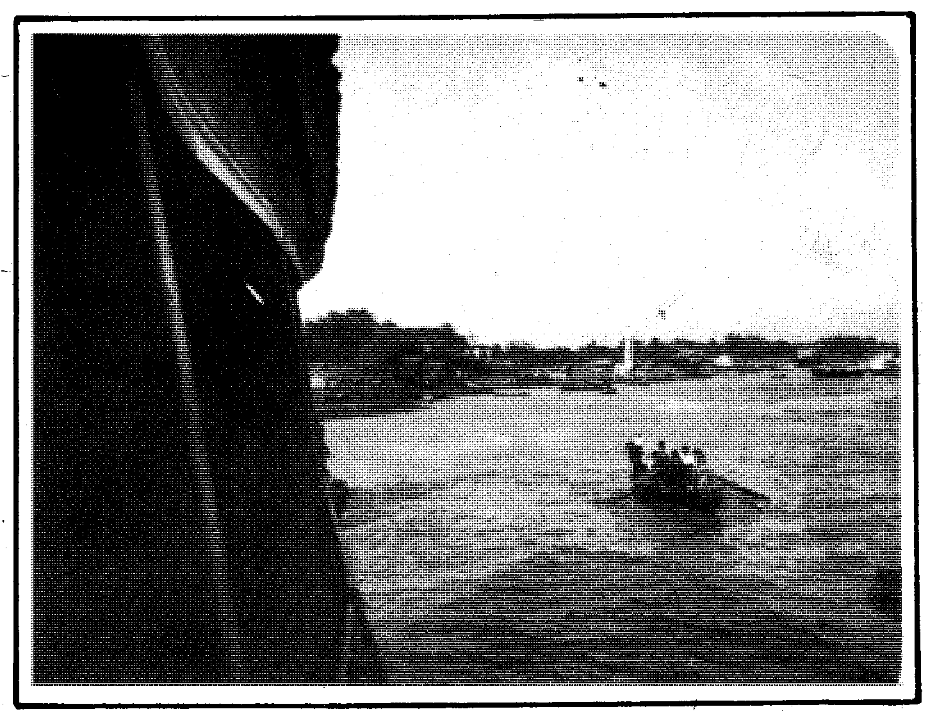
هذا والعبارة تقطع النهر قطعاً لأنه يأتي من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي وهي ذاهبة من الشمال إلى الجنوب.

وما زالت طيور النورس البيض فرحة بل مرحة تتابع هذه العبارة كما يتابع الجنود المطيعون موكب ملك من ملوك التاريخ عظيم وتتطلع إلى فتات من الموكب كما كانت الجنود في القديم يفعلون.

ورأيت من الطابق الثاني الذي هو أعلى العبارة كراسي من قماش غير نظيف، فجلست على أحدها فجاء صاحبه يطلب الأجزة وكنت ظننتها لأهل العبارة لأنه ليس فيها كراس غيرها فقال: إن أجرة الجلوس عليها هي عشرة سنتات وما أرخصها بل ما أرخص الأجرة كلها.

وتلفت لأرى ما في هذا الخور العظيم من المنشآت فرأيت ميناء رانقون البحري وهو ميناء شهير يكفي أن تعرف أن أخباره أو آثاره كانت قد وصلتنا منذ زمن الحرب العالمية الأولى عندما كان يرد إلى بلادنا نوع من الأرز يسمى (رانقون) لأنه يصدر من بورما عبر هذا الميناء.

الشعار الإسلامي على الضفة الجنوبية:



صورة لمسجد على الضفة الجنوبية لنهر رانقون كما يرى (من العبارة).

وعلى الضفة الجنوبية من النهر وهي التي نقصدها رأينا مسجداً ابيض الطلاء، ظاهر الرواء عالي المنار ومناره بجانب قبة بيضاء ظاهرة أيضاً ولا سيما في كونها من الاسمنت المسلح على حين أن أكثر المساكن التي حوله حتى الحكومية منها هي من الأخشاب أو (البامبو) الذي هو يكاد يكون من القش أو القصب الهش لا سيما وقد فعلت الشمس ومعها المؤثرات الجوية الأخرى كالمطر والرطوبة في هذه البيوت القشية ما فعلت فأحالت سمرتها إلى سواد كما أحالت بياض المهاجرين إلى هذه البلاد إلى سمرة تعلوها صفرة، أو كدرة.

قرية والا:

استغرقت المسيرة لقطع هذا النهر العظيم أو هذا الخضم الزاخر من



صورة لنهر رانقون التقطت من ظهر العبارة.

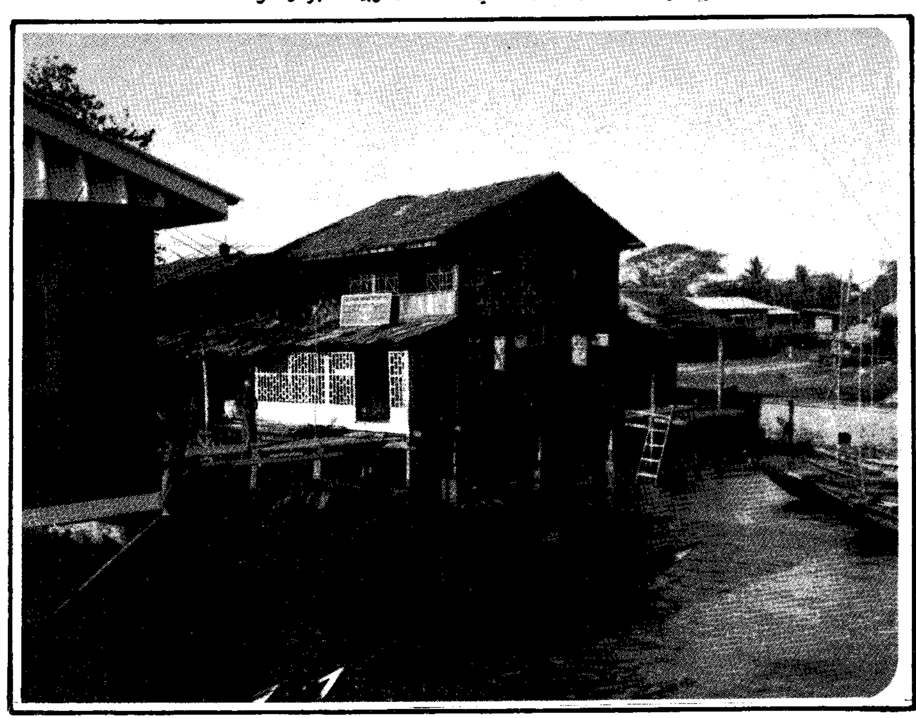
المياه النهرية والبحرية ست دقائق فقط فالباخرة سريعة، والمسافة غير طويلة.

ونزلنا في قرية على الضفة الأخرى التي هي الجنوبية تسمى (والا). ووصلنا مباشرة بعد الميناء الخشبي إلى سوق طويل فيها كل حوانيته من الخشب أو من البامبو. ومع ذلك فهو أكبر من قدرها إلا أنهم قالوا: إنه يعتبر بمثابة السوق للقرى التي تقع إلى الجنوب منها لكونها نقطة الوصول إليها من العَبَّارة.

ولذلك رأينا سيارات عدة من سيارات الركوب قالوا: إنها تحمل الناس إلى القرى النائية. وتمشينا فترة في سوق هذه القرية التي لم أر فيه ما يستحق أن يسجل غير التقاط صورة تذكارية أو صورتين وخاصة مع الأخ السمح الوقور سليمان سيدات.



في سوق القرية الواقعة في الضفة الجنوبية منتهر رانقون.



بيت حكومي فيه اللافتة الخضراء على الضفة الجنوبية لنهر رانقون.

وعدنا إلى العبارة بسرعة.

جمعية الوقف المركزي:

سارعنا إلى الذهاب للسوق القريب لزيارة (جمعية الوقف الاسلامي المركزي) التي اسمها بالانكليزية (مسلم سنترال فوند تراست).

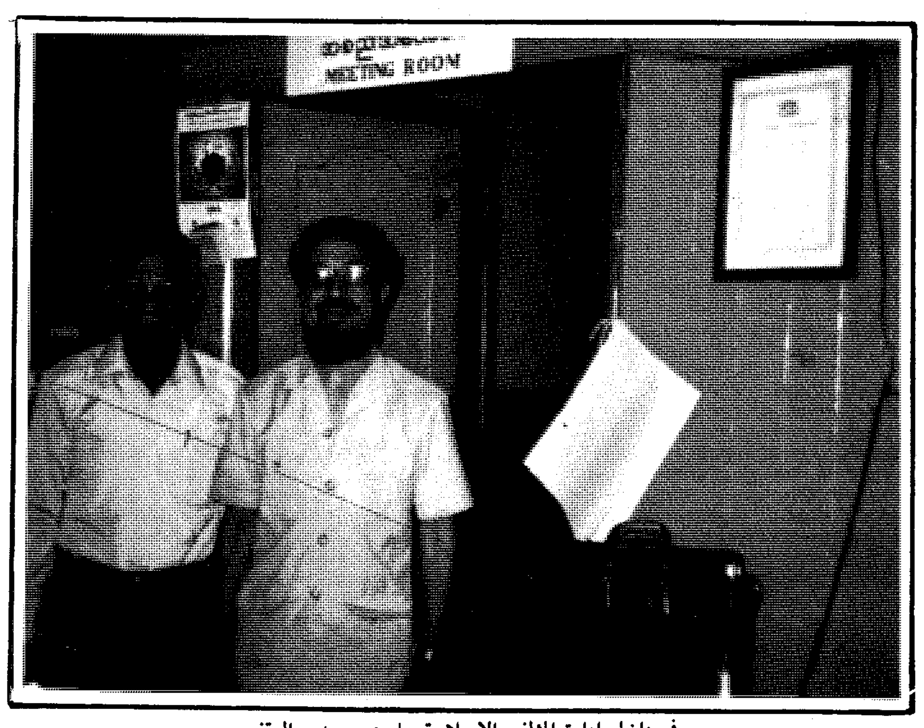
كما أن من اعمالهم المهمة أن يسعوا في الحصول على منح دراسية لأبناء المسلمين غير أن هذا معطل الآن. لأن الحكومة لا تسمح به.

وقد كنا جلسنا على مكتب خشبي قديم ولكنه كبير يدل على مكانة كانت لمن يشغل هذا المكتب عظيمة كما كانت مكانة المسلمين عظيمة.

فاستقبلنا فيه الأخ (اسماعيل واينا) فتحدثنا معه عن عمل هذا المركز فقال: إن من أهم ذلك طبع الكتب الإسلامية باللغة البورماوية. وقال: إن مؤسستنا هذه ساعدت على طبع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة البورماوية وهي الترجمة التي قام بها الشيخ غازي هاشم واثنان من علماء المسلمين معه.

ويدل على ذلك أيضاً أن البناء الذي يشغله المبنى هو ملك لهم. وليس مستأجراً وهو مبنى جيد مميز في موقع من وسط العاصمة التجاري لعام. غير أنه مثل غيره من الأبنية الكبيرة الهامة يشكو من الاهمال وقلة الترميم. بسبب عدم وجود المال وعدم وجود الحرية في التصرف في ذلك المال.

وقد لاحظت خلف مكتبه تقاويم ولوحات بالعربية جميلة، فسألته عمن طبعها؛ فقال: نحن طبعناها وكنا نأمل أن نستمر في ذلك غير أن الحكومة منعتنا من طباعة هذه التقاويم وأمثالها من اللوحات بغير اللغة البورماوية فاضطررنا إلى ايقاف طباعة اللوحات العربية.



في داخل إدارة المؤلف الإسلامية على يميني مدير الوقف.

ولا تسمح لنا الحكومة بطبع أي شعار إسلامي إلا الحرمين الشريفين فمباح لنا أن نضع صورتهما أو صورة أحدهما على ما نشاء من اللافتات ونعلقه على ما نريد من المحلات.

وفي هذا المكتب صورة بارزة لشخص سألتهم عنه فقالوا: إنه محمد رشيد وانه من زعماء المسلمين. وكان وزيراً في حكومة (يونو) السابقة لعدة وزارات قبل أن تأتي هذه الحكومة المتعصبة فتحرم المسلمين كلهم من كل الوزارات، وحتى السفراء كان هناك عدد منهم من المسلمين والآن لا يوجد سفير مسلم لبورما إلا واحد في سيرلانكا حتى الضباط الكبار قد ابعد المسلمون منهم عن المناصب. وفي المناصب المدنية أصبح الموظفون الكبار من المسلمين أقلية في بورما بعدما كانوا أكثر من نسبتهم العددية.



مدير الصندوق الإسلامي في رانقون في مكتبه على يمينه الشيخ علي عيسى وعلى يساره سليمان سيدات.

في جمعية مسلمي بورما:

تركنا هذه المؤسسة في طابق من البناء الذي تملكه إلى طابق آخر فوقه فيه مؤسسة اسلامية أخرى ولكن ليس لها ملك في المبنى هي (جمعية مسلمي بورما) وهذه التسمية لها معنى خاص في هذه البلاد المتعصبة في الزمن الأخير.

فهم يريدون بذلك أنها جمعية للمسلمين البورماويين الذين هم كذلك أصلاً وفصلاً وليسوا من المسلمين المهاجرين الطارئين على بورما في زمن الاستعمار الانكليزي أو قبله بقليل الذين جاءوا إلى البلاد فصار لهم النفوذ في العلم والمال مما استثار غيرة البورماويين البوذيين فعملوا على تجريد أولئك المسلمين مما اسموه امتيازاتهم وهي في الحقيقة نتائج أعمالهم التي لم يعمل البورماويون مثلها بل لم يكونوا أهلها، ولا من يحسنون فعلها.

أما إخوتنا المسلمون البورماويون الأصلاء، أصحاب هذه الجمعية فاننا لم نلمس منهم أي تعصب، أو أي تمذهب لمذهب يقر هذا التعصب.

قابلنا مدير الجمعية الأخ عبد السلام بن عبد الرحمن وهذا هو اسمه الاسلامي أما اسمه البورماوي فهو (أو اي ماونق) وقال: هذا هو الاسم الرسمي أي المستعمل في الأوراق الرسمية.

قال الأخ عبد السلام: ان هذه الجمعية أسست في عام ١٩٦٠م وكان أول من تراسها عبد الرشيد الذي كان من الوزراء المسلمين البارزين في بورما وتقدم ذكر ذلك.

وسلم علينا الأخ الأمين العام للجمعية (أو كي ماونق) وقال: اسمي الاسلامي محمد حنيف وسألتهم بهذه المناسبة عن التسمي بالأسماء الإجباري أم اختياري؟ فقالوا: إنه اختياري، ولكن كثيراً من المسلمين يختارون أن يكون لهم اسم بورماوي وطني بجانب الاسم الإسلامي فهو أكثر إراحة لهم في المراجعات الرسمية لأنه لا يتعصب ضدهم من يكره الأسماء الإسلامية وقالوا: إن جمعيتهم هذه هي للمسلمين الأصلاء من أهل بورما، وقالوا: إن من أهم أعمالها الاحتفال بالمناسبات الإسلامية كالأعياد ورأس السنة الهجرية وإن لهم فروعاً منتشرة في البلاد عددها (٤٨) فرعاً، وان عدد الأعضاء في الجمعية وفروعها يبلغ ثمانية وأربعين ألفاً.

وعقدنا جلسة محادثات معهم فكان من أهم ما قالوه: إن المسلمين هنا أيتام، ولا قائد لهم.

وقد أخبرناهم أننا على استعداد للمساعدة على مشروعاتهم الإسلامية فما هي الطريقة التي يرون أن تتبع في إيصال المساعدة لهم؟ فلم يهتدوا إليها وقال بعضهم كما قال اخوان لهم مسلمون من قبل: ان الحكومة

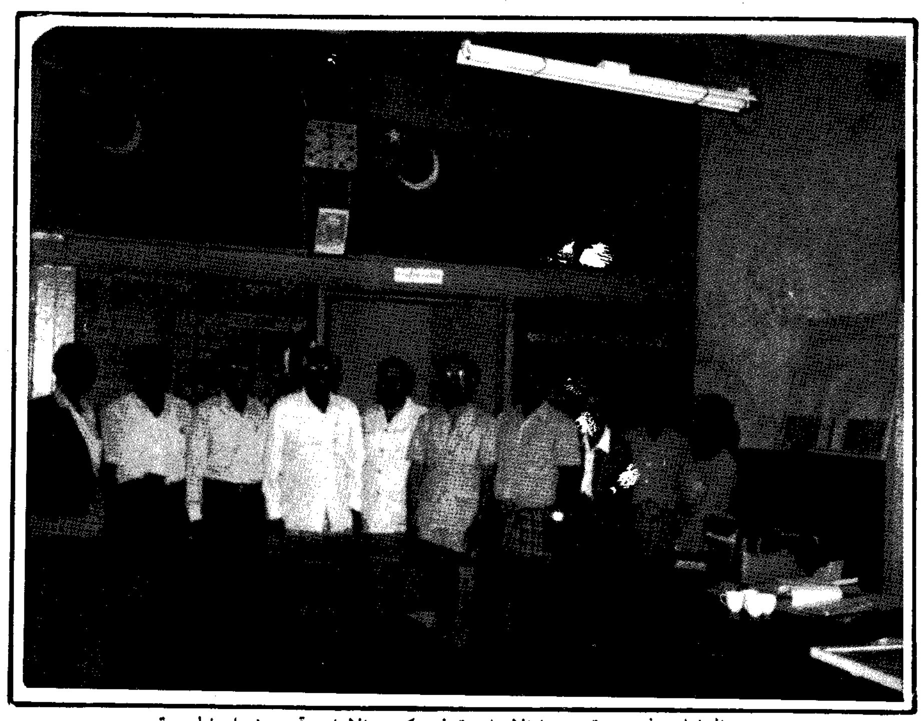
البورماوية لا تسمح بتسلم المساعدات من الخارج.

وقلنا لهم أيضاً: اننا على استعداد لتخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين البورماويين فهل تجدون من يحصل على جواز حكومي لهـذا الغرض؟

فكلهم أجاب: إن الحكومة لا تسمح بذلك، وقال بعض الحاضرين من غير أهل الجمعية إنه يمكن أن يكون ذلك بطريقة ملتوية كأن يخرج الطلاب على هيئة سواح إلى بلد مجاور مثل تايلند ومن هناك يمكن أن يذهبوا إلى البلدان العربية للتعلم.

فقلنا لهم: إن كيفية خروجهم راجع إليهم وإلى ظروفهم السياسية والادارية وإنما نحن نشعركم بأننا على استعداد لتخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين في هذه البلاد نتولى من يشغلها بالعناية منذ مغادرته بلاده على تذكرة من المملكة العربية السعودية حتى يعود بعد تخرجه بتذكرة سعودية أيضاً فشكروا ذلك وهم آسفون على عدم تمكنهم من إرسال أبنائهم إلى الخارج.

ثم انتقلنا جميعاً إلى طابق أعلى لهم قد جعلوا فيه مكتبة حافلة بالكتب وفيها كتب عربية وأوردوية وأقل ما فيها من الكتب هي البورماوية اللغة الوطنية للبلاد وذلك لقلة الكتب الإسلامية بهذ اللغة، حيث أن القوة والغنى كانتا للمسلمين في هذه البلاد الذين هم من أصل هندي والذين يتخذون من اللغة الأوردوية لغة الدين والثقافة، من كتب النشر والتأليف. وكل الكتب الموجودة في المكتبة هي قديمة وليس فيها شيء جديد.



مع العاملين في جمعية بورما الإسلامية في مكتب الإدارة تحت شعار الجمعية.

وفي المكتبة فصل دراسي رأيت على سبورته كتابة بالعربية رغم كون الزيارة غير مسبقة الترتيب ولكن المسلمين يحبون أن يتعلموا مبادىء اللغة العربية حرصاً منهم على تعلم قراءة القرآن الكريم ولو لم يعرفوا معانيه. وهذا من فضل الإسلام على العرب وعلى لغتهم، فهل وعى كل العرب ذلك؟

يتيم خانة، أو بيت الأطفال:

هذا البيت الذي هو دار لأيتام المسلمين وجدناهم قد كتبوا عليه بالأوردية (يتيم خانة) أي: دار الأيتام وبالانكليزية «زينة الإسلام بوي هوم» أي: (بيت الأطفال زينة الإسلام)، وفوق ذلك كله البسملة بالعربية بخط جيد.

وتحت ذلك تاريخ انشائه في عام ١٩٥١ م - ١٣٧٠ هـ.

ومقابله مدرسة كبيرة اشار إليها مرافقونا قائلين: هذه المدرسة الكبيرة كانت إسلامية انشأها المسلمون بأموالهم الخاصة ليعلموا فيها أولادهم فاستولت عليها الحكومة البورماوية مثلما استولت على سائر المدارس التي للطوائف الأجنبية الأخرى. وهي الآن مدرسة حكومية لا يذكر فيها اسم الله.

وعند مدخل آخر لدار الأيتام هذه وجدنا حجراً مكتوباً عليه: وضع حجر الأساس الرئيس الحاج سليمان قاسم مدها عام ١٩٥٥ م ١٣٧٤ هـ.

استقبلنا من الميتم الأخ الشيخ يوسف أسعدي وهو منسوب إلى المدرسة الإسلامية التي اسمها المدرسة الأسعدية، فهم في هذا الأمر مثل الأخوة المسلمين في الهند الذين ينسبون الإنسان إلى المدرسة الدينية التي تعلم فيها نسبة تغلب على نسبته لأهله ولبلده.

ولا غرو في ذلك لأن هؤلاء الأخوة المسلمين النشطين في بورما هم من أصل هندي.

وقد تبين أن دار الأيتام هذه بجانبها بل معها مدرسة إسلامية يتعلم فيها هؤلاء الأيتام وغيرهم العلوم الإسلامية.

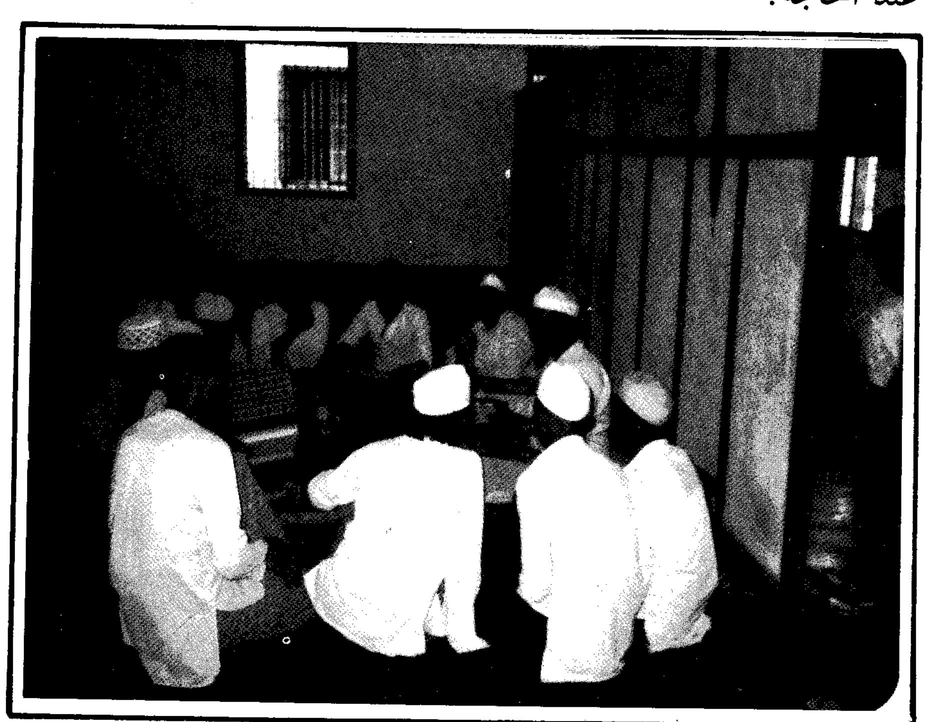
والشيخ يوسف الأسعدي ذكي وفصيح بالعربية وهو مدرس العربية في دار الأيتام هذه. قال: إن العلوم العصرية تدرس الآن بهذه المدرسة إلى جانب العلوم العربية.

قال ذلك وفمه الأحمر من مضغ التنبول يشهد على أنه متمسك بالعادات الهندية القديمة التي تسود شرقي الهند وبخاصة مضغ التنبول الذي هو شائع شيوعاً مفزعاً في بورما حتى انني عندما خرجت في هذا الصباح من الفندق مررت برجل يعجن مقداراً من التنبول الأحمر في علبة كبيرة من الصفيح ومنظره وحده كفيل بأن يصد المرء عن النظر إلى التنبول

فضلاً عن مضغه فالرجل يعجنه بيده وقد غلبته عطسة ضخمة افرغ من أجلها ما في رأسه على هذا التنبول الذي تمضعه الجماهير تلوكه بأفواهها ثم تخرجه بصاقاً أحمر قانياً يؤذي العيون منظره في الأفواه وآثاره في الأزقة والشوارع.

وقال لنا الشيخ يوسف الأسعدي قولاً أسعدنا ألا وهو أنه يترجم الآن صحيح البخاري إلى اللغة البورماوية، وقد سعدنا بذلك لأننا نؤمل له النجاح ونأمل أن يستطيع القيام بذلك فهو جيد الفهم واسع الاطلاع عالم باللغة العربية أعانه الله على إتمام ذلك.

ثم وصلنا إلى فرقة من الطلاب قد تحلقت على الشيخ عبد الحفيظ عبد الرزاق مظاهري. و (مظاهري) هذه هي أيضاً نسبة إلى المدرسة التي نعلم فيها واسمها (مظهر العلوم) وهي في الهند. ومن الأشياء الملفتة للنظر أنني رأيت بجانب هذا الشيخ وهو يلقي درسه وعاء قد أعدوه ليتفل فيه عند الحاجة.



مدرس الحديث مع تلامذته في حلقة رانقون.

ولا شك أن سبب الحاجة إلى وجود إنـاء للتفالة هو استعمال التنبول الذي لا بد من أن يتفل من يمضغه لأنه سام للجسم إذا بلع اذ هو يتألف من التنبول ودقيق من الدخان والنورة وغير ذلك وكلها أشياء مضرة بالبطن إذا بلعت.

إن مظهر الشيخ (المظاهري) هذا كمظهر تلاميذه جيد من حيث لصحة ومن حيث الاقبال على الدروس والحرص على تلقيها. وهذا عجيب من أمر هؤلاء الإخوة المسلمين الذين ليس معهم من أهل الزمان أحد فلا الحكومة بالتي تغض الطرف عن معاندتهم فضلاً عن أن تكون تساعدهم، ولا هم بذوي الأموال الذين سلمت أموالهم من المعاكسة بالأنظمة والقوانين الجائرة ومع ذلك هم لا يزالون محافظين على مظاهر دينهم، ولا يزالون متمسكين بالتعليم التقليدي الذي كانوا يسيرون عليه من قبل، فلله درهم ما أصبرهم.

ومن الدليل على ذلك أن الدرس الذي كان بـدون استعداد سابق لأنهم لم يكونوا يعرفون بموعد حضورنا كان في كتاب (شرح معاني الآثار) للطحاوي وهو كتاب عالي المستوى، صعب الفهم إلا على طالب العلم المجيد. وقالوا: إن هذا هو المقرر لهذه الفرقة من الطلاب في فقه الحنفية الذي ينتسب إليه القوم.

أما علم الحديث فقالوا إن المقررات فيه هي كتب الصحاح السنة!. وهي صحيح البخاري ومسلم، ومسند الإمام أحمد، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه. وذكروا أن مقرر النحو عندهم مصباح المعاني للجامي. وفي الأدب العربي يدرسون مقامات الحريري.

وليس هذا بالعجب وحده وان كان عجباً في حد ذاته كما أسلفنا، وإنما العجب أيضاً في كونهم يدرسون في قاعة كبيرة واحدة قد جعلوا كل فرقة من الطلاب في ركن من هذه القاعة بحيث تنظر إلى الفرق الأخرى

ولكنها ليست ملاصقة لها بسبب سعة القاعة، وأخبرونا أنهم يودون أن يقسموا هذه القاعة إلى فصول منفردة ولكنهم لا يستطيعون الحصول على النفقة اللازمة لذلك.

وبعد أن استمعنا إلى طائفة من الدروس في هذه القاعة ذهبنا صاعدين إلى الطابق الثاني فكان أول ما استرعى انتباهنا عند الدرج أنهم قد كتبوا لوحة شرف بأسماء المتبرعين الأوائل لهذا الميتم وهذه المدرسة الإسلامية.

وهذا منهم وفاء بحق أولئك النفر من السابقين إلى تأسيس هذا المكان فجزاهم الله خيراً. ثم رأينا مهاجع الأيتام وهي في سرر جيدة النظافة كل سرير من طابقين توفيراً للمكان. وأرانا الشيخ يوسف الأسعدي غرفته التي يتفرغ فيها لترجمة صحيح البخاري إلى اللغة البورماوية فألفيناها حافلة بالكتب والمراجع العربية التي تدل لأول وهلة على أن صاحبها من المؤلفين.

مغادرة بورما:

من هذا المكان السار انتقلنا بسهولة إلى المطار مطار رانقون الدولي للسفر إلى بانكوك بعد انتهاء زيارتنا إلى بورما.

وكان الانتقال من هناك سهلاً لأننا كنا في طريقنا إلى المطار فهو خارج المدينة التي يقع المطار بعيداً خارجها ولكن إلى تلك الجهة.

وكان الخروج من (بورما) أسهل من الدخول إليها وذلك عكس ما كنت قد توقعته، فلم يفتشوا حقيبتي وقال الضابط الذي رأى جوازي إنه (دبلوماسي) وأسرع يرسم علامة الانتهاء من التفتيش بدون أن يفتحها.

وكان التفتيش للأمن يدوياً أيضاً لأنني لم أر عندهم الآت كهربائية تفتش الأمتعة والأبدان من دون مس.

ومن قاعة المغادرة اشتريت شيئاً بدولار امريكي واحد فكلفني ذلك وكلف الموظفة التي تعمل هناك من الوقت ما قيمته عشرات الدولارات لأنها أخذت تسجل ذلك في أوراق من صور متعددة تختم عليها وتعطيني نسخة وتحتفظ عندها بالنسخ الباقية ولعلها توزعها على جهات متعددة.

وعند الصعود إلى الطائرة تكرر هنا ما فعلوا مثله أو شبيهاً به عند السفر إلى مدينة (ماندلي) إذ كانوا اعطونا بطاقات الصعود إلى الطائرة خالية من الأرقام أو من البيانات المعتادة ثم استعادوها كلها عند الصعود إلى سلم الطائرة فلم يبق في أيدينا من شيء يذكرنا بهذه الرحلة.

ولذلك رأيت الركاب يتراكضون لاحتجاز المقاعد في الطائرة ويسيئون الأدب في ذلك كل يريد أن يسبق غيره إلى المقعد الذي يفضله.

واكثر الركاب هم من غير البورماويين ففيهم جماعة من الصينيين من (هونج كونج) لا يبدو عليهم التهذيب وفيهم بعض الأوروبيين أو الامريكيين لا أدري.

أما البورماويون فلم يزد عددهم في الطائرة على خمسة. .

وأما الطائرة نفسها فإنها نفاثة صغيرة من طراز فوكر ٢٨.

وقد تأخرت عن موعد إقلاعها الأصلي ساعة وربعا.

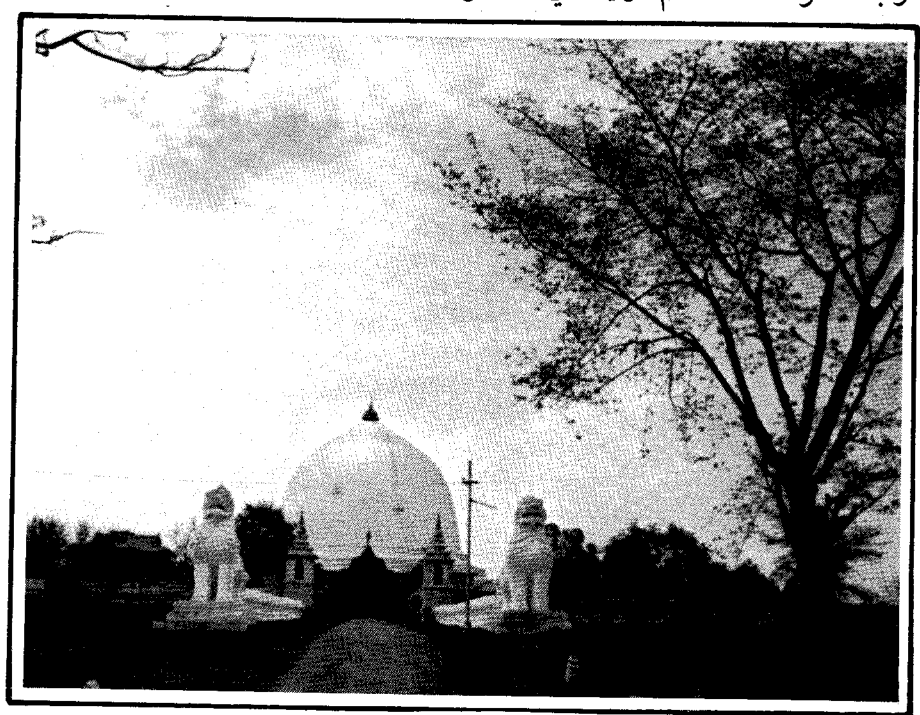
ومع صغر الطائرة فإنه لم يكن يوجد في جيوب مقاعدها أية بيانات أو معلومات عن الرحلة أو عن الطائرة أو عن الشركة البورماوية التي سيرتها وهي في رحلة خارجية.

والحقيقة أننا كنا قد توقعنا ذلك عندما حجزنا فيها لأن الناس يعرفون المستوى المتدني لهذه الشركة الجوية البورماوية ولكننا كنا مضطرين لتوفير الوقت وإلا لكنا انتظرنا الشركة التايلندية التي هي في مستوى عال

من الجودة في الخدمة والمواعيد وإنما كنا نريد العودة إلى بانكوك لنحاول الحصول على تأشيرات دخول إلى دول الهند الصينية من سفاراتها في بانكوك. وودعنا بعض الأخوة من المسلمين هنا وبخاصة الأخ سليمان سيدات الذي لم يفارقنا إلا عندما خرجنا من قاعة المغادرة إلى الطائرة.

وعندما قامت الطائرة أعلن مكبر الصوت فيها باللغة الانكليزية وحدها أن المسافة من رانقون إلى بانكوك هي خمس وخمسون دقيقة.

ومرت في ارتفاعها فوق مدينة رانقون فكان أظهر ما فيها المعبد البوذي الذهبي اللون ولكنني رأيت بجانبه الجامع البنغالي بمناراته الشاهقة وقبته الواضحة. ثم رأينا في الحقول البورماوية الخضر المعابد البوذية



مدخل مجموعة من المعابد البوذية.

التقليدية هنا التي يكون أظهر ما فيها البرج بل إنه يكاد يكون الشيء الوحيد المهم في المعبد. وقد يكون المعبد منفرداً ليس بجانبه ولا فيما حوله مساكن.

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الإسلام والمسلمون في بورما

القسم الثاني: العيان

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة